أنيس منصور

مذكرات شابة غاضبة



دار الشروق

مذكرات شابة غاضبة

الطبعة الأولى

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

الطبعة الثانية

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

الطبعة الثالثة

١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

الطبعة الرابعة

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى -
رابعة العدوية - مدينة نصر
ص . ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩
فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
البريد الإلكترونى: email: dar@shorouk.com

أنيس منصور

مذكرات شابة غاضبة

دار الشروق

كلمة أولى

فى العام الماضى نشرت « مذكرات .. شاب غاضب » شاب وله مشاكل .. غاضب على شبابه وعلى الناس حوله .. وعلى هذه الفترة من القرن العشرين الذى تحول فيه كل شىء إلى رأى وقنبلة .. إلى نظرية ومدفع .. إلى المصاحف على أسنة السيوف . ولما رأى الذى بينه وبين أهله وبين الناس صرخ بأعلى الصوت : ياناس !

وكان لابد أن نسمع وأن نقول له : يانعم !

ونجلس معا نتحاور ونفهم .

* * *

والآن جاء دور « الشابة الغاضبة » أن تقول رأيها فى نفسها . وفى الرجل : أخيها وأبيها ورئيسها .. فى الرجل الذى قد وضع القانون والرجل الذى يعتدى على القانون والذى جعل لكل شىء ميزانين ومكيالين : واحداً للرجل وواحداً للمرأة .. وليس صحيحا أن المرأة أخذت أكثر مما تستحق ــ هو الذى يقول ..

فأين الحقيقة ؟

* * *

عند الاغريق أن « الحقيقة » جاءت إلى الناس عريانة ..

فاستداروا لايحبون أن يروا هذا « العيب » .

فعادت إليهم « الحقيقة » وقد تغطت .. فأقبلوا عليها .. وكان معنى ذلك أنهم لايحبون الحقيقة .. ولايحبون الصراحة . وتعلمت المرأة أن الرجل يفضل « ورقة التوت » فتغطت .. ثم قام الرجل بتطوير أوراق التوت .. فجعلها أكبر وأكثر .. وجعلها شفافة وكأنها هناك وليست هناك .

* * *

وعند الإغريق أيضا أنهم فى إحدى حفلاتهم أتوا بشاب جميل وغطوا جسمه كله بالذهب .. فمات ! فلم يكونوا يعرفون خطورة سد المسام فى جسم الإنسان .. فالسموم التى لم تخرج من الجسم مع قطرات العرق وقد ارتدت إلى الجسم تقتل صاحبه . فلا ورقة توت واحدة ولاثوب كله من الذهب . وإنما أوراق توت ذهبية بمساحات مختلفة وفى أماكن مختلفة ــ أى بعض الحقيقة اللامعة .

والخلاف بين الرجل والمرأة مستمر ..

هو يريد أن يعرف وهى تريد أن تقول ..

وهو يكره الصراحة إلا قليلا .. وهى تكره الاعتراف إلا قليلا ..

والحديث الشريف يقول : ما اجتمع رجل وامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما ..

ويمكن أن يقال : ما اجتمع رجل وامرأة إلا كان الشيطان أحدهما

فالمرأة ترى الرجل إبليس ..

والرجل يراها شيطانا ..

فليكن ! فلا بديل عن المرأة ولابديل عن الرجل .

* * *

والمشكلة اغريقية أيضا . فعند خلق العالم اجتمعت الآلهة فوضعوا الذكر والأنثى فى جسم واحد .. ثم قسموهما إلى نصفين . ولخبطوا هذه الأنصاف ملايين الأنصاف .. ليظل الإنسان طول عمره يبحث عن نصفه الآخر .. أو يتوهم أنه وجده .. ليكتشف بعد ذلك أنه لم يجد نصفه الآخر .. وإنما هو يحاول ان يدارى العيوب حتى يفلح فى « توليف » نصفه الذى يحلم به .

* * *

وقالوا : الرجل لعبته المرأة !

وقالوا : والمرأة لعبتها الشيطان !

أى أن الرجل يلعب بالمرأة التى تلعب بالشيطان فى داخلها وفى داخل الرجل .

ولكن العلم والفهم والحيلة أقوى من الشيطان .

والقرآن الكريم يحدثنا عن ذلك . فعندما جاء الهدهد إلى الملك سليمان ينقل إليه كيف وجد عرش بلقيس ملكة سبأ ، أراد الملك ان يحضروا له هذا العرش فورا ليراه .

« قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك » .
أى بعد ساعة أو ساعتين .
« وقال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك » .
أى بعد ثانية أو أقل من ذلك !
وكان ذلك دليلا على ان صاحب العلم أقوى من العفريت !
فالعلم قوة أعظم من أية قدرة شيطانية !

* * *

وفى الليلة الخامسة عشرة من « ألف ليلة وليلة » نرى تفسيرا لذلك .
فالعفريت جاء إلى بنت السلطان وهدد أن يقتلها . وانقلب أمامها أسدا فنزعت شعرة من رأس العفريت وجعلت الشعرة سيفا ضربت رأسه فانقسم نصفين .
ونصف رأسه تحول إلى عقرب ..
فتحولت هى إلى حية .. ودارت معركة بينهما .
وتحول العقرب إلى قط أسود .
وتحولت الحية إلى ذئب .
ثم تحول القط إلى رمانة كبيرة ووقعت فى بركة ماء ثم سقطت على الأرض أمام الذئب وتناثرت حباتها .
وتحول الذئب إلى ديك يلتقط هذه الحبات .

فقفزت حبة فى الماء وبسرعة تحول الديك حوتا يطارد حبة الرمان .

وخرجت حبة الرمان من الماء على هيئة كتلة من النار والدخان .. وتحول الحوت إلى عاصفة من اللهب تطفئ نار العفريت فاذا هو كوم من التراب ـ وانتصرت المرأة بذكائها على العفريت !

* * *

ولكن الذى بين المرأة والرجل ليس فيه نصر أو هزيمة .. غالب ومغلوب .. وإنما هو « توافق » مستمر بينهما . أو محاولة لذلك . وهذا التوافق والتوفيق والتلفيق ليس قبل أن يسمع الرجل رأى المرأة . ورأيها مثل رأيه هو فيها : لن يسره ـ فإن لم تكن هذه هى الحقيقة . فبعضها !

انيس منصور

انصحوا غيري أرجوكم

أنا اسمى ف .....

أول مظاهر التمرد عند الفتاة احساسها بأنها أكبر من النصائح .. لم تعد صغيرة . كل إنسان : أبوها وأمها وحتى البواب . والخادمة تنصحها أن تأخذ بالها من نفسها .. والخادمة بصفة خاصة تعنى ماتقول . ففى كل صباح عندما أذهب للمدرسة تقول : خدي بالك من نفسك يا ست هانم ..

وفى الطريق إلى المدرسة أفكر فى هذه الخادمة .. مرة تقول لى ياست .. ومرة ياست هانم .. ولاحظت أن هذا يتوقف على المناقشات أو الخناقات التى تشتعل ، كالعواصف فى أسرتنا من حين إلى حين .. إن كانت عنيفة فأنا ست هانم .. وإن كانت قصيرة فأنا ست .. وإن لم يكن هناك سبب قوى فإنها تقول : خدى بالك من نفسك .. ثم إنها تطيل حرف (من) وتطيل عبارة (من نفسك) .. كأنها تحرص على الايقاع الموسيقى لعبارتها الطويلة ، عندما يكون الخطر أكبر .. وعندما تريد أن تؤكد لى أنها تعنى ماتقول .. وفى بعض الأحيان تفتعل أو تتوهم أن زرار المريلة مفكوك أو أن شعر رأسى ليس مصففا من وجهة نظرها فتحاول تسويته .. ولكنى أعرف

أن المعنى هو أنها تريد أن تكون قريبة منى .. أن تلمسنى .. وأن تمارس هذا الحق .. لأن أمى فقط هى التى لها هذا الحق فى بيت كل من فيه ذكور ..

شىء عجيب حقا أننى أحتفظ فى درجى الخاص بعبارات حكيمة لاذعة .. إنها نوع من النصائح ولكن بصورة أخرى .. حتى هذه لا أريدها ولن أحتكم إليها .. ولأنى تعبت فى جمعها ، احتفظت بها بعيداً عن ايدى إخوتى وأمى .. وكل الذى يربطنى بها هو أننى اخترتها وكتبتها واضفتها إلى ممتلكاتى الخاصة .. إلى خصوصياتى .. وقررت أن أمزقها وأن ألقيها فى الزبالة .. فقد كبرت على نصائح الآخرين .. أيا كانوا .. فهم لايعرفوننى ولايوجهونها لى .. وإنما هذه النصائح كلام .. وكل واحد يأخذ منه المعنى الذى يعجبه .

ولاحظت عند قراءتها للمرة العشرين أنها موجعة ومع ذلك احتفظت بها .. كأنه مسموح لأى مجهول أن يوجعنى .. لأنه لايقصد ذلك .. ولكن لا أسمح لأى إنسان آخر أن يلمسنى .. لأنه يقصدنى وحدى .. فاللمس خاص ولكن النصيحة عامة .. واحتفاظى بهذه الحكم معناه أننى أقبلها كلها .. أو أقبل بعضها بعض الوقت .. أو أننى أرفضها كلها طول الوقت ..

وكأنه من الصعب على الإنسان أن يلقى بهذه الكلمات فى وجه أصحابها ، وفى نفس الوقت فى وجهى أنا أيضاً ، لذلك قررت فجأة أن أعيد صياغتها .. وأن أنشرها .

هذه هى الكلمات التى أعلن وفاتها بعد الفراغ من كتابتها .. فأنا التى وهبتها الحياة فى حياتى .. وأنا التى اخرجتها من حياتى ، لتعيش بقوتها الذاتية فى الأخريات ..

* * *

كل جيل يتخيل نفسه أذكى من سابقه ، وأعقل من الذى يجىء بعده !

* * *

الإنسان أشبه بعصره هو ، أكثر من شبهه بوالديه !

* * *

اسأل الأكبر سنا : ماهو الأفضل ؟
واسأل المعاصرين : ماهو الأنسب ؟

* * *

قاوم زمانك .. حاول أن تضع رجلك خارجه !

* * *

احتقارنا للذين قبلنا ، يغرى الذين بعدنا باحتقارنا أيضا !

* * *

كل ماهو فى جيلنا ، موضع شك فى جيل بعدنا !

* * *

بين الأموات يوجد اناس يستحقون القتل !

شيء فظيع أن ترى الماضي بكل ألوانه البشعة . قد عاد إلى الحاضر بألوان جميلة !

* * *

من المستحيل أن نكتب التاريخ القديم للمرأة ، فليست عندنا مصادر كافية ، ومن المستحيل أن نكتب تاريخها الحديث ، لكثرة المصادر والمخاوف !

* * *

كتب التاريخ تبدأ وتنتهي ، ولكن الأحداث التي تتناولها لن تنتهي !

* * *

شجرة الإنسانية تنسى كل الذين حملوا بذورها في الصيف ، وغرسوها في الشتاء ، ولاتذكر إلا الذين تهجموا عليها في الظلام وقطعوا فروعها وسرقوا ثمارها !

* * *

كما أن الفلسفة هي دراسة أفكار الآخرين ، فالتاريخ دراسة أخطاء الآخرين !

* * *

أنت لا تستطيع أن تصلح أجدادك !

* * *

المرأة عاشت ألوف السنين ، مثل مرآة تعكس صورة للرجل أكبر وأجمل من الحقيقة !

شكوك المرأة أقوى من يقين الرجل !

* * *

إذا كان الزواج عاصفة فوق بحيرة ، فإن العزوبية بحيرة من الوحل !

* * *

فى الدين وفى الزواج : لاتنصح احدا .. وهكذا لاتحمل خطايا الآخرين فى الدنيا والآخرة .

* * *

أعجب ما فى حياة المرأة أن تثبت للرجل أنها عندما احبته كان قصدها شريفا !

* * *

من النمر الجائع ومن المرأة العاطفية : لا هروب ولا نجاة !

* * *

أكبر غلطة أن تختار زوجة لمجرد أن تكون شريكا لطيفا !

* * *

المرأة لا تتزوج للحب . فالقاعدة عندها : قبل أن تتزوجى المليونير اقنعيه بأنك تحبينه !

* * *

الحب أمتع من الزواج ـ فالقصص الخيالية ممتعة أكثر من وقائع التاريخ !

الناس عميان إذا احبوا ، مبصرون إذا تزوجوا !

* * *

علمنى الزواج أن نحترم اخطاءنا !

* * *

هناك صنف من الأزواج فى غاية الأدب والرقة واللطف والظرف مع كل امرأة ـ إلا امرأة واحدة !

* * *

الطلاق له شعبية عظيمة جدا ، لدرجة أنه ينام كل ليلة بين الرجل وزوجته !

لاتندم ابدا على سوء ظنك بزوجتك ، فهى أسوأ ظنا منك !

* * *

إن سلاسل الزوجية ثقيلة لدرجة أنها تحتاج إلى اثنين يحملانها ، وأحيانا ثلاثة ـ ثم لايستطيعون ذلك !

* * *

عندما يخطف رجل زوجتك ، اتركها له ـ فهذا هو أكبر عقاب !

* * *

عندما تمتلئ عيون المرأة بالدموع فيظن الرجل أنها تبكى حقا ، فهذا يدل على أنه هو الذى لايستطيع أن يرى بوضوح .

* * *

أقوى اسلحة المرأة ضعفها ـ وهى تعرف كيف تستخدم ذلك !

* * *

الرجل لايعرف «كيف» يقول : وداعا !
المرأة لاتعرف «متى» تقولها !

* * *

المرأة ليست جميلة ، ولكن عندها القدرة على أن تبدو كذلك !

* * *

كما أن هناك زهوراً بلا عطر ، هناك جميلات بلا قلب !

* * *

من المستحيل أن تحب الشخص الذى تعرفه تماما ، فأنت لاتحب إلا الجانب الخفى من كل إنسان !

* * *

كل ليلة ينام الأزواج إلى جوار من لايحبون ، ولاينامون إلى جوار من يحبون !

* * *

الحب المفاجئ أطول العواطف عمرا !

* * *

أية حضارة هذه ، إذا كان نصف الناس يتحكم فى النصف الآخر ؟!

* * *

الحفاوة والذوق والرقة والأدب يقدمها الرجل للمرأة ـ بديلاً عن العدل والمساواة !

* * *

ماذا تتعلم الفتاة : نحن نعلمها أن الزواج هو الهدف الأول والأخير.. ثم نعلمها أن تتظاهر بغير ذلك !

* * *

الدعارة الشرعية : أن تتزوج امرأة رجلا لاتحبه !

* * *

لقد نسيت أن أكون صغيرة .. نسى جسمى أن يكون شابا .. ونسى قلبى أن يوقظنى .. لقد راحت علىَّ نومة فى هذا الزورق الجميل : جسمى المصنوع من موج البحر ونسيم البر.. فجسمى تابوت بارد .. أنا فى السماء وجسمى فى الأرض : هذا هو أول طلاق عرفته قبل أن أتزوج ، ليكون زواجى هو طلاقى الثانى !

* * *

إذا وجدنا رجلا وامرأة يتزوجان بغير حب ، فسوف يحبان بغير زواج !

* * *

كل من ترى الدنيا بعينى أمها ، فالذى تراه ليس هو الدنيا !

* * *

أنت سيدى . القانون جعلك كذلك . فى استطاعتك أن تقيدنى

أن تحبسني .. أن تقطع أظافري ولساني وشعري . والمجتمع كله سوف يقف وراءك .. ولكن لن تستطيع أن تجعلني أحبك .. وإلا كنت القابض على أشعة الشمس بعد أن فشلت في القبض على الهواء !

* * *

إن الأمهات والآباء يضحون بشباب أولادهم وحيويتهم وقلقهم ، من أجل شيخوخة لاتحتاج لا إلى حيوية ولا إلى أمل !

* * *

أمي : لك حبي ودمي وملامحك في وجهي .. ولكن دعيني أختلف عنك فأعيش زماني !

* * *

إذا أنا تزوجت الرجل الذي أحبه فلن أقول : قلبي .. روحي .. حياتي ؛ فقد سلمتها له عندما دفع الثمن !

* * *

والله العظيم أنا عبقرية المشاعر ، ولكن منذ متى احترمت الشعوب عباقرتها ؟ !

* * *

جئت أفتش عن قلبي حيث تركته في قلبك !

* * *

الفتاة الطموح بلا أمل ، مثل كل الفقراء ليس لهم أصدقاء !

* * *

غلطة أن تعيش المرأة للحب ، غلطة أفدح أن تعيش بلا حب !

إذا كان الطريق إلى قلب الرجل معدته ، فما الفرق بين المعدة والقلب !

* * *

أسود صفحات تاريخ الرجل : سنوات استعباده للمرأة !

* * *

كلما كان الطغيان عنيفا ، كانت الحركة ناعمة على سطح الأشياء !

* * *

أعظم اكاذيب الرجال وضعوها فى الدستور : أن الرجل والمرأة سواء !

* * *

سألتها وأغضبها السؤال : أين يعيش قلبك ؟

قالت : فى قلب زوجى .

سألتها : كم غرفة يحتوى قلب زوجك ؟

* * *

إن عدد النساء اللاتى يقتلهن الحزن ، أكثر من عدد الرجال الذين تقتلهم الحرب !

* * *

المرأة تحتقر الرجل الذى يبدأ بحبها ، إلا إذا كانت تحبه هى أيضاً !

أعرف جيداً مرارة كل حلاوة يقدمها الرجل الذى لا أحبه !

أعظم متعة : أن تغزو قلب المرأة دون أن تحتله !

* * *

الحبّ : غزو !

الزواج : احتلال !

* * *

فى الحب : تشعر !

فى الخطوبة : تفهم !

فى الزواج : تندم !

أنا مستعدة أن أخوض معك كل بحار الحياة ، بشرط ألا تكون فى البحار مياه !

* * *

صدقنى : كل النساء كاذبات .. والرجال أيضاً !

* * *

شىء عجيب : أن الرجال أكثر اهتماماً بالمرأة ، من اهتمام المرأة بالرجل !

* * *

تاريخ إستعباد الرجال للنساء أمتع ، من تاريخ تحررها من الرجل !

* * *

ياصديقاتى : ليس فى الدنيا صديقات ! .

* * *

ـ أين تضعين عطرك ؟
ـ فى كل مكان أريد الرجل أن يقبله !

* * *

الأناقة هى : فستان جديد : ذوق . قدرة على عرضه !

* * *

هناك فرق كبير بين النجاح فى الحب والنجاح فى الزواج ـ قد تحب وأنت لاشىء ، وتتزوج وأنت أى شىء !

* * *

اكرهنى .. احتقرنى .. اقتلنى : ولكن لاتعطف علىّ !

* * *

هل أنا أكبر من سنى ؟

إن كل الناس أكبر من سنهم .. إنى ألاحظ أن إخوتى الأكبر سنا ، أقل فهماً للدنيا .. مع أن حريتهم أوسع ومستقبلهم أضمن وخطاياهم يراها المجتمع أخطاء صغيرة .. ولا تعوقهم نصائح أمى وتهديدات أبى ، وتكرار رسوبهم فى الامتحانات ..

مثلاً : جاء أخى الكبير يحكى بصوت مرتفع أن إحدى الطالبات قد لاحظت أن زراراً قد وقع من الجاكتة .. وأنها لم تكتف بأن لفتت نظره إلى الزرار ، وإنما مدت يدها دون أن تلمس يده ، ثم أسقطته على ظهر كفه .. أما تفسير أخى لما حدث فهو : أن هذه

الفتاة فى غاية الرقة ، وفى غاية الأدب .. لأنها لم تحاول أن تدعه يلمس يدها .. ثم إنها هى التى طلبت أن يسقط الزرار على ظهر كفه .. حتى لاتكون هناك فرصة لأن تلمسها أصابعه ..

وكان تفسير أمى : طبيعى يا ابنى .. إنها مثل أختك بالضبط .. وأنا عندما كنت مخطوبة لوالدك .. فكنت لا شعوريا أربط له الكرافتة .. كما كنت أفعل مع أخوتى الأكبر منى .. وكانت أمى تمنعنى .. والحقيقة أننى كنت أفعل ذلك دون تفكير ..

ويكون رد أخى : ياماما اطلعى من دول ! !

أما تفسيرى أنا : فهو أن أخى لايعرف أن المرأة دقيقة الملاحظة .. وأن فى إمكانها أن تعرف كم عدد الزراير فى الجاكتة وفى القميص وفى الأكمام .. دون أن يكون الشخص الذى أمامها تحبه أو لاتحبه .. إنها قدرة فذة عند المرأة .. والذى لم يفهمه أخى أنه يضع فى أصبعه اليسرى خاتماً ذهبيا مرصعاً بالماس هدية من جدته .. والذى يرى باطن الكف يخيل إليه أنه دبلة .. ولكن الذى يرى ظهر الكف يبهره أن به فصا من الزمرد نادراً وهذه الفتاة أرادت بغريزتها أن تعرف أن كان الفص طبيعيا أم لا !

هذه الفتاة هى التى أصبحت بعد سنوات خطيبة أخى ! إن انتصار هذه الفتاة تحية لى ولبنات جنسى .: ودليل على أنه لا رأى لى .. وحتى لو كان لى رأى فإن أحداً لن يصدقه فأنا صغيرة لا رأيت ولا سمعت ولا قابلت ولا قبلت : خام .. لوح .. صفحة بيضاء .. ولذلك من حق كل إنسان أن يتربع على أى مقعد مثل الكاتب

المصرى القديم .. أو مثل محمد على الكبير ويقول : أنا من رأيي .. نصيحتى لك .. اسمعينى تكسبى !

وأنا قررت ألا أسمع وألا أكسب عن هذا الطريق .. فإلى الزبالة يا كل هذه النصائح !

واحد مثل كل الرجال !

أنا اسمي : ص ..

قالوا لى : تزوجيه .. لن تجدى أفضل منه ..

فعلا هو شاب لطيف ظريف دمه خفيف عنده حكايات لا تنتهى .. دقيق الملاحظة يعرف أننى غيرت التسريحة .. والألوان التى أحبها .. ويحفظ أسماء العطور .. لدرجة أننى فى إحدى المرات وضعت عطر أربيج وهو عطر والدتى .. ثم ضايقت من هذه الرائحة العواجيزى ، فوضعت بدلا منه عطر شنشيلا .. فإذا به يقول لى : ماهذا .. ثم يقترب منى أكثر ويقول لى : هذا عطر جديد علىَّ .. ولكنه خليط من الأربيج والشانشيلا !

واندهشت جدا . ولكنى لم أقل له الحقيقة فأنا لا أريد أن أبدو أمامه مكشوفة .. معروفة .. فقلت له : يجوز .. ولكنه عطر جديد اسمه : لابلوى ـ أى المطر !

ولأنه متأكد تماما من معلوماته ، فقد ظهر عليه أنه لايصدق .

وتزوجته وبدأت المشاكل الصغيرة .. التى هى أمهات المشاكل الكبرى .. وقالوا لى مرة أخرى : وهل تظنين أن الحياة الزوجية عسل كلها ؟! .

وبدأت اتساءل عن الفرق بين الخيال والحب الواقعى .. أو الحب الرومانسى والحب القائم على الواقع .. أو الفهم الواقعى .. واختلفت الآراء .. فكنت اسأل أمى .. واسأل صديقاتى أكثر .. وزادت الخلافات ..

أناس يقولون : إن الحب الرومانسى مثل وجبة الطعام التى تبدأ بالفاكهة .. والفاكهة تصد النفس عن الأكل بعد ذلك . وقالوا : الحب الحقيقى هو الذى لاينتهى بشهر العسل .. وقالوا : الحب الحقيقى كأى مولود يجب أن يعيش فى كل الظروف .. وليس كالأطفال الذين يضعونهم فى الحضانات فى المستشفيات فى جو نقى وفى ظروف غير عادية .. غير الظروف التى سوف يعيشون فيها بعد ذلك .. أى أن الحب هو هذا المولود الذى يعيش فى ظروف صعبة ثم يستطيع أن يعيش على الرغم منها ، أو بسبب مقاومته الطبيعية لها ، ثم التغلب عليها .. الحب الحقيقى هو الذى يحبو ثم يتساند على المقاعد .. وبعد ذلك يمشى .. فهو قد تدرب على كل مراحل الحركة واشتدت عضلاته واستقام عوده .. أما الحب الفاشل فهو الذى لم يمر بمراحل المشى ، ونريد أن ندفعه إلى الجرى والسباق والانتصار فى النهاية ؟ ! .

وقالوا لى : ليس أحسن من الصراحة : كلميه فى كل شىء .. لا تتركى مشكلة واحدة دون أن تناقشيها معه أولا بأول .. لا تدعى المشاكل تتراكم واحدة فوق الثانية ، فتصبح حائطا يفصل بينكما ..

مثلا هذا الحوار قبل النوم :

أنا : لم تقل لى ماذا فعلت اليوم ..

هو : نفس الحكاية .

أنا : ماهى هذه الحكاية ؟.

هو : انت عارفة .

أنا : معقول ؟. لم يتغير أى شىء .. ألم تقل لى إن اليوم كان موعدك مع الدكتور ..

هو : آه ..

أنا : آه ماذا .. ماذا قال لك ؟..

هو : أنت عارفه كلام الدكاترة ..

أنا : ماذا قال ؟

هو : الحمد لله ..

أنا : الحمد لله ماذا ؟

هو : يعنى هل أنا أشكر ربنا على المرض ؟.. لابد أننى أشكره على الصحة .

أنا : نحن نشكر ربنا على كل شىء .

هو : على رأيك ..

أنا : أنت لم تسألنى ماذا فعلت أنا عند الدكتور .

هو : آه .. ماذا قال لك ؟

أنا : ولماذا أقول لك إذا كنت أنت لم تسألنى .

هو : الآن قد سألتك .

أنا : الآن ! ! أنا التى طلبت منك ان تسألنى .

هو : (يتثاءب) تصبحى على خير .
أنا : وأنت ..

* * *

لا هو قال شيئا ولا أنا قلت .. وإنما أنا أحاول أن أخرج الكلام من شفتيه بالقوة .. إنه لايحب أن يتكلم .. وإذا حاولت أنا أن اتكلم تثاءب .. أو قاطعني .. أو قام بتسخيف كل الذى أقول .. ولكن إذا جاءنا ضيوف فهو أكثر الناس كلاما .. وإذا حاولت أن أنبهه إلى أن يدع الضيوف يتكلمون فإنه يقول لى : أنا عارف أنت تريدينى أن اسكت حتى يتكلم الضيوف . سوف اسكت تكلمى أنت !

طبعا اجعلها نكتة . لأنه لامانع عنده من أن يجعلها مشكلة أمام الضيوف ويكسفنى أو يجعلها بداية لنكد طويل الأجل بعد أن ينزل الضيوف .

مثلا هذا الحوار أمام الضيوف .

هو : من عادتها أن تسألنى كل ليلة .. وماذا فعلت .. وماذا قلت .. وكيف كان رد الفعل .. وهل تذهب غدا . وهل وهل .. محاكمات لاتنتهى كل ليلة .. مع أننى أكون مرهقا جدا . أريد أن أصل إلى المخدة بأى شكل .

أنا : بالذمة ماذا افعل .. اننى لا أراه إلا بالليل .. هو ينام مبكرا وأنا أظل ساهرة حتى ينتهى التليفزيون .. وبعد التليفزيون احاول أن اقرأ الصحف والمجلات .. فلم يتسع وقتى طول اليوم لكى اقرأ .. وكل الناس يتكلمون عن الذى تنشره الصحف وأحيانا أجد نفسى كالحمارة

لاقرأت ولاعرفت .. وكل ليلة أجد نفسى بين أربعة جدران .. ابنى ينام فى غرفة أخرى . وهو نائم إلى جوارى .. وأنا أوحد الله .. وفى أحيان كثيرة قاعدة أكلم نفسى .. انه سجن من الصمت الرهيب .. حبس انفرادى .. فهل هذا هو الحب .. أو هل هى نهاية الحب . أو هذه هى الحياة الزوجية .. لاشىء نشترك فيه .. إلا الأكل .. وحتى اثناء الأكل لايتكلم أو أنا التى اتكلم . فإذا تكلمت فهو لايرد .. وإذا رد فكلمة أو كلمتان .. لأنه يعتقد أننى لا أفهم .. وإذا فهمت فكل الذى افهمه غلط فى غلط .. هو وحده الصح .. والفاهم والذى يعرف كل شىء .. أما أنا فتافهة .. أو ليس عندى كلام له قيمة .. ولذلك يحسن أن يسكت هو وأن أسكت أنا ، أو إذا كان عندنا ضيوف .. فإنه بسرعة يطلب إلى الرجال أن ينفصلوا بعيدا عن السيدات .. لنفس السبب .. وطبيعى إذا وجدت السيدات انهن بعيدات عن الرجال تكلمن فى الموضوعات الهامة .. الأطفال .. ومن التى تزوجت ومن التى انفصلت عن زوجها .. وعن الفساتين والحلاقين والأفلام .. والمجلات .. طبيعى .. أما هم فيتكلمون فى السياسة وفى الاقتصاد .. أو يتبادلون النكت العارية .. أو يسخرون من السيدات .. وإذا حاولت إحدى السيدات أن تجلس مع الرجال فإنهم يغيرون موضوع الكلام . وبسرعة اسمع زوجى يقول :

أنت طبعا التى طلبت من مدام أميره أن تتسلل إلى صفوفنا .. أنا اعرفك تماما . تريدين أن تعرفى ماذا نقول .. ولكن نحن لانقول أى شىء .. تعالى أنت قولى !

أنا : نحن سمعنا كل الذى تقولون .. ليست هناك أسرار .. أما النكت فغدا اعرفها .

هو : ومن الذى يقولها لك ؟

أنا : أنت !

هو : لن أقولها !

أنا : إذن هي .. زوجها يقول لها كل شيء .. انه ليس مثلك ..

هو : وأنا أقول كل شيء .

أنا : أنت ؟ أنت بئر !

هو : أنا بئر .. إذا كنت أنا بئرا فانت غطاؤه .

أنا : أنا ياحسرة ولا أعرف عنك أى شيء .. أننى اعرف اخبارك من بره بره ..

هو : أنت لاتعرفين أى شيء .. أنت تدعين المعرفة والفهم .. وأنت لاتفهمين أى شيء ..

.. أنا : (بصوت منخفض) عيب ليس أمام الناس .

هو : طبعا لاتعرفين .. ومن أين تعرفين .. طول النهار فى البيت .. غرقانه فى العيال والأكل والطبخ والحلاق والزيارات . والتليفونات .

أنا : كنت أريد أن أعمل مثلك .. ولكنك أنت الذى منعتنى عن العمل .. لاتنس أن معى نفس المؤهل .. إلخ .

وبسرعة لابد أن أغير الموضوع .. أو يغيره أحد من الضيوف .. أما هو فلا مانع عنده من أن يجعلها قضية .. ويكون الضيوف

طرفا .. وتكون فضيحة . وخناقة وابكى . وأنهار . وبعد ذلك يصالحنى ويعتذر لى .. وأندهش إذا كان هكذا يعتذر ويتأسف فما الذى يجعله يفعل ذلك . ما أغناه .. ما أغنانا .. ولكن الرجل مهما كان مثقفا أو عالما أو مجربا فهو طفل . انه يندفع بلا تفكير .. ويغضب ويغلط وعندما يفكر يعتذر .. فهو يغلط أولا ويعتذر ثانيا

وقالوا : كلهم متنيلون بالشكل ده .. كلهم .. المتعلم .. والجاهل .. زوجى والبواب والطباخ .. كلهم مجانين !

قلت للشغالة وقد لاحظت علامة زرقاء فوق حاجبها : ماهذا يا أم سمير ؟.

قالت : ياسيدتى .. انه المتنيل على عينه زوجى ..

قلت : ماله ..؟

قالت : مال على جنبه ماقام لاهو ولا أمه ولا أخته .. بالأمس عاد متأخرا . سألته . لايرد .. مالك يارجل ..

يقول : لاشىء .. اراك مكتوما .. ماذا جرى فى الشغل ..

يقول : عيشه زى الزفت ..

أقول له : نحمده . كل الذى يبعث به ربنا كويس .. الدنيا على الحال ده وعلى الحال ده حنعمل إيه .. مالك ؟ يقول لى : اسكتى أنت .. عاوز أنام .. اسكتى مش عاوز محضر هنا وهناك .. أقول : محضر ايه كفى الله الشر .. ماذا حدث .. سرقة .. ولاجريمة . مالك ياراجل كركبت بطنى .. أنت حتنام .. جاى لك نوم .. تشعللنى وتنام .. وينام ويشخر .. وفى الصباح بعد أن قدمت له الشاى

حاولت أن أكون لطيفة معه .. وحتى لايبقى فى نفسه شىء من ناحيتى فقلت له : يعنى يا أبو سمير أنت امبارح كنت شايل طاجن خالتك .. خير ان شاء الله .. ولم اكمل هذه العبارة حتى طار كوب الشاى وأصابنى فى وجهى .. والحمد لله كان الكوب خاليا .. ثم ترك الأكل وخرج وهو يقول : الله يلعن أبو الجواز . واليوم الأسود اللى شفتك فيه .. ورزع الباب ولم يعد إلا فى الليل !

فهل الرجال جميعا متشابهون .. المتعلمون والجهلة .. لايريدون أن تسألهم ولا ان تعرف منهم أو عنهم أى شىء .. فما هذه الحياة ؟ وبالضبط على أى أساس يرون أنهم أعظم واعقل ، ونحن أتفه واهيف .. ما الذى يعرفه أكثر منى .. لقد تعلمنا معا .. وإذا كان قد مارس عمله فى البنوك .. ويعرف بعض التفاصيل .. فهو ايضا لايعرف فى تربية الأطفال ولا فى إدارة البيت .. ثم أن كل مشاكله الخاصة أنا التى أتولى حلها .. وهو لايعرف إذا وقع فى مطب . ان يخرج منه .. وأنا الذى أقول وأنا الذى انجح فى اخراجه من كل مطب ومطب .. ولايعرف كيف يلبس ولاكيف يشترى أو يختار ملابسه .. ولايعرف كيف يجامل الناس .. ولاكيف يتعامل معهم .. وطول الليل والنهار أعتذر للناس عن اخطائه .. واقول إنه يرتكبها بحسن نية .. وهو عندما يغلط معى فانه يكرر ما أقوله له . وهو أنه يخطئ بحسن نية .

وفى يوم جلست وامسكت ورقة وقلما وعصرت دماعى ورحت اكتب كل الصفات والتهم التى الصقها بى فوجدتها هكذا : أنا

مستعجلة دائما .. طلباتى لاتنتهى ـ عصبية ـ دائمة الشكوى ـ لا أرى إلا العيوب مشغولة بنفسى ـ مغرورة ـ صوتى عالى ـ احتاج دائما إلى أن يقول لى الحاجة الواحدة مائة مرة .. فإذا سألته : هل ماتزال تحبنى .. يقول لى : امال يعنى اتجوزتك غلشان بأكرهك .. فأقول له : لازم تؤكد لى هذا المعنى .. لأنى أراك تقول كلاما كأنك تكرهنى .. كأنك قرفان .. كأنك لاتريد أن ترانى .. فيقول : ياستى والله باحبك .. باحبك .. فأقول له : أنت تريد أن تسدنى ان تكتمنى .. يجب ان تعرف أن المرأة عندها شعور بعدم الأمان وفى حاجة إلى أن تؤكد لها هذا المعنى دائما .. افرض أننى تافهة .. افرض ان عقلى صغير .. افرض أننى طفلة .. هذه الطفلة يرضيها دائما أن تجد حضن أمها وأبيها .. لأنها طفلة .. عاملنى على أنى طفلة . أرجوك .. فيقول لى : والله أنا احترت أعاملك كطفلة ولا أعاملك كزوجة .. كسيدة عاقلة ناضجة متعلمة .. فأقول له : المرأة انثى طفلة .. ثم أنه يصفنى بأننى حساسة زيادة عن اللزوم .. ثم أنه لايرى إلا أخطائى .. فأنا اترك الباب مفتوحا والنور مفتوحا والحنفية مفتوحة والتليفزيون اتركه مفتوحا والنور واجلس فى غرفة أخرى اتكلم فى التليفون .

قالوا لى : هذا الذى تفعلينه غلط .. لأن المثل يقول : عدوك يعد لك الغلط ، وحبيبك يبلع لك الظلط .. ابلعى .. واسكتى .. الرجال اخلاقهم ضيقة .. ابلعى والمثل يقول : خفها وهى تعوم .. أى المركب إذا كانت حمولتها ثقيلة ومهددة بالغرق الق بعض

الحمولة فى الماء .. وبذلك تصبح خفيفة واقدر على النجاة .

ولكنى لم اكتب له عيوبه هو فى ورقة .. ولاهو حاول ان يكتب عيوبه ، أى الصفات التى الصقها أنا به ظلما وعدوانا .. لم يفعل كأنه لايقر بعيوبه .. وكأن أى كلام أقوله يدخل من هنا ويخرج من هنا .. فكأننى لاقلت ولاشكوت .. كأننى طفلة .. أو تافهة .. ولاقيمة لما أقول وكأنه هو أكبر من أى كلام .

سألت ماما : بابا كان كده ؟

قالت : فى الأول يا ابنتى !

سألت : يعنى من كم سنة من الزواج ؟

ماما : فى الخمس السنوات الأولى .. كان لايطاق .. ولكن بعد ذلك ربنا هداه .

قلت : هداه ولا هده ؟!

ماما : يابنت عيب تقولى على أبوك كده .

قلت : كل الرجال زى بعض .. أبويا وأبوك .. وجوزى وجوزك وابنك وابنى .. قطيعة !

ماما : جرى لك ايه .. كنت عاقلة .. وكنا نضرب بك المثل .. عين وأصابتك ! والنبى عين .. باسم الله الرحمن الرحيم .. من شر النفاثات فى العقد .. ومن شر حاسد إذا حسد .

أنا : حسد على ايه .. على السعادة اللى أنا فيها .

هى : على ايه ؟ على جمالك .. وعلى كماله هو .. على الصحة والسيارة .. والفلوس .. والمنصب .. والشقة .. والسفر إلى المصيف

كل سنة .. وعلى الخواتم الماسية فى أصابعك .. وعلى الخدامة والطباخة والسواق .. احمدى ربنا .. من شر حاسد إذا حسد .. فلا يحسد المال إلا اصحابه .. أننى أخاف عليك من عينى أنت التى قلت إن الشاعر القديم قال كده : أنى أخاف عليك العين ، ياعينى ! ثم عادت تقول : هل تعرفين ان كل من يسأل عنك اقول له : كويسين .. ربنا يهدى سرهما .. ربنا يعقلهما .. واعطى للناس انطباعا انكما تتشاجران .. الحسد يا ابنتى الحسد ..

وفى ليلة جاءت ماما .. قلت لها : ياماما شىء غريب حدث اليوم . لقد جاء ولاحظ أن فستانى الجديد انيق جدا . وقال لى : لابد أن نخرج اليوم ليرى الناس الجمال والاناقة ويتساءلون : من هذا السعيد الذى تزوج هذه الست الحلوة .. مش عارفه ياماما .. هوه كان سكران والا إيه .. فهو لم يقل ذلك من خمس سنوات .. هل كان أبى يفعل ذلك .. فهمينى قبل دماغى مايسقط من فوق كتفى .

قالت لى ماما : والنبى جوزك غلبان معاك .. ان قال لك عن الفستان إنه جديد بتقولين له : قديم .. ولبسته ثلاث مرات قبل كده .. افرضى أنه أراد أن يقول لك مجاملة فلماذا تكسفينه . لماذا تؤكدين له أنك ضابط بوليس .. وانه من المهم جدا ان تضبطيه متلبسا بالنسيان .. أنا جلست إليه أمس وتكلمنا طويلا وطلبت منه ان يلتفت إليك ، أنه يحبك وأنت تحبينه ولكن الدنيا تلاه يا ابنتى .. وقد أخذ بنصيحتى ولحسن الحظ كان فستانك جديدا جميلا .. هذا كل ماحدث .

قلت : يعنى أنت التى قلت له .. أى أنه لم يقل ذلك من نفسه ؟

ماما : من نفسه .. من نفسى .. المهم أنه قال .. وإنك انبسطت .. وخرجتما معا وكانت ليلة سعيدة .. الحمد لله أنا : وهل كان أبى يفعل مثله ؟

هى : مرة واحدة قال لى على خاتم فى أصبعى : مبروك .. وكان هو الذى اشترى هذا الخاتم فى عيد ميلادى من سنتين .. وكسفته وقلت له : جرى لك ايه عقلك فين .. انه قديم .. فحلف بالطلاق بالثلاثة أنه لن يبدى ملحوظة واحدة كويسة أو حسنه على أى شىء البسه حتى يموت !

* * *

وفى الصباح سألنى زوجى ان كنت قد انبسطت أمس .. وقبل ان أقول له شكرا .. وجدته يقول لى : ليلة امبارح كلفتنى أكثر من مائتى جنيه .

وأحسست أنه قد القى فوق دماغى جردلا من الماء البارد ـ مع أنه لم يكن يقصد ان يعيرنى أو يمن علىَّ .. ولكن أنا تضايقت وفكرت ان اقطع فستانى الذى اعجبه والقى به من النافذة ؟!

ولكنى ضحكت فالستات كالرجال : مجانين أيضا !!

١

يومها تمنيت
ألا ينتهي الطريق !

ـ أنا اسمي : ك ....

كل الظروف تدعوني إلى أن أكون متشائمة . ولكني لست كذلك . فقد تعلمت ذلك من أمي . فهي من أكثر الناس الذين عرفتهم صبرا وقدرة على الاحتمال . وتحويل الخرائب إلى بيوت صغيرة . وتربية البيوت الصغيرة لتكون قصوراً . كيف ؟ هذه قدرتها ..

أنا ولدت مع النكسة العسكرية فى مصر . نفس اليوم . وولد فى هذا اليوم ملايين فى الكرة الأرضية ، وضعف هذا العدد من الحيوانات ، وأضعاف هذا العدد من الحشرات .. فما المعنى ؟ لامعنى .. إنها صدفة . ولابد أن يولد وأن يموت وأن تظهر شمس وتغرب فى مثل هذا اليوم وفى كل يوم .. ولا أظن أن هناك علاقة بين الأرقام على ساعاتنا أو فى نتائج الحائط وبين حياة الناس ومصائرهم .. هذا ما كانت تقوله أمي كلما تشاجرت مع إخوتى وقالوا لى : أنت ولدت فى يوم نحس .. ويكون رد أمي على إخوتى : ويوم مولدك كان فيه كذا وكذا .. وأنت يوم مولدك ماتت فيه عمتك وانكسرت ساق خالك .. إلخ .

ولم أعرف بوضوح معنى النكسة أو الهزيمة .. أو « الوكسة » كما كانوا يسمونها .. ولكن بمرور الوقت عرفت .. وكل الذى عرفته أتفه كثيرا جدا من الذى عانيته فى بيتنا .. فقد عاد أبى مريضا من الجبهة . لا أعرف مرضه بالضبط .. فهو سليم اليدين والساقين والعينين . وإنه رجل لطيف . يحب النكتة . وكانت نظرته لى فيها الكثير من الحزن .. كأنه يريد أن يقول : وأنت ما الذى أتى بك .. لقد كانت الدنيا قبلك وبغيرك أجمل .. فأنت همٌّ جديد . لا أعرف كيف أواجهه ولا كيف أتخلص منه !

وعلى الرغم من أن والدى عاد سليما ، بينما صديقاتى وزميلاتى فى الدراسة وجارات فى الشارع فقدن الأخ والأب .. وارتدين السواد سنوات طويلة .. وكنت أفكر كثيرا فى حالنا .. لماذا لسنا سعداء . كل شىء موجود عندنا .. الأكل والشرب والشقة والسيارة . وملابس جديدة . وأعياد الميلاد تقام فى مواعيدها ونتلقى جميعا الهدايا .. ولكن لسنا سعداء .

وفى يوم سألت أخى الأكبر : هل هناك شىء ؟

فقال لى : ماذا تقصدين ؟

قلت : سر لا أعرفه .. فالحزن واضح فى ملامح والدى .. وأحيانا ألاحظ أمى تبكى إذا جلست وحدها . وتحاول أن تبدو غير ذلك إذا رأت واحدا منا .. كأنها أرادت أن يكون حزنها لها وحدها .

فأجابنى أخى . وكان كلامه نوعا من الزغد والقرص لكى أصحو

من النوم : أنت لاتعرفين أن والدنا يتردد على أحد المستشفيات .

قلت : لماذا ؟

قال : للأهوال التى رآها فى الحرب .. أنه يصرخ فى عز النوم . ويقفز من السرير ويطلق الرصاص على العدو .. يجعل يديه كأنهما تحملان سلاحا ثم يقول بصوت مرتجف : طخ .. طخ .. طخ .. ارفع يديك !

قلت : وأنا فى ذهول : متى ؟!

قال : كل ليلة !

لقد انتهت الحرب فى الميدان .. ولكن الحرب قائمة فى عقل والدى ونومه وأحلامه .. وأمى تقوم كل ليلة فى فزع تحاول اقناعه بأنه يحلم .. وانه لاحرب .. كل ليلة ؟ يانهار أسود .. هذا الرجل اللطيف الرقيق الوسيم يصرخ كل ليلة .. وهذه الأم الضاحكة دائما لاتعرف طعم النوم كل ليلة من عشرين عاما .. ماهذه الكيمياء التى تستخدمها أمى .. كيف تحول الفزع والخوف والقلق والأرق والحزن إلى ابتسامه صافية على وجهها .. كل ليلة ؟ كيف تستطيع أن تعزل نفسها وزوجها عنا .. كيف انني لم اسمعها تشكو مرة واحدة .. كيف لم اسمعها تذكر اسم المستشفى الذى يتردد عليه والدى .. ولا مرة .. ولاغلطة .واحدة .. إلى هذه الدرجة هى حريصة على شعور أبى .. وإلى هذه الدرجة هى حريصة على تماسك أسرتنا الصغيرة . وإلى هذه الدرجة تحمل على ظهرها وعلى عقلها وعلى قلبها كل هذه الهموم القديمة والجديدة فى ثبات الجبال . عظيمة أنت يا أمى . ومسكين

وبطل أنت يا أبي .. فما الذى يمكن أن أساهم به .. هل أستطيع أن أظل فى حالة صمت . كأننى لا رأيت ولاسمعت .. فهل استطيع بعد أن سمعت كأننى رأيت .. بل لست فى حاجة إلى أن أرى .

وفى إحدى الليالى رأيت فى نومى حوارا دار بينى وبين أبى . قلت له : إننى حزينة من أجلك .. حزينة عليك وأكثر حزنا لأننى لم أعرف ، ولا نهاية لعذابى بعد أن عرفت .. وبعد أن رأيت حرصك الهائل على أن تعزلنا عنك .. فلا تنتقل عدوى آلامك إلينا .. إن الأبوة شيء خارق للعادة .. والأمومة نوع من المناعة الجبارة .. فالأم تعزل نفسها وسط همومها وتمنعها ان تتسرب إلينا .. سبحان الله لقد زود الأمهات والآباء بقدرات إلهية من أجل ألا تحمل الأجيال القادمة خطايا الأجيال السابقة .. ولكن لقد عرفن ياوالدى كل شيء !

وإذا به يغضب ويقول : غلطانة أمك .. ماكان يجب ان تقول كلمة واحدة .. لقد حلفت على المصحف .. فماذا أفعل بها الآن ؟

قلت : إنها لم تقل . أنا الذى سمعت ذلك عند منتصف الليل .

قال : وماذا سمعت ؟

قلت : كلاما كثيرا وصراخا ..

قال : أقسم لك يا ابنتى أننى عندما وقفت على بابك فى تلك الليلة .. كان من الخوف عليك .. لقد رأيتهم يعتدون على النساء .. سبعة يعتدون على واحدة .. رأيت ذلك بعينى .. وتمنيت أن أنام على بابك حتى لاتخرجى إلى الشارع .. ولكنى قتلتهم جميعاً .. فتحت

بطونهم بالسكين واحدا واحدا .. هكذا ..

وصحوت من نومى .. واندهشت كيف جاءتنى هذه المعانى . مع أننى لم أسمعها من أحد . لا من إخوتى ولا من أمى . ولم أستطع أن أسكت على هذا الحلم المروع .. واتخذت قراراً وجلست وحدى وطالت جلساتى وحدى . ورأت أمى الدموع فى عينى . وسألتنى . واخترعت لها قصصاً . محبوكة . قلت لها : إن فلانة تعيرنى بأن أحداً لم يخطبنى . وأنها مخطوبة من خمس سنوات . وكان ردى عليها أننى لن أفكر فى أى أحد قبل تخرجى فى الجامعة .. وكذبت عليها وقلت لها تقدم لى فلان وعلان وابن عمى وابن خالتى .. ومليونير مصرى يعيش فى أمريكا ..

وقالت أمى : ولكنك لم تكذبى ياحبيبتى .. فعلاً تقدم لك كل هؤلاء .. وآخرهم الشاب الذى زارنا مع ابن خالتك أمس .. إنه مهندس كيمياء يعمل فى شركات الأدوية بألمانيا .. وقلت له : بعد أن تتخرجى .. ولما طلب منا أن نعرض عليك الأمر رفضت أنا ووالدك ، لأن والدك لا يريد أن يشغلك عن الدراسة .. فوالدك لايحب أن يكرر قصتى أنا .. فقد تزوجت قبل أن أكمل تعليمى ..

وفى مرة أخرى وجدتنى أبكى . فسألتنى . فقلت لها : إنه أحد الزملاء السخفاء وصفنى بأننى سمينة !

وغضبت أمى وهى تقول : تخينة .. وزنك ٦٨ كيلو جراماً وطولك ١٧٥سم .. إنه هو صاحب العقل التخين. أنت صغيرة ياابنتى .. فمن عادة الرجل أن يعاكس المرأة بإثارة اهتمامها .. بأن يلفت

نظرها فيغضبها .. وفى اليوم التالى يعتذر لها . وكلمة من هنا وكلمة من هناك .. فتكون العلاقة السهلة التى يريدها الشبان .. إن زواجى من والدك كانت له بداية مضحكة .. فنحن جيران .. وفى إحدى المرات كان يمشى وراءنا هو وعدد من الشبان .. وفجأة وجدته يقول بصوت مسموع ، ولا أدرى لماذا أحسست أنه يتحدث عنى أنا ويقول : يمكن موضة .. الشكل ليس مهما . المهم اللون .. وبسرعة نظرت إلى حذائى .. فوجدت أننى قد ارتديت جزمة كل فردة لها شكل . وإن كانتا من لون واحد .. فنظرت ورائى فى غيظ .. وإذا به يقترب منى قائلاً : أنا آسف .. والله لا أقصد السخرية . وإنما أنا لا أستبعد أن تكون موضة .. فموضة المرأة لامنطق لها .. والحقيقة أنه كان جاداً .. ورأيت الصدق والخجل فى وجهه .. ثم رأيته ورائى .. وكانت النظرة التى أفضت إلى الزواج !

ونسيت أمى أنها روت لى قصة أخرى أدت إلى الزواج ـ ولكنها تحاول أن تخفف عنى !

وشجعنى هذا الحوار مع أمى .. وشجاعتها الرقيقة .. وصدقها وإخلاصها وحرصها على أن تخفى متاعب والدى عنا .. كل ذلك جعلنى كلما رأيتها بدلاً من أن أقبل خديها ، أقبل يديها .. وأبكى . وأمى لاتفهم .. وكانت تضحك وهى تقول : ما الذى عملته لك ياابنتى حتى تغرقينى بقبلاتك ودموعك .. مالك ياابنتى .. كلمينى !

قلت : فعلاً عندى ما أريد أن أقوله لك .. عندى منذ وقت طويل .

قالت : وهذا إحساسى الذى لايخطئ . قولى يا ابنتى .. أنا أمك وأختك ..

قلت : أنت أكثر من كل ذلك .. أنت مثلى الأعلى .. أنت الأمومة فى أسمى صورها ..

قالت : قولى يا ابنتى ..

قلت : هل نجلس معا بعد المذاكرة .. بعد أن يكون بابا قد نام ..

قالت : لا .. لا .. يا ابنتى قبل أن ينام .. لأن والدك يجب أن يأخذ الدواء فى موعده .

وكانت هذه أول مرة أسمع من أمى أن والدى يتعاطى دواء فى مواعيد محددة .. حتى هذا ، قد أخفته أمى عنى .. مع أن كل الناس يتعاطون دواء من أى نوع .. وقد خجلت من نفسى وتمنيت أن أضرب رأسى فى الحائط أو أقطع لسانى .. فقد طلبت منها أن يكون للقاء بعد أن ينام أبى ، لعلى أسمعه وهو يصرخ وأراها وهى تسرع إليه .. خجلت من نفسى أن تدفعنى الرغبة فى المعرفة إلى هذه الفضيحة .. فضيحة أبى حبيبى وأمى حبيبتى .. واحتقرت قسوتى عليهما ، ورغبتى فى أن أعرف .. وأن تكون هذه المعرفة على شكل ضبط جنائى .. على شكل «كبسة» .. ووجدت لنفسى العذر فقلت لعلها دراسة القانون هى التى أنستنى من هو ومن هى ومن أنا .. وماذا يفعلان من أجل سلامة نفسى وأمانى الاجتماعى ومستقبلى ..

وقلت لأمى : ليكن اللقاء فى أى وقت تجدينه مناسباً .

وأعذرينى إذا كنت قد طلبت أن يكون بعد نوم والدى .. فأنا لم أكن أعرف أنه يتعاطى دواء من أى نوع .. فهو الشباب والحيوية والصحة والمرح والحنان وعظيم الاحترام لنا جميعاً . إنه أعظم أب وأنت أعظم أم !

وإنه لذكاء فريد من أمى أن تدعونى إلى غداء خارج البيت ..

وهى تقول : أنت لم تعودى صغيرة يا ابنتى .. أنت عروسة جميلة .. أخذت من والدك لون بشرته وسحر عينيه وطوله .. وأخذت منى الأنف والشفتين والقوام .. والباقى قد أعطاه الله من عنده ..

فى ذلك اليوم شعرت بسعادة لا أعرف كيف أصفها .. أنا وأمى أختان .. الله على المعانى .. الله على الكلام .. نجلس معًا .. أنا الجميلة التى تجمع صفات الأبوين .. والله قد أضاف صفات أخرى من عنده .. أروع وأجمل ما سمعت .. ولا أعرف كيف استطاعت هذه الكلمات أن تزرع الريش فى كل جسمى .. فكنت لا أمشى وإنما أطير .. ولا أعرف كيف أن الدنيا أمامى قد اكتسبت ألوان الأفلام الأمريكية .. السماء زرقاء جدا .. والسحب بيضاء جدًا .. والسيارات كاديلاك .. والفتيات جميلات والشبان فى غاية الرشاقة .. وكل شىء يضحك لى .. وأضحك له .. ونظرت إلى أصابعى فقد امتلأت بالخواتم الماسية .. وتخيلت أن فى كل يد طفلاً صغيرًا .. على جانبى طفلان .. وأمامى ابنتى الكبرى .. وورائى ابنى المتوسط .. أما زوجى ففى مكتبه .. كل ذلك تخيلته وأنا أمشى إلى

جوار أمى .. أما أمى فهى جميلة جميلات الشاشة .. وتخيلت أن الناس يقولون لى : هى أختك الكبرى .. فأقول .. نحن توأمتان .. ويضحك الناس .. قائلين : لابد أنها ولدت قبلك بيوم .. ونضحك .. ونضحك .. وأجدنى أعانق أمى وأميل على كتفها .. وأقول لها : أتمنى ألا ينتهى هذا الطريق .. وأن نظل هكذا جنبًا إلى جنب .. فأعظم ما فى الدنيا هذه السعادة .. أليس كذلك يا أمى !

ووجدت أمى تهزنى وتقول لى : أنت ذهبت بعيداً .. وصحوت فوجدت أننى أجلس فى مواجهة أمى فى إحدى السفن النيلية .. وأمامى وأمامها عصير البرتقال ..

وبدأت هى الكلام فقالت : أنا عرفت كل شىء يا ابنتى !

فانزعجت وقلت : أى شىء ياماما ؟

قالت فى هدوء شديد : عرفت أنك فى حاجة إلى هذه الجلسة .. أعذرينى يا ابنتى .. إنها مشاغل ومشاكل .. الحمد لله .. مادمت ناجحة فى الكلية .. وأخوك الأكبر قد وجد عملاً .. وأخوك الأوسط سوف يتخرج هذا العام .. وأنت ؟. والله يا ابنتى لا أعرف .. إن والدك يفكر بعد أن تتخرجى وربنا يسعدك فى بيتك ، يسافر إلى أوروبا شهوراً .. تعبنا يا ابنتى .. وأبوك تعب جداً ويريد أن يستريح بعيداً .. وسوف ندعوكم إن شاء الله لتمضية بعض الوقت معنا .. فليس من السهل أن تنقطع هذه الصلات العميقة بيننا لأى سبب .. ربنا كريم !

قلت لها : تصورى ياماما .. كان نفسى أقول لك هذا الكلام ..

ولكن خفت أن يساء فهمى ..

قالت : يساء فهمك ؟ من الذى يسىء فهْمك يا ابنتى والعياذ بالله .. أنت ؟ أنت الفراشة .. الوردة .. النسمة .. النعمة التى أرسلها الله لنا .. من يومين كان والدك يقول لى : لو كان ربنا جعل زواج الأب من ابنته حلالاً ، لتزوجتها .. فليس أحد أحق بها منى .. وضحكنا .. وقلت له .. والله نفرض أن هذا صحيح .. كيف يكون شعور الأم إزاء البنت التى أصبحت منافسة لها فى زوجها .. الحمد لله أن ربنا قد جعل ذلك حراماً !

ولم أكن أعرف أن هذا هو شعور أبى .. كلام جديد .. ومشاعر باهرة .. كل ذلك فى يوم واحد .. إن هذه غارة جوية بكل الأسلحة على أعصابى وعلى خيالى .. ولا أذكر أننى نمت فى تلك الليلة .. ولا أذكر أن ليلة مضت دون أن أجدنى نائمة على صدر أبى وهو يبكى وأنا أبكى ..

واعتدت أن أصحو والدموع على وجهى .. على مخدتى ..

واندهشت أمى كيف أننى أحرص على أن أضع مخدتى فى البلكونة كل صباح لتجف دموعى .. ثم اعتادت على ذلك .. ولكنها لم تعرف السبب !

٢

صارحيني فقد كبرت !

قلت لأمي : عندى خبر يهمك !

قالت : أعرفه .

قلت : لاتعرفينه !

قالت : بل أعرفه وأعرف ردك .. وهذا ماقلته نيابة عنك .

قلت : لا أفهم ..

قالت : أنت نزلت من هنا ، وجاء هو مع والدته .. وطلب أن يتقدم لك .. فاعتذرت بأنك لاتفكرين الآن .. وأن هذا ماقلته أنا دائما لكل خطابك ..

قلت : من هذا يا ماما ؟

قالت : إنه ذلك الشاب الذى قال عنك إنك تخينة .

واندهشت جدا فقلت لها : ومن هذا الذى قال ذلك ؟

قالت : أنت نسيت .. إنه ع .. أنت نسيت ؟

وتذكرت أننى إخترعت هذه القصة ولم يحدث أن قال لى ذلك .. شىء عجيب أن يكون هذا الشاب بالذات هو الذى جاء يتقدم لى .. كأننى تمنيت أن يحدث .. وتمنيت فى نفس الوقت أن أرفضه .. وحتى لاتستغرقنى هذه الدهشة فتظن أمى أننى أفكر .. أو

أنى أريد أن أتراجع .. فقلت لها : عندى خبر غير هذا .. وأهم .

قالت : أهم من هذا ؟

قلت : جدا جدا .. إن زميلاتى قد دعونك أنت وحدك إلى عشاء معنا فى النادى .. عشاء حريمى .. وسوف تعودين إلى البيت قبل نوم أبى بساعة .. مارأيك !

وظهرت السعادة على وجهها .. ولكنى تضايقت من نفسى مرة أخرى .. فقد أحسست أن السبب الحقيقى وراء هذه الدعوة هو أن تستمع أمى إلى ماتقوله الزميلات .. أو إلى أفكارهن وإلى أية درجة هى مختلفة عن أفكارى . ثم رضيت عن نفسى مرة أخرى . فسوف تسمع أمى عن رأى هؤلاء الصديقات فى الأم والأب والأخوة والزواج .. وسوف تدرك الفارق الكبير بينها وبين أى أم .. وهذا ماسوف يسعدنا نحن الاثنتين .. ولذلك قررت ألا يكون الحوار بعيدا عن هذا المعنى . ولا أعرف كيف أقنع الصديقات المهرجات بذلك .. ولكن سأبذل أقصى ما أستطيع من أجل إسعاد أمى .

وفى النادى قدمت صديقاتى لأمى .. ولم تكن قد رأت إلا واحدة منهن . فقلت : ماما .. هذه فريدة .. أنت تعرفينها .. صديقة العمر .. وأمها حبيبتك .. وهذه آمال زميلتى من كلية التجارة صعيدية .. وزينب أرقنا جميعا ولذلك حاسبى على كلامك معها ، فهى تغضب بسرعة وتضحك أسرع .. وقلبها طيب جدا .. وليليان أمها ألمانية .. ولكنها مصرية وهى أقوانا جميعا فى اللغة العربية وأكثرنا حبا للشعر ، ومن آمالها أن تكون راقصة شرقية .. لأن

راقصات البالية لايكسبن مليما فى مصر . وهذه ماما .. أعظم ماما فى الدنيا .. فى دنياى . وأتمنى أن تكون كل الأمهات مثلها : طيبة قلبا وحبا وصبرا وتضحية . ثم إننى لم أشعر أنها أم .. أنها اختى الكبرى .

وتأثرت ماما جدا . وقالت : أنا سعيدة بأن تكن جميعا صديقات .. جميلات جميعا .. أنيقات محترمات .. والله ياكاميليا يا ابنتى لا أعرف كيف أعيش من بعدك .. أما أنا فسوف أجد والدك ، ولكن والدك لن يجدك .

قلت : قولى ياماما مارأى بابا فى الزواج من ابنته ؟

قالت : والله نحن نضحك كثيرا .. انه يقول لو كان ربنا شرع زواج البنت : لتزوج ابنته كاميليا .

فريدة : شىء عجيب .. إن والدى يقول نفس الشىء ..

يقول لو شرع ربنا الزواج لطلقنى ثلاثين مرة .. يتزوجنى خمس دقائق ويطلقنى لا بالثلاثة ولكن الثلاثين !

زينب : أمى لها نظرية أخرى .. فأنا وأخى توأمان .. وكثيرا ماتبكى أمى فى كل مرة ترانى جالسة مع أخى التوأم .. ولنا حكايات لاتنتهى .. ونفهمها وهى طائرة .. بينما تظل أمى وحدها لاتجد من يكلمها وهى تصعب علينا كثيرا جدا .. ونحاول أن نشركها معنا فى حديثنا .. ولكن لاننجح كثيرا .. فأنا وأخى التوأم فى كلية واحدة وفى سنة واحدة .. وعندنا حكايات ومشاكل .. وفى يوم وجدت أمى تبكى وتقول : يارب الفراعنة كانوا يتزوجون اخواتهم .. فلماذا لم

تجعلنى أعيش أيام الفراعنة .. ويتزوج ابنى ابنتى ويعيشان معى .. فمنذ وفاة أبى فى العدوان الثلاثى وكان إماما لمسجد بلدنا ، وأمى تطلب من الله هذه المعجزة ؟!

إنه قادر على كل شىء ! هاها .. هاها ..

أمال : الله يلعن الزواج وسنينه .. والله ما أنا عارفه إذا كنت متزوجة .. أو مطلقة .. أو أرملة ..

ماما : لماذا الشر بعيد يا ابنتى !

أمال : كتبنا الكتاب من هنا وحدث انفجار فى المصنع .. وربنا افتكر عريسى .. وانسدت نفسى عن كل شىء فى الدنيا .. وأنا مستعدة أن أتزوج أبى وأخى .. الاثنين معا والآن وفورا .

وقلت لماما : إنها تضحك .. فهى ابنة وحيدة .. ثم إن والدها قد مات فى العام الماضى .. أما ليليان فليست لها مشاكل .. إنها تعرف ماتريد وعندها العريس والفلوس ..

وكلام من هنا ومن هناك .. وكانت ماما سعيدة جدا .. وحمدت الله أن أحدا لم يجرح أحدا كما هى العادة إذا جلسنا معا وكانت ماما سعيدة عندما رأتنى بين صديقاتى .. وكانت هى الأم الوحيدة .. ثم جاء الجرسون يقدم لنا « تورتة » عليها خمس شمعات .. واشعلت التورتة ، كما اتفقت مع صديقاتى دون ذكر السبب .. وسألتنى أمى عن المناسبة فقلت لها : كل سنة نحتفل بصداقتنا الحميمة .. ونشكر الله على أن أحداً لم ينقص .. أليست هذه مناسبة عظيمة ؟!

وفى الطريق كنت انظر إلى أمى فأجدها سعيدة . سألتها : مبسوطة يا ماما ؟

قالت : جدا يا ابنتى .. والله أنا استرحت وضحكت من كل قلبى .. ربنا يديم عليكم الصداقة والحب .. ويسعدكم يا بناتى .. الله على صفاء النفس يا ابنتى .. الله على روقان البال .. الحمد لله .. الدنيا ماتزال بخير ..

وصارحت أمى بحقيقة التورتة واندهشت لذلك جدا .. وتعجبت . ولكن عانقتنى وراحت تقبلنى .. والدموع فى عيوننا ..

قالت لى : ياسلام عليكِ يا كاميليا .. أنت لاتنسين أبداً .. ربنا يكملك بعقلك ويزينك بأدبك ، ويعطى لك على قدر صدقك .. فعلا .. من خمس سنوات بالضبط .. دعوتك إلى غداء .. أما السبب الحقيقى .. فقد كنت أنا فى حاجة إلى أن أجلس وحدى .. فوالدك قد أجرى التحاليل فى الدم .. وكان قلبى يتقطع حزناً عليه .. ولم استطع أن أصبر على ساعة تسليم نتائج التحاليل .. فجلست إليك أحدثك فى كل شىء .. وربنا وفقك فرحت تكلمينى فى ألف حكاية .. ومضى الوقت .. ولما ذهبت لمعمل التحاليل .. الحمد لله .. لقد اسفر التحليل عن سلامة دم والدك .. ألف شكر لك يارب !

قلت : سلامة بابا يا ماما .. ماذا عنده ؟

قالت : عنده .. والله يا ابنتى لا أعرف ما الذى عنده .. صحته كويسة والحمد لله .. ولكن أعصابه يا ابنتى .. أبوك قاسى كثيرا فى

هذه الدنيا .. أنه جمل .. شيال الحمول .. أنت كبيرة الآن .. وتقديرين كل شيء .. أبوك لايزال يا ابنتي يسمع دوى القنابل والمدافع .. ولايزال يذكر أصدقاءه الذين كانوا إلى جواره ووراءه وأمامه .. كلهم ماتوا .. رأى الموت فى عيونهم .. ورأى الصرخات .. رأى الفرسان والجدعان الشبان يموتون والسلاح فى أيديهم .. وكلمة : لا إله إلا الله .. آخر مايقولون .. لم يتسع وقت واحد منهم ليوصى الآخر.. أبوك كان له صديق .. فى كل مرة تصيبه الشظية كان يقول : وصيتك زوجتى وابنتى .. وكان أبوك يسد فمه .. ويقول له : معك فى سبيل الله .. أبوك يا ابنتى جدع شهم .. عنده ألف حكاية وحكاية .. ماتزال حية دامية صارخة .. كأنها وقعت بالأمس .. إنه يصرخ .. يعوى .. يتلوى .. يبكى .. ينهار .. ولكن ولا دمعة واحدة من عينيه .. شىء عجيب يا ابنتى .. إنه رجل فى مرضه .. فى حزنه ..

قلت لأقطع كلام أمى وأحاول أن أغير الحديث : ولكن يا ماما .. كل الضباط والجنود الذين حاربوا .. والذين نقلوا فى الظلام والدخان إلى المستشفيات لاينسون هذه الأيام .. وحتى إذا عاشوا فإن الحرب ماتزال أقوى فى عقولهم وقلوبهم .. أقوى من أى وقت .. لايعرفون النوم إلا على الأرض .. إننى أعرف رجالاً عظاماً لاينامون إلا بملابسهم كاملة .. وإلا على الأرض .. وبعضهم ينام والسلاح تحت رأسه .. أو فى يده .. أننى رأيت فيلما عن الحرب العالمية الثانية لجنود لايستطيعون أن يروا النساء نائمات على الشاطئ .. يصرخن

والناس تخاف منهم .. فهؤلاء الضباط قد رأوا العدوان على الرجال والنساء .. ورأوا القوات تدوس النائمات بالسيارات .. بعد أن يغتصب الجندى الفتاة الجميلة وهى تصرخ يفتح بطنها بالسكين .. ولا قدرة لهم على رؤية الأطفال .. فقد رأوا الألوف ضالين فى الشوارع والخرائب .. والمدافع تحصدهم حصدا ..

وقالت أمى : الآن أنت كبرت ياحبيبتى .. وكل شىء راح وانتهى .. هل تعلمين عندما عرف أبوك بأننى ولدت له طفلة جميلة انهار .. ونقل إلى المستشفى غائباً عن الوعى شهوراً يصرخ : بنتى حبيبتى .. عروستى .. قتلوها .. ذبحوها .. بنتى .. بنتى .. ومضت شهور طويلة ثقيلة .. وأقنعنا والدك بأننى ما ولدت .. ولا أستطيع .. فقد أدت هذه الصدمة النفسية إلى أن أصبحت أنا أيضاً عاجزة عن الاقتراب من أبيك .. لاهو قادر ولا أنا راغبة .. ولم ير وجهك الجميل إلا فى أول عيد ميلاد لك .. وكانت سعادته لاحد لها .. وقد أشفقنا عليه من هذه الصدمة السعيدة ..

وعانقت أمى وأنا أقول لها : كفى ياماما .. كفى يا أمى ياشجاعة ياعظيمة .. لننسى الماضى البشع .. والحمد لله .. على صحة بابا وعلى سلامتك .. وعلى ترابط أسرتنا ونجاحنا جميعاً .. إن هذا النجاح هو تعويض متواضع عن العذاب والشقاء الذى عانيته ياماما .. ربنا يقدرنى ويقدرنا جميعا أن ندخل السعادة على قلبك .. وعلى عقل بابا .. وعلى أيامنا معا .. كفى ياماما .. يا أجمل أم .. إن الراحة التى أراها على وجهك هى إنعكاس صادق للراحة التى فى نفسى لأول

مرة منذ سنوات طويلة .. كفى !.. كفى !

* * *

كذبت على أمي .. فلا أنا شجاعة ولا أنا سعيدة .. إن كل كلمة صدرت من قلب أمي كانت لغماً فى حقل لا أول له ولا آخر .. حقل ألغام قررت أن أدوسه وحدى عندما أنام فى فراشى لتنفجر كلها دموعاً فى عينى .. لقد وضعت رأسى تحت المخدة تحت السرير .. وبكيت وبكيت بكل قدرتى .. حتى لم تبق فى جسمى قطرة ماء .. ولا فى أعصابى عصباً واحداً لم يتمزق .. أصبحت مثل آلة موسيقية تقطعت أوتارها .. لاصوت .. وإنما هى قطعة من خشب بلا معنى .. وكذلك كنت تحت السرير .. مثل المخدة نفسها .. وتمنيت من الله أن أموت .. حتى لا أضيف عذاباً لها .. وإن كنت قد أحسست براحة تامة كأننى مت .. بل رأيتنى أطير بين السماء والأرض .. كأننى روح خرجت من جسمى .. بل رأتنى طائرة فى سقف الغرفة .. أنظر إلى جسمى على الأرض .. الوجه أحمر كالدم .. وصدرى أحمر كالدم .. والعقد الذى كان فى رقبتى قد انفرطت حباته .. ولم أجد الحلق الذى كان فى أذنى .. وإلى جوارى مفتاح باب غرفتى .. أنا أقفلت الغرفة حتى لايوقظنى أحد .. أو لايمنعنى من البكاء أحد .. وعلى ساق اليمنى بقعة زرقاء .. لابد أننى ارتطمت بشىء .. هذه البقعة لها شكل اللغم .. وفى فخذى اليمنى بقعة زرقاء كأنها لغم .. أما هذا الصفاء الذى على وجهى فهو صفاء الراحة التامة .. الراحة التى تظهر على وجوه الموتى .. قبل أن يموتوا

بلحظات .. وذلك عندما تتلاشى الهموم كلها .. ويعود الإنسان كما ولدته أمه .. بلا هموم .. إذن فأنا ميتة .. ورأيت أمام باب غرفتى والدتى وقد وضعت أذنها على الباب .. تحاول أن تسمع .. ولكنها لم تسمع شيئاً فعادت على أطراف أصابعها إلى غرفتها .. ونظرت للساعة التى على الحائط .. لقد كان ذلك موعد صلاة الفجر ..

ولاحظت أن ستائر غرفتى تنفتح وأرى شبحاً بينى وبين النافذة .. إنه وجه أمى .. لقد اقتربت منى كثيراً .. إنها إلى جوارى على السرير وتقول وهى تقبلنى : صح النوم ياقمورة .. الناموسية كانت كحلى ..

قلت لماما : كيف دخلت .. لقد أقفلت الباب بالمفتاح ..

قالت : عندى مفتاح آخر .. أنت لا تعرفين لماذا .. كان زمان أخوك يعاكسك ويعطلك عن المذاكرة فكنت تقفلين الباب عليك .. وكان قلبى لايطاوعنى .. فأفتح الباب لكى اطمئن عليك .. هذه هى المرة الثانية فى عشرين سنة .. تصورى !

قلت : شكراً ياماما ..

فهى لاتعرف أى كابوس .. وأى حلم .. وأى نوم تحت السرير .. وأنا لا أعرف كيف وجدت نفسى على السرير ..

لقد دخلت فى مرحلة الانفعال والقرارات غير الواعية فى حياتى !

٣

اسْتئناف الحيَاة ..
وَلكنَ بأسْلحة أخَرى!

جلسنا وجها لوجه .

ابتدأ هو الكلام . قال : ادخلى فى الموضوع بلا مقدمات : فأنا لست فى حاجة إلى شرح طويل ..

قلت : أرفض الزواج منك !

قال : لماذا ؟

قلت : لأننى أحبك ..

قال : عارف ماسوف تقولين .. أنت ترفضين الزواج من الرجل الذى تحبينه لأنك لاتريدينه أن يتعذب بسبب مشاكلك وعقدك النفسية .. أعرف ذلك .. ولهذه الأسباب فأنا أتقدم لك أنت وحدك .. وأريد أن أسمع منك كلاما يقنعنى .. كلام العقلاء المثقفين الذين سمعوا ورأوا وتعلموا وعرفوا معانى الحياة والكفاح .. وأنا أدخل فى الموضوع .. لأنى أحبك وأعرف كل هذه المشاكل أريد أن أتزوجك .. لأننى أحبك أريد أن أشاركك .. ولأنى أحبك أريد أن أخفف عنك .. ثم من هو الذى بلا مشاكل .. إننى لم أحدثك عن مشاكلى .. لم أحدثك لا لأن مشاكلى تافهة .. ولكن لأن مشاكلك كثيرة .. فأنا أضحك من نفسى إذا وضعت مشاكلى إلى جوار

مشاكلك .. وطلبت إليك أن نلعب معا لعبة المشاكل ..

.. أنت تحلين مشاكلى . وأنا أحل لك مشاكلك .. ثم إننى أحب أن أقول لك : إن المشاكل الحقيقية هى التى ليس لها حل .. مثلا : مشكلة أنك امرأة هل لها حل .. قد تتصورين أنك إذا صرت رجلا أصبحت بلا مشكلة .. مشكلة أنك شقراء طويلة زرقاء العينين .. والعيون كلها عليك وتدور حولك .. فالذين يعجبون بك كثيرون .. هل لها حل .. ولو كنت قصيرة القامة نحيفة ، هل لهذه المشكلة حل .. ليس لها حل .. فمشاكلك ليس لها حل .. ومشاكلى أيضا .. إذن فيجب أن نعيش بمشاكلنا وأن نعتاد عليها تماما كلون بشرتك ولون عينيك .. أنت وحيده أبويك .. وأنا وحيد أبوى .. هل لهذه المشكلة حل .. لا حل .. وأن نعيش بلا زواج مشكلة .. هذه المشكلة لا يحلها أن تتزوجى .. فالزواج مشكلة .. ونحن ننتقل من مشكلة إلى مشكلة .. فالذى يسكن فى الدور الأرضى وينتقل إليه تراب وهباب وضوضاء الشارع : هذه مشكلة لا حل لها .. والذى يسكن فى الدور العاشر عنده مشكلة الأسانسير ومشكلة الماء وانقطاعه معظم الوقت .. ومشكلة الصعود والهبوط إذا تعطل الأسانسير .. كل شىء مشكلة .. وسوف نتزوج وتظل مشكلة بيننا أننى وقفت ببابك أنتظر ١٥٠٠ يوم كما كان يفعل فرسان العصور الوسطى .. وكما كان يفعل قيس والشاطر حسن .. فأنا أيضا أعيش فى الماضى .. وسعيد بذلك .. فأنا عندى رأى وعندى إرادة .. وعندى هدف . ومن أجل هذا الهدف يهون كل شىء ..

قلت له : من أجل هذا أجدنى مضطرة إلى أن أرفض الزواج منك . فأبى كان له هدف . هدفه أن يحارب وأن ينتصر . حارب وانهزمنا كلنا ، وانهزم هو وحده أعظم هزيمة .. توقفت الحرب على الجبهات واستأنف هو المعارك فى غرفته وعلى السرير .. فحارب من ؟ حارب أمى .. فكانت أمى هى العدو مع أنها هى الحبيب الوحيد .. ولم يكن أبى يدرى بما يفعل .. ولكن أمى كانت تدرى وتتعذب .. ولم تقل أمى كثيرا لنا .. ولكن الذى أحسسناه ولانزال نحسه هو أبشع من كل شىء .. إن أخى الأكبر هاجر إلى أمريكا بعيدا عن النكسة .. وأخى الذى سافر إلى الإسكندرية لم يشأ أن يهاجر مثل أخى الأكبر .. الذى ترك أفريقيا إلى أمريكا .. وأنه على صلة تليفونية بأمى ، يسمعها ولا يراها .. ولكنها لاتفارق خياله .. وأنا معها ولست معها .. ولولا اصرار أبى ما تعذبنا كل هذا العذاب .. أى كان فى استطاعته ألا يحارب لقد كان فى سلاح المهمات فى القاهرة .. وهو الذى طلب أن يذهب إلى الجبهة .. كيف يكون جنديا ولا يحارب .. كيف يواجه أولاده .. كيف يواجه نفسه .. وكان إصراره عظيما ، وكان عذابنا جزءاً من إصراره على أن نستأنف نحن العذاب من بعده .. إن زواجنا عذاب لنا .. إن حياتك بعدى سوف تكون عذابا فادحا ، لأن إصرارك كان فادحا .. وكذلك حياتى من بعدك ..

قال : إننى أرى الموقف أكثر صعوبة .. أنت إذن لا تتزوجين من يحبك ويصبر عليك .. فهل تتزوجين من لا يحبك ولايتمسك

بك ! هل تتزوجين من يحتقرك ؟ هل تتزوجين من يتقاضى أجرا منك على هذا الزواج ؟ هل تريدين من يضع لك الشيء (الأصفر) في كوب الماء ثم تجدين نفسك مضطرة إلى زواجه .. هل تتزوجين من يغتصبك .. أي من يكرهك على الزواج .. وتعيشين تجربة مهينة .. ويكون الزواج عقابا لك .. هل تحتاجين إلى مزيد من العقاب .. أما يكفيك هذا العقاب المفروض عليك .. والذي تفرضينه عليّ .. هل هذا هو الشرف والكبرياء وتقرير المصير وحرية الارادة والاختيار .. هل هذا هو التكريم الذي تستحقه أمك وأخوتك .. هل هذا هو الإحياء لذكرى والدك : البطل الذي أحب زوجته وأحب أولاده .. واختار الحرب ليكون نموذجا رفيعا واختار الموت .. أنا على يقين من أنه انتحر ، وهذا هو السر العظيم في حياة أمك .. وأنه قد نصحها ألا تفعل ذلك .. لقد عرفت من الطبيب أن والدك قد اكتشف أنه مصاب بالسرطان .. فقرر أن يسبق الموت وأن يختصر العذاب له ولكم .. هل إحياء ذكراه وسيرته العطرة بأن تظلي في حالة حداد عليه .. ألا يمكن أن يكون له حفيد من ابنته الوحيدة تلقنه مبادئ الوطنية والتضحية والعظمة .. هل واجبك أن تكوني أنت النقطة التي ينتهي عندها وبها الكلام .. فلا كلام ولا أولاد من بعدك ؟ .

قلت : هل تعرف فادية ؟

قال : أعرفها .

قلت : هل رأيت ذراعها اليمنى ؟

قال : ماتزال ترتعش .. مسكينة .. عروس .. ذهب زوجها

البطل وعاد نصف رجل .. ربع إنسان .. إن ابنتها الصغيرة ..

قلت : جميلة .. إنها لاتكاد ترى والدها حتى تصرخ فهو ينظر إليها بعين واحدة .. ويد مقطوعة وساق مكسورة .. كيف أنسى .. كيف تنسى مصر كلها ما الذى أصاب ملايين الفتيات الجميلات الشريفات الشهيدات .. كيف ؟! ومن الذى يحارب ... ومن الذى يدافع .. ويستشهد .. إذا كان الشعب والحكومة لا تذكر مئات ألوف العائلات المنكوبة .. فمن هذا المغفل العبيط الذى يبعث أولاده إلى القتال ؟! ثم تريد منى أن أتزوج ليكون لى أولاد .. أبكيهم كما بكيت أمى .. وأموت حية ، وأعيش ميتة .. أنت الذى تحبنى .. أنت الذى تنتظر من أجلى .. كل ذلك لكى أكون أرملة .. أو أكون ممزقة القلب على ولدى .. حرام عليك !

قال : من أجل هذا يجب أن تتزوج أيضا .. لأننا يجب أن نطالب بدراسة حال هذه الزوجات وحال الأرامل .. لابد من دراسة علمية لتعرف ماذا حدث فى مصر بعد نكسة ١٩٦٧ .. لا كانت مصر دولة عظمى ، ولا كان حكامها عظاما .. إنها دولة صغيرة وحكامها صغار أيضا .. ولكننا أردنا أن نجعل لأنفسنا قيمة فتوهمنا أننا دولة عظمى .. وصدقنا أنفسنا .. ومادمنا دولة عظمى فقائدنا هو هتلر وستالين وروزفلت .. بل هو أعظم من هؤلاء .. فكيف ونحن دولة عظمى وقائدنا عبقرى ، تكون هزيمتنا تافهة .. هذا هو التناقض المصرى : الدولة عظيمة ، وقائدها عظيم ولكن هزيمته الساحقة تافهة .. ولانقول إن هزيمتنا صغيرة لأننا دولة صغيرة ولأن قائدنا

صغير .. هل معقول أن نقول إن الهرم الأكبر له ظل فى مساحة كف اليد .. المنطق يقول إن الجسم العظيم له ظل عظيم .. إلا نحن معقول أن العظيم له أخطاء تافهة لا قيمة لها ولا تستاهل أن نحزن عليها أو نثور عليه .. حتى هذا التناقض لم ندرسه .. عندى لك خبر .. لقد تشكلت لجنة من زملائى فى قسم الدراسات النفسية والاجتماعية بكلية الآداب .. واتخذنا موضوعا واحدا جعلناه الموضوع لرسائل الماجستير والدكتوراه . الموضوع هو « التفسير النكسى » للاضطرابات السياسية والدينية فى مصر .. وهذه هى البداية .. وهذا هو المهر الذي أدفعه لزواجنا .. ما رأيك ؟

ومرت لحظات من الصمت .. وجاء الجرسون ووضع مزيدا من البرتقال .. ثم جاء الجرسون ووضع مقعدا ثالثا .. وقبل أن اسأل وجدت أمى .. وقد أسعدنى أن أراها .. الله على وجه أمى .. أبيض مستدير مشرق .. ذهبت إلى الحلاق وتركت خصلة بيضاء فى مفرق شعرها .. الله يا ماما .. والفستان أخضر فاتح جميل .. وهذه الوردة البيضاء على الصدر .. الله ياماما .. وفى يديها خواتمها الماسية .. والأساور وشنطتها جلد التمساح وحذاؤها جلد التمساح ـ إنها الهدية التى جاءتها من أمريكا . بعث بها أخى الأكبر فى عيد ميلادها .. والساعة المرصعة بالماس التى جاءت هدية من أخى الأصغر .. وعلى صدرها الماشاء الله الذهبية الكبيرة المرصعة بالياقوت ـ هديتى لها فى عيد ميلادها .. أما الابتسامة العريضة على وجهها فكان معناها .. ألف معنى لها .. كل شىء يدعونى ويدعونا جميعا إلى أن نفرح ..

وجاء الجرسون ووضع مقعدا رابعا .. وجاءت أمه .. أنيقة لطيفة فى غاية الشياكة وقدمت صندوقا .. وفتحت الصندوق .. وامتدت يدى إلى دبلة جميلة وضعتها فى أصبعه .. ووضع هو هذه الدبلة الثانية فى أصبعى .. وجاء الجرسون ووضع منضدة أخرى وأربعة مقاعد .. وتجاورت المناضد والمقاعد .. وكانت صفا واحدا .. وجاء المأذون .. وعندما رأيت أخى الأكبر ارتميت على صدره .. ولم أكد أرفع رأسى حتى وجدت أخى الأصغر .. ولم أتمالك نفسى .. فدفعنى أخى الأصغر برفق إلى خطيبى .. زوجى .. وكان الانتصار ساحقا .. انتصارى .. انتصاره .. انتصارنا ..

وبمنتهى الرقة وجدته يفك الحجاب الذى كنت قد وضعته حول رأسى .. إنه لم يسألنى عن اختيارى الحجاب منذ شهور .. ثم أخرج مقصاً من جيبه .. وشق كم الفستان من هنا ومن هناك وقام بتشمير الكم وكشف ذراعى .. ولم أتنبه إلى أنه دون أن أدرى ، قد شق فستانى الطويل من الجانبين .. فأصبحت كبنات الصين .. إنه لم يعد فستانا طويلا .. بل صار مثيرا ومغريا أكثر .. ضحكت .. وضحكت ..

* * *

وعلى شاطئ الغردقة الجميل .. النظيف النقى الهادئ كأنه ليس فى مصر .. والدليل على أنه ليس فى مصر ، أنه مايزال نظيفا .. والناس قليلون .. والهدوء شامل .. والناس أكثرهم من الأجانب ..

شيء عجيب لاحظته .. فقد جاء أتوبيس سياحى .. كله من المحاربين القدماء من ألمانيا .. وقبل أن ألتفت إلى زوجى وأقول له كلمة واحدة . قال هو : إنه إصرار على الحياة .. على الاستمرار .. إنهم يسمون أنفسهم الثعلب القطبي .. هل تعرفين لماذا ؟. لأن الثعالب القطبية يصيدونها بالشراك .. فإذا انطبق الشرك على ساق الثعلب .. فإنه يظل يقطع ساقه بأسنانه لينجو .. ليستأنف الحياة بسيقان ثلاث .. ولذلك اتفقت الدول التى بها صحارى جليدية على تحريم استخدام هذه الشراك ..

وازددت إعجابا بزوجى وبقدرته على الاقناع .. لقد أقنعنى كثيرا .. ولا أعرف أن كان فى الدنيا شباب مثله .. وتمنيت أن يكون أبناؤنا مثله .. صورة طبق الأصل ..

وفى يوم قلت له : عندى سؤال بايخ جدا !

قال : أعرفه ..

قلت : مستحيل !

قال : فإذا عرفته .. فما الذى سوف تعطينى مكافأة على ذلك .. قبلة طويلة ودعوة لأمى وأمك بقضاء أسبوع هنا معنا ؟.

قلت : موافقة .

قال : تريدين أن تسأليني ماهى المشكلة التى أعانيها وأتعذب .. فقد انشغلت بك عن نفسى ..

قلت صارخة : والله بالضبط ..

قال : مشكلتى بسيطة جدا .. وهى أننى رجل درست علم

النفس والمنطق .. ولم أفلح فى اقناعك .. منتهى الفشل لى ولكل الذى درست وتعلمت كانت هذه مشكلتى .. وقد كشفها وحلها المأذون عندما غطى يدى بمنديل حرير أبيض .. هاها .. هاها !.

* * *

نعم إن الزواج أعظم هزيمة وأروع انتصار وأقوى دعوة لاستئناف الحياة ـ ولكن بأسلحة أخرى !.

٤

كلهم راحوا.. حتى أنا

أغنية محمد عبد الوهاب تقول : والدنيا قضيت علىّ .. أغنية عبد الحليم حافظ تقول : راح .. راح .. خد عمرى وراح .. أغنية ميرى ماثيو تقول : ولما نزل المطر غسل كل شىء إلا قلبى .. إلا أحلامى .. وكأن المطر مانزل ..

أغنية شارون ثيت تقول : كل الأبواب يمكن فتحها وقفلها .. إلا هذا الباب .. لا هو مفتوح ولا هو مقفول .. كل شىء فيه اسود نهارا أبيض ليلا .. ياقلبى الحزين قل لى قلب من أنت ؟. قل لى !.

أم كلثوم تقول : صالحت بيك الزمن ـ أى زمن يابست ؟!

* * *

مضت علينا سنوات طويلة ثقيلة بليدة كئيبة

* * *

أخى الأكبر هاجر إلى أمريكا ـ وهى حكاية طويلة أكدت لى : أن الزوجة أقوى من الأم .. وأن الذى تفعله الأم فى عشرين سنة ، تستطيع واحدة غريبة أن تخطفه فى عشرين دقيقة .. وهذه قصة طويلة جعلتنى ازداد قرفا من دور الأم والأب .. مغفلة كل أم .. وستون مغفلا كل أب .. ما الذى يتصوره هؤلاء السذج ..

.. لماذا كل هذا العذاب والتضحية .. لمن ؟ لأولادهم الذين لا امتنان لهم .. ولا رحمة عندهم .. إن أمى كادت تبوس جزمة ابنها لكى يبقى معها ولو عاما واحدا بعد زواجه .. ابدا .. زوجته هددت أن تأخذ ابنها وتعود إلى أهلها .. وإيه يعنى .. ولماذا لاتذهب فى ستين داهية .. إنها سوف تعود كالكلبة .. فلا هى شىء ولا أمها ولا أبوها .. مجموعة من الجياع خطافى الأزواج وأولاد الناس الطيبين .. ولكن أخى عبيط ساذج ! وأخى الثانى تزوج واحدة ثبت لنا بعد أيام انها تزوجته عن طمع .. عرفت أن له عمارة باسمه وبضعة آلاف من الجنيهات . صارحته بذلك .. والقت الدبلة من اصبعها فى الزبالة وهى تقول : اتزوج سيدك غدا صباحا .. فاكر نفسك ايه ؟.

آه لو كنت رجلا لوضعت رأسها فى صندوق الزبالة وطلقتها طلاقاً بائنا ، والقيت بملابسها من النافذة .. ولكن أخى هذا عبيط أيضا .. وفى ذلك اليوم الأسود عندما أرسلتنى أمى لكى أدعوه واستغفره لكى يعيش معنا فى نفس العمارة .. هو فى شقة وأنا وأمى فى شقة أخرى . ولكنه رفض .. مع أن زوجته كانت تريد أن تبقى معنا .. فقد وعدتها أمى بأن تتولى هى الإشراف على شقتها وأن نأكل معا ونشرب معا . فلا تفكر هى إلا فى عملها وإلا فى طفلها .. ولكن أخى أصر على العمل فى الإسكندرية . هل هذا رأيه ؟ هل هو رأى زوجته ؟ لم أعد قادرة على أن أميز بين الكذب والصدق . فى ذلك اليوم ذهبت إلى أخى أقول له : هل هذا معقول ؟! إن ماما تطلب منك أن تبقى معها لكى تراك .. يكفيها عذابا ان أخانا قد هاجر إلى

أمريكا إلى غير رجعة .. هو الذى قال إلى غير رجعة .. اليس عندك امتنان .. أليس فى قلبك رحمة .. أمك .. وأنت تعرف ظروفها النفسية .. بل أنت تعرف قبل أن اعرف أنا بزمان .. كيف تضحك .. كيف تأكل ؟.

وكان رده : اسمعى أنا لا أريد نصائح من احد .. قرفت من النصائح .. ماما على عينى وعلى رأسى وفى قلبى حتى الموت .. ولكن أنا تعبت من حياتنا .. أمى عندها حياتها تعيش فيها .. ولا تريد أن تخرج منها .. وهى كل يوم تدفن نفسها فى السرير ، وعندها اعتقاد ان هذا السرير الذى أصبح خاليا بعد وفاة أبينا هو قبرها اليومى .. وتتمنى من الله ان تموت فى نفس المكان وان تذهب إلى حيث ذهب أبونا .. هذه حياتها .. وهذا قدرها .. وهذا نصيبها من الدنيا .. ولكن ليست حياتك ولاحياتى .. وأنا لا أريد أن أموت الآن .. وإذا كان لابد من الموت فليس بهذه الطريقة .. أنا أعطف على أمى فقط .. ولكن لا أستطيع ان اشاركها هذا العذاب .. لا استطيع .. ولا اقدر أن أغير أسلوب وفاة أمى ـ أقصد حياتها .. ولكن فضلها علينا عظيم .. ألف شكر لها .. وألف رحمة عليها .. انتهت حياة أمى بعودة أبى من حرب ١٩٦٧ .. أبى لم يمت فى الجبهة ، ولكنه جاء ليموت فى بيته ويميت أعز الناس عليه .. انه لم يقصد أن يقتلنا ولكن على الرغم منه .. إن والدنا العظيم وأمنا الأعظم قد قررا ان يبعدا عنا الحرب والموت .. ولكنهما لم يفلحا فى ابعاد شبح الحرب وويلات الحرب .. إن الشظايا التى لم تصب أبى هناك ، قد حملها معه وهو

الذى أطلقها على نفسه وعلى أمى وعلينا .. هنا فى هذا البيت ..
اعذرينى يا أختى ان الذى رأيته هنا ، لا أحب ان يراه ابنى .. هذا
حقه وهذا واجبى .. فانا لن أكون أقل حبا لابنى من حب أبى لنا
وحب أمى .. أنها نفس الرسالة .. ونفس الحرص على الحياة ..

قلت : أنت إنسان نذل حقير ..

قال هادئا : حقير؟ لا أظن أننى كذلك .. لا تعلمنا هذا من أبى
أو من أمى .. ولا نذل .. أن الذى أراه هو بالضبط ما ترينه أنت ..
ولا أعرف لو احببت وتزوجت هل سيكون رأيك كما هو .. أنت لم
تتزوجى .. أنت ليس عندك أولاد .. فلا أحد يشاركك رأيك .. أو
يعارضك .. أو يهددك بالانفصال أو الطلاق .. أو الخراب .. هل
معقول ان أذهب مع أمى كل يوم خميس للمقابر ومعى الورد لألقيه
على قبر والدى .. ٥٢ مرة كل سنة .. ومن خمس سنوات .. أنا لا
أستطيع .. وأرى النذالة ان نوافق أمنا على هذا الموقف .. ولكن لا
الومها .. هذه حياتها .. وحبها الوحيد .. ورجلها .. وعزها
وجاهها .. وكل شىء فى دنياها .. وهو آخرتها أيضا ..

قلت له بعصبية ندمت عليها بعد ذلك : هل هذا رأيك أم أنه
رأى زوجتك !

قال : وما دخل زوجتى .. إن زوجتى دورها لايتعدى المجاملة ..
مجاملتى ومجاملة أمى فقط .. ولكنها لا تعرف والدى ولا تكن له أدنى
عاطفة .. أنه مايزال رجلا غريبا عنها .. إنها لم تره إلا مرة واحدة ..
وانه لم يدر بها .. فقد كان مريضا .. فالأمر كله متروك لى وحدى ..

وأنا عندما أذهب معها للمقابر لقراءة الفاتحة على روح أخيها ..
فعندي سبب قوي .. فقد كان صديقي .. وجاءت وفاته كما تعلمين في
حادث سيارة .. ولكن لن أستطيع أن أبكي عليه مثلها .. انه اخوها
طول الوقت .. وكان صديقي بعض الوقت .. وسأحمل معي صورة
أبي وسيرته العطرة .. وسوف أجعل موته حياة أرويها لكل الناس ..
وهكذا يعيش والدي على لساني وفي قلبي دائما .. لقد مات جسدا ،
وسوف يعيش خلقا وقدوة ونموذجا فريدا للجندي الشريف في
الحرب وفي البيت .. يرحمه الله .. تصوري ان زوجتي مخدوعة
فيك .. أنها تراك اعقلنا واحكمنا وأرقنا وأكثرنا أدبا .. ليتها كانت
موجودة لكي تسمعك وأنت تصفين زوجها بانه حقير ونذل .. ولو
سمعتك لوجدت لك ألف عذر .. سوف أقول لها إنني أنا الذي
شتمتها .. وأنا الذي اغضبتها .. وانها مهما قالت ، فأنا الغلطان ..
فهي اختي الوحيدة الصغيرة الجميلة دلوعة بابا وماما .. وكل
العائلة .. ومن حقها علينا جميعا أن تشتم وتلعن وتضربنا بالجزمة ..
وكانت وهي صغيرة تبحث عن جزم بابا وتلقيها علينا من النافذة ..
وكنا نضحك ، ولذلك كان بابا يربط الجزم بالدبارة حتى تعجز عن
نقلها من مكان إلى آخر ..

ووجدت نفسي على صدر أخي ابكي وأقول له : اعذرني .. أنا
تعبانة جدا .. أنا لا أعرف ما الذي افعله .. فأنا فجأة وجدت نفسي
وحدي مع أمي وحدها .. وإن لم تكن أمي وحدها فهي مع أبي
دائماً .. واعتقد أنها تتكلم معه طول الليل .. كل ليلة حتى تنام .. ولا

أعرف كيف تنتهى حياة أمى .. إن لم تكن قد انتهت ..

شيء غريب حقا انني لا أشير أبدا إلى أن والدى قد مات .. كأنه قد مات قبل ذلك .. أو كأننى قررت وفاته .. فقد وقف به التاريخ عند يوم ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ . تجمد التاريخ .. فليس بعد هذا اليوم ارقام أو شهور أو سنون .. مات الزمن .. مات الليل والنهار .. لا أمس ولا غد .. أنه الماضى مستمر .. قلت لأمى فى يوم : وبعدين ياماما ؟

قالت : بعدين ؟ العمل عمل الله .. لا بعدين ولاقبلين يا ابنتى .. انتهى كل شيء .. كان نفسى اشوفك فى بيتك .. انا الغلطانة .. كان من الواجب ان ازوجك .. تعليم ايه وزفت ايه .. البنات ما الذى أخذته من التعليم .. يعنى اللى تعلموا خدنا منهم ايه .. واحد فى أمريكا والثانى فى اسكندرية وكأنه فى أمريكا .. وأنت لا فى أمريكا ولا فى اسكندرية .. وحدك فى الدنيا .. وإذا كنت قاعدة معك اليوم فغدا مع أبيك .. والمصيبة ان كل الذين تقدموا لك من أولاد الضباط الشهداء .. سوف يذكرونك بعذاب آبائهم .. وهكذا تصبح حياتك مثل حياة أمك وأسوأ .. حرام .. يارب رحمتك .. حتى أنا يا ابنتى لم أعد قادرة على الحزن .. والدموع فى عينى جفت .. تزوجيه يا ابنتى أنه أحسن الذين تقدموا لك .. انه شاريك يا ابنتى .. كل الذين تقدموا لك ذهبوا وتزوجوا .. إلا هو فلم يتوقف ابدا عن التقدم لك .. وليس صحيحا أنه يعطف عليك .. انه يحبك .. وأنت يابنتى يحبك أى إنسان ..

جميلة .. غنية .. متعلمة .. فى غاية الأدب والعقل .. وهو ليس طامعاً فى أموالك لأنه غنى .. هو الابن الوحيد وأنت البنت الوحيدة .. ربنا يسعدك معه يا ابنتى .. تزوجيه يا ابنتى أبوس ايدك .. أبوس رجلك .. أفرح ولو يوم واحد قبل ان أموت .. يوم واحد .. وبعده أموت سعيدة .. وسوف يكون أبوك سعيدا .. الله يرحمه قال لى : وصيتك كاميليا يا أم صلاح .. كاميليا .. آخر كلمة كانت على لسانه .. والله وأنا لا أكذب ..

قلت لها : ياماما أنت حليت مشكلتك .. وأنا أعرفها .. وأخى . روى مشكلته .. وقد تلقيت خطابا من أمريكا وأخى يبعث لك بالسلام والأشواق وصورة لبيته الجديد .. ومولودتهما الثانية .. لقد اعطاها اسمك : آديل .. أى عديله .. ويؤكد أنها شبهك بالضبط .. وأنه لذلك سعيد جدا .. واهم خبر انه قرر ان يأخذ إجازته وسوف يقضيها معك .. شهرين كاملين .

ورأيت الدموع فى عينى أمى .. دموع الفرح ودموع الحزن .. ودموع لها معان أخرى لا أعرفها بالضبط .. وان كنت رأيتها وحرت فى تفسيرها .. ولم تتنبه أمى إلى أننى اشرت إلى مشكلتى .. فأنا عندى مشكلة .. ولكن أمى غائبة عنا .. ليس عندها أى استعداد لأن تسمع ولأن ترى .. وان تنشغل عن نفسها ـ أى عن والدى ـ بأى أحد أو أى شىء .. أنا عندى مشكلة كبرى ، ولكن لا أستطيع أن أرويها لأمى .. يكفى ماعندها .

أنا لست إلا واحدة من ملايين لم يلتفت إليهن أحد .. لا أحد ..

لم يدرس أحد من العلماء مشكلة الأسرة التى عاش زوجها بعد الحرب .. الذى مات استراح .. والأسرة تعذبت ، ثم توافقت مع الظروف القاسية واستأنفت حياتها بشكل ما ـ ولكن هناك دائما عائلات لم تجف جروحها ولا دموعها .. فمصيبتها كانت ولاتزال كبيرة .. فلا أحد يحترم الشهيد ولا البطل الذى مات .. إلا إذا كان زعيما .. ملايين الشهداء العاديين لهم قبر للجندى المجهول .. أنه اهانة معلومة لشهيد مجهول .. أما قادة الحرب الذين لم يموتوا فهم أبطال مع أنهم عاشوا وماتوا فى مكاتبهم ؟!

لم يقل لنا أحد ماحياة الأرملة .. ماحياة اليتيم .. ماحياة الجندى الذى عاد من الحرب مشوه الجسد ومشوه النفس ؟ كيف حياته .. كيف زوجته .. كيف أولاده .. إننى لم أعرف بالضبط ما الذى حدث لأبى .. أمى وحدها تعرف .. وأنا قد عرفت من أمى بعض الذى كانت تقاسيه وكان يقاسيه أبى .. لقد اقحمت نفسى على النوم فى سرير أمى . والله قلبى تقطع ألف قطعة .. أنها لاتنام .. أنها تتقلب على النار .. انها تفزع وتنهض من عز النوم .. أنها تنظر إلى سقف الغرفة وإلى الباب .. وترى شبح والدى .. واعتقد أنها تفسح له مكانا إلى جوارها .. وتغطيه وتنام .. لم استطع أن انام إلى جوارها إلا مرة واحدة . لم يكتب أحد لنا عن « التفسير النكسى » للأسرة المصرية ـ أى تفسير النكسة وما أحدثته فى نفوس الناس وعلاقاتهم الاجتماعية

أنا أقول ما الذى أشعر به الآن .. وما الذى يحول بينى وبين أن

أرى وان اسمع وان تكون لى حياة أخرى بعيدا عنها .. ان أبى مايزال حيا فى أمى .. ورأسى ليس حلبة مصارعة .. وإنما جبهة .. معركة .. هزيمة .. هوان .. فضيحة أنا لست حية .. اننى مثل شاهد على قبر .. أحمله .. واتحرك به أو هو الذى يتحرك بى قبر ينقلنى إلى قبر.

أما التفسير النكسى الذى أصاب والدى فهو هكذا : شعور بالأحباط ــ شعور بالغضب ــ النوم المتقطع ــ القلق ــ العصبية ــ أفكار انتحارية ــ العزلة ــ الغرابة والغربة ــ ذاكرة متقطعة ــ كراهية الحكومة والسلطة ــ الشعور بالظلم ــ الخوف من الصداقة ــ البعد عن الناس ــ الشعور بالذنب لأنه مايزال على قيد الحياة ــ أمى حزينة لأنها تركت والدى يموت . ولكن لأنها مؤمنة لاتستطيع أن تقتل نفسها بيدها وتتعجل اللقاء به بعد الحياة ــ كراهية لكل شىء يذكرها بالحرب والدم ــ تعذيب النفس باشكال مختلفة ــ كراهية الزواج الذى يؤدى إلى أولاد تتركهم يتعذبون بعد ذلك .. أو يكبرون فيذهبون إلى القتال يموتون كلابا أو يعيشون كلابا !

بهذه الشوشرة العقلية والمظاهرات العاطفية الصاخبة ذهبت إلى لقاء الرجل الوحيد الذى وقف صابرا خمس سنوات ينتظر أن أوافق على زواجنا !

٥

نصيحة تنفعنى مع رجل آخر!

أنا اسمى : آ ...

لقد أفسد زوجى السابق حياتى تماما . لم يشجعنى على شىء . فكل ما أعمله لا يحبه .. أو يحطمه وهو يحطمنى أيضا . فإذا صنعت له الشوربة رغم حرصى على أن تكون بالضبط كما يريدها . فإنه يقول لى : الملح زيادة .. الفلفل كثير .. رائحتها زفرة .. أمى لم تكن تصنعها هكذا ..

وفى إحدى المرات كنا فى حفلة عيد ميلاد فإذا به يقول لى : ما هذا ؟ ! .. أنت تلبسين نفس الألوان التى كانت تضعها والدتى .. أنت شابة .. وهى سيدة كبيرة .. لابد أن تغيرى .

فأقول : هذه الألوان هى الموضة .. والموضة تعيد نفسها .. فموضة هذه الأيام هى موضة الثلاثينيات .. ألوانا وخطوطا وطولا .. وكنت أظن أن هذه الألوان سوف تعجبك أكثر مادامت هى ألوان والدتك ..

وكل يوم يتأكد الخلاف والاختلاف بيننا .. صحيح أننى أحبه وهو أيضًا . ولكن الحب عندنا مختلف . فالحب عندى أهم من العمل . ولكن العمل عنده أهم من الحب .. البيت عندى أهم من

نفسي .. ولكن نفسه أهم عنده من البيت وما فى البيت ومن فى البيت .. أحيانا أشعر بأنه يحتاج إلىَّ ، ولذلك يحبنى .. بينما أنا أحبه ، ولذلك فأنا فى حاجة إليه .. أنا على هامش حياته ، بينما هو كل حياتى ..

إنه يتوقع منى أن أحبه أكثر .. ولا يتصور أننى أيضًا أتوقع نفس الشىء منه ..

من أين جاء هذا الخلاف ؟

جاء من التربية .. ومن الثقافة .. فالتربية تقول لنا : المرأة يجب أن تحب زوجها .. أن تكون مطيعة .. أن تكون لطيفة .. جذابة .. أن تكون ضعيفة .. أن تعطى له أكثر .. أن تكون له الزوجة والأم .. وكل شىء . كان يقال لنا ونحن صغار : خدى بالك من اخوتك .. ابعدى عن بابا لا ترهقيه إنه يريد أن ينام .. أذكر أننى تسحبت إلى جوار بابا لكى أقبله وهو نائم .. فما كان من أمى إلا أن ضربتنى ، فصحا والدى من النوم غاضبًا منا نحن الاثنتين .. هذه المعانى والتحذيرات لم تبرح ذاكرتى أبدًا ..

فى بعض الأحيان كنت أتناقش مع زوجى السابق . ويكون الموضوع جادا حيويا . تناقشنا فيه بسرعة . ولا أزال فى حاجة إلى توضيح أو اقناع ولكنه يقفل باب المناقشة كما يهرب من المناقشات ويخرج ويقفل وراءه باب الشقة ، قائلا : أنت عيلة !

أى أن عقلى صغير . وأننى لا أعرف كيف أفكر . وأننى مشغولة بالتفاهات . وأنه شخصيا لا يحب هذه الأشياء الصغيرة .. التى تشغل

العيال .. أما الكبار فيتحدثون عن موضوعات أخرى . فسألته عن الموضوعات التى يجب أن أحدثه فيها ..

قال : ضرورى ؟

قلت : طبعا ضرورى أن أتحدث إليك .. وإلا انفجرت ..

قال : تحدثى ..

قلت : وهل هذه طريقة تشجع على الكلام أو الحديث ؟ .. كيف أكلمك وأنت قرفان هكذا ؟ ..

هو : لأننى أعرف ما الذى يحلو لك أن تتحدثى فيه قبل النوم !

أنا : وما دمت أنت لا تطيق الكلام معى هكذا .. فلماذا نعيش معا ؟ .. لماذا أنت محتفظ بى هكذا ؟ .. طلقنى !

هو : هل تريدين أن اطلقك الآن قبل النهار ما يطلع ؟

أنا : الآن فورا .. الحياة معك مستحيلة .. أنا ضحيت من أجلك .. وتعبت وبهدلت نفسى .. وأغضبت أهلى .. كلهم قالوا : إنه شخص لا يطاق .. كلهم .. وأنا المغفلة قلت : أبدا .. إنه رجل لطيف واسع الأفق طيب .. وما دام يحب أمه وأباه ، فهو يحب زوجته وأولاده .. تصورت أننى الوحيدة التى تفهم وكل الناس مغفلون .. والآن أنا المغفلة الوحيدة .. وأنت ضحكت على عقلى .. بكلامك ووعودك .. والآن لم يعد هذا الشخص الذى أحببته قادرا على أن يمص ليمونة ويستمع إلى كلامى .. هذه آخرتها !

هو : فعلا يوم الجمعة عادة فيها ساعة نحس .. ونحن الآن فى الساعة الأولى من صباح الجمعة .. نامى .. وقولى يافتاح ياعليم ..

وأيقنت أنه أسهل لى أن أحبه من أن يحبنى هو.. فحبى له مؤكد.. وهذا ما أعرفه تماما. ولكن أن أطلب إليه أن يحبنى وأن يقول ذلك من حين إلى حين، يوجع دماغى وقلبى.. وأبدو أمامه مثل شحاذة تدق بابه كل يوم وتطلب حسنة.. يعطى أو لا يعطى.. وأحيانا يلقى بها إلى جانب الحائط.. وأتقدم، لابد أن أتقدم، كالكلب أشمشم فيها.. ثم آكلها.. ولابد أن أشكره على ذلك طمعا فى مزيد من الحسنات.. أملا فى ألا يلقيها إلى جوار الحائط وإنما أن يضعها فى يدى.. ثم اقتنعت بأن الكلمة الطيبة هى الصدقة، كما قال الرسول عليه السلام.. والمثل يقول: لاقينى ولا تغدينى.. إن اللقاء الجميل أمتع من الغداء اللذيذ.. والقرآن الكريم يقول: وأما السائل فلا تنهر.. أى يجب أن تقول للشحاذ: الله يحنن عليك ولا تقل: امش بعيدا.. ابحث لك عن عمل..

ولكن كيف أطيق أن أحب رجلا لا يحبنى. وإذا كان يحبنى، فلا يهمه أن يعبر لى عن هذا الحب.. حتى لو طلبت منه ذلك؟.. ثم كيف أعرف هذا الحب، إذا لم يعبر عنه هو بصدق.. وعيناى فى عينيه؟.. لا يهمنى أن يقبلنى وأن يعانقنى.. ولكن يهمنى أكثر أن أرى ذلك فى عينيه.. لا أن أسمع كلمات الحب.. وإنما أرى الكلمات حتى لو لم أسمعها.. او اراها فى عينيه وأقول معانيها لنفسى.. المهم أن أرى صوت الحب، فأستطيع أن ألحنه وأغنيه لنفسى..

كيف أقنعه بأنه أهم ما فى حياتى؟

كيف أؤكد له أننى لا أستطيع أن أعيش من غيره؟.. ليس هذا

ضعفا ولكنه تكوين نفسي وحيواني .. فالمرأة تحب الرجل لكي يحميها .. هي وابنها بعد ذلك .. يحميها في ساعات ضعفها وضعف أولادها بعد ذلك .. إن الرجل يستطيع أن يقفل الباب ويخرج ويتمشى في الشارع ذهابا وإيابا . ولكن المرأة لا تستطيع . الرجل يستطيع أن يسافر وحده وأن يسكن وحده .. وأن يذهب إلى المقهى والبار وحده .. المرأة لا تستطيع إلا معه .. والمرأة عندما تسأل الرجل عن رأيه في فستانها .. والمرأة عندما تسأل الرجل عن الذى يجب أن تفعله في موقف معين .. كل ذلك سببه إنها تريد أن ترتبط به .. أن تتقيد بمشورته .. بنظرته .. حتى لو لم تكن مقتنعة .. وعندما تتحدث المرأة إلى غيرها من النساء والرجال فإنها تشير إلى أن زوجها يحب هذا أو لايحب .. وإن الذى يحبه هو بالضبط ما يجب أن تفعله .. تماما كما يقف المحامى أمام القاضى ويقول : طبقا للمادة رقم كذا من القانون أو من الدستور .. ومعنى ذلك أن هذا هو القانون الذى يجب أن يطبقه . وأن يتمسك به .. وكما أن القاضى لا يندهش من استشهاد المحامى بالقانون ، فكذلك لا يصح أن يندهش الناس إذا المرأة قالت ذلك .. ومن العجيب حقا أن الرجل عندما يقع في مشكلة فإنه لا يستطيع أن يخرج منها . ولكن المرأة قادرة على ذلك .. فهى أكثر إحساسا بالآخرين وأكثر قدرة على التفكير المنطق البارد .. بينما هو لا يستطيع ..

سألت إحدى الصديقات : وأنت ماذا تفعلين مع زوجك ؟ .

قالت : تعبت جدا أول الأمر .. ولكن فى النهاية أصبح الرأى

رأيه هو .. وأنا تعيسة بأننى من أجل أن أعيش لم تعد لى شخصية .. ولا عندى إرادة .. ولا عندى قرار .. إنها التربية السيئة التى نشأنا عليها .. أن تكون المرأة ظلا للرجل .. وأن تكون المخدة وأن تكون سترا وغطاء للرجل .. أمى كانت هكذا .. وأنا لابد أن أكون هكذا .. فالرجل الجديد كالرجل القديم كلاهما : رجل .. ليس أسهل عنده من أن يعطيك ظهره ويخرج .. أو يعطيك ظهره وينام .. وأنت تضربين رأسك فى الحائط .. وإذا لم يكن هذا يعجبك فاشربى من البحر .. وسوف تجدين أمك وأباك وإخوتك قد اعدوا لك كمية من ماء البحر تكفيك حتى الموت !

وبعد أن اتفقت مع زوجى على الطلاق قلت له : خلاص .. كل شىء انتهى .. ولكن باعتبارنا أننا كنا زوجين .. صديقين .. ونريد أن نبقى كذلك .. أريد أن أسألك .. أريد نصيحتك تنفعنى فى حياتى الزوجية القادمة .. وأظن أنك لن تضن علىَّ بهذه النصيحة : فى رأيك ما الذى أدى بحياتنا إلى الفشل ؟ انتهى كل شىء .. والله لن أعاتبك ولن ألومك .. نصيحة مخلصة .. نصيحة ليست مغرضة .. فأنا لا أريد منك أى شىء ، ولا أنت تريد ..

فقال : ومن أدراك إننى لا أريد ؟

قلت : لا داعى لهذا اللف والدوران . انتهى .. قل لى بأمانة .. أرجوك ..

قال : لا أعرف ..

قلت : كنت تعرف لماذا تزوجنا ولا نعرف لماذا فشل هذا

الزواج .. تزوجنا باسم الحب ، وانفصلنا باسم ماذا ؟

قال : باسم الحب أيضا ..

قلت : إنك أحببت واحدة أخرى .. يجوز .. ولكنى لم أحب أحدا غيرك .. ولست آسفة على ذلك .. فلم يكن عندى شىء أفكر فيه غير البيت ، ولا أحد أفكر فيه غيرك .. وأنا غير آسفة لأن هذه هى طبيعة المرأة .. وإذا عرفت رجلا آخر فسوف أحبه بنفس الطريقة .. وقد أنجح وقد لا أنجح . فإذا لم أنجح مرة ثانية فلأنى أحاول أن أغير طبيعة الرجل . وأحاول أن أذبح نفسى تضحية له .. أو من أجل الحب الذى هو حياة المرأة ، والذى هو بعض حياة الرجل .. أرجوك قل لى .. ماذا حدث ، حتى لا يحدث مرة أخرى فى حياتى القادمة .. وحتى لا يتكرر فى حياتك أنت أيضا .

قال : أنا ؟ لن أتزوج أبدا ..

قلت : لا أصدق .. أنت كان من رأيك أنك ولدت أعزب لتموت أعزب .. فتزوجت . ولكنك الآن لست أعزب .. وإنما أنت فى حالة رفض للزواج .. ولكن هذا الرفض المستمر هو بالضبط الذى يدفع الرجال للاستسلام للزواج مرة أخرى .. فالرجل لا يستطيع إلا أن يكون طفلا لامرأة يقنعها بأنه قد أحبها .. وأنها أحسن من زوجته الأولى .. وأنها تعويض له عن إخلاصه وحبه لامرأة لا تستحق منه كل هذا الإخلاص ـ عادة كل الذين يتزوجون لثانى وثالث ورابع مرة يقولون كذلك !

قال : ربما كان السبب هو أنه لم يتسع وقتنا لكى نفهم بعضنا البعض .

قلت : ثلاث سنوات خطبة نلتقى ليلا ونهارا لا تكفى .. ثم ثلاث سنوات زواج لا تكفى أيضا .. إذا لم تكف ست سنوات لنتفاهم . فلن تنفع عشرات السنين .. ولكن الحقيقة غير ذلك .. الحقيقة أنك لم تحاول .. أنت اقفلت رأسك وأوقفت عقلك .. وحصرت دورى فى أن أرتدى ملابس والدتك .. فأعيش كما عاشت لك .. وبذلك كنت استئنافا لدور الأم معظم الوقت . ولم أكن الزوجة إلا بعض الوقت .. رغم حرصى على أن أكون الزوجة معظم الوقت.. والأم بعض الوقت .. وكان دورى مثل دورك تماما .. أنت الطفل معظم الوقت . الزوج بعض الوقت .. ومن سوء الحظ انك تريد الأم فى اللحظة التى أريد فيها الزوج . وتريد الزوجة فى الوقت الذى أنشد فيه الابن !

هو : أنت دائما تقولين ذلك .. ولكن الحقيقة شىء آخر .

أنا : أنت نسيت ولذلك سوف أذكرك .. هل تذكر أننا فى أيام الخطبة كنت تقول لى : ياتوتو .. مع أن اسمى ليس فيه حرف التاء ؟ .. واندهشت أول الأمر .. وضحكت أنت وقلت لى : هذا هو اسم الدلع لماما .. وأنت مثل ماما تماما .. ورضيت بهذا التكريم .. وكان أصدقائى يندهشون من هذا التدليل .. وكنت أقول لهم أن توتو هو اختصار لكلمة : حبيبتى .. أو : أنت حبيبتى .. وكانت نكتة .. ولكن المعنى ظل فى رأسى وهو انك تريدنى أن أكون

أمك .. كأنها لم تمت .. والحقيقة إننى لم أكن أمك ولم أكن زوجتك .. ولا كنت حية ولا كنت ميتة . وإنما كائن مع وقف التنفيذ . ولا أظن أننى سوف أرضى بأن يكون زوجى حبيى هو جلادى وسفاحى أيضا .. وبلا جريمة . إلا أننى أحببته وإلا أننى ارتضيت أن أكون له الأم .. المعنى .. وليس الشخص .. ولكنك تريد الشخص ولوكان ذلك على جثتى وعلى اطلال بيتنا !

قال : اعذرينى .

قلت : عذرتك ..

قال : سامحينى ..

قلت : قد سامحتك ..

قال : ننسى كل شىء

قلت : لا أستطيع !

قال : كيف لاتنسين ؟

قلت : لا أستطيع أن أنسى إننى مت .. أُميت نفسى ، لكى تعيش أمك .. إنها تضحية كبيرة جدا لا تستحقها أمك .. وأنت أيضا لا تستحقها .. تضحية بلا مقابل .. ولماذا أحب أنا دائما .. وأنت لا تضحى ؟ .. لماذا أموت لك . وكان أملى أن أعيش لك .. وأعيش بك .. وأعيش معك ونعيش فى أولادنا .. ونعيش ونموت لهم ؟ !

قال : آخر مرة .

قلت : فعلا .. هذه آخر مرة .. أنت طالق .. أنت طالق .. أنت طالق .

قال : ماهذا ؟

قلت : أنت نسيت أن العصمة فى يدى .. وإذا كانت حياتنا قد طالت فلأننى أردتها أن تطول .. ولو كان القرار بيدك لكان انفصالنا من أول شهر !

* * *

بهذه المعارك العقلية والوجدانية فى رأسى ، جلست صامتة فى مواجهة الرجل الذى تقدم ليتزوجنى فقلت له : لا .. ليس الآن .. قلتها بدون تفكير !!

٦

مكتوب على المرأة :
الحب حتى الموت !

أنا اسمى : ع ..

أنا رفعت الراية البيضاء . استسلمت . انتهت المعركة . ولم تكن معركة بالمعنى الحقيق . فأنا التى أضرب رأسى فى الحائط .. وأنا التى تقفل الباب وراءها كل ليلة ، وأبكى وأطلب من الله المستحيل : لماذا لم تجعلنى رجلا ؟ .. وأنا اعلم أن الله لن يحقق لى هذه الأمنية المستحيلة .. ولا يمضى وقت طويل فى البكاء حتى أهدأ .. وتقع عينى عن غير قصد على المرآة .. فأجدنى .. والله العظيم .. حلوة .. ملامحى جميلة .. عيناى... شفتاى .. شعرى ورقبتى .. ثم إننى أفك زراير البيجاما .. وأجد أن كتفى جميلتان .. وصدرى .. وإذا وقفت واستدرت أمام المرآة .. عرفت لماذا إذا سرت فى الشارع وفجأة نظرت ورائى .. وجدت الرجال كلهم استداروا يملأون عيونهم منى .. فأرفع رأسى لفوق تعاليا وسعادة بأن أحدا لا يجرؤ أن يفتح عينيه فى مواجهتى .. قالتها خالتى من زمان : عيناك توقعان أتخن رجل !

وبسرعة أسوى شعرى وشقتى وملابسى .. وأظل أقلب فى الملابس .. حتى اختار البلوزة والجوب .. أو الفستان .. أو التايير ..

وتجىء المكالمات التليفونية وأتناقش مع زميلاتى فى المشاكل اليومية .. وأنسى وأنسى ..

وفجأة أجد واحدا من إخوتى يقول : هه .. صبحنا وصبح الملك لله .. ساعة فى التليفون .. وساعة فى الحمام .. وساعة أمام المرآة ..

أقول له : أنت مالك ! .

فيقول : أنت فاكرة أنك سوف تنجحين هذا العام ؟

أنا : هاها .. هاها .. وأنت الذى تقول .. إن ترتيبى الخامسة فى الثانوية العامة .. وأنت كان ترتيبك العشرين ألفا .. هاها .. هاها ..

ماما : جرى إيه ؟ . أخوك كان عيان ..

أنا : هوه كان عيان ؟ والله أول مرة أعرف حاجة بالشكل .

ده .. ده أنا اللى كنت عملت عملية وخرجت من المستشفى لأدخل الامتحان بعدها بأسبوع .. إحنا بننسى وللا إيه ..

ماما : لسانك طويل .. طول عمرك ..

أنا : أنا لسانى طويل .. وهوه لسانه قصير .. والله باتكلم فى التليفون لأننى لا أستطيع أن أجلس على القهوة .. لا أستطيع أن أذهب إلى النادى .. لا أستطيع أن أعود إلى البيت بعد منتصف الليل ..

هو : أنا كده ! ! واللى مش عاجبه يشرب من البحر ! .

أنا : مش عاجبنى ولكن لن أشرب من البحر .. أناس آخرون سوف يشربون من البحر .

هو : مين قصدك ؟

أنا : قصدى بابا وماما ..

هو : ياماما .. شايفه بتقول إيه ؟. بتقول إنك أنت وبابا سوف تشربان من البحر

ماما : أنت لسانك عاوز القطع .. أتلمى يابنت ياقليلة الأدب ! .

وقد يمتد هذا الحديث على هذا النحو ساعة أو يوما . ولكن المعنى الذى أردته واضح تماما .. فعندنا فى بيتنا مكيالان وميزانان .. وقانونان ونوعان من العدل وألف نوع من الظلم ..

أن يحاسبونى وفقا لقواعد ..

وأخوتى يحاسبونهم وفقا لقواعد أخرى ..

مثلا : إذا أحد قال لإخوتى إنه من الضرورى ومن الذوق ومن الأدب ألا يسهروا طويلا خارج البيت . كان الرد : وهل نحن بنات ؟ .

والجواب : العفو .. طبعا ليسوا بنات .. ولكن يجب أن يعودوا قبل عودة والدنا ..

ويتساءلون : ولماذا قبل عودة والدنا ؟ .. إنه لا يحب السهر . ولكنهم يحبون السهر .. إنه يحب الجلوس أمام التليفزيون .. وهم لا يطيقون ذلك .. إنهم يخافون عليهم من العفاريت التى تخطف الأطفال ابتداء من العاشرة مساء .. ولكنهم ليسوا أطفالا ولا بنات .. فما معنى الخوف !

وإذا ضغطت أمى على إخوتى قالوا : رَيَّحِى نفسك ياماما .. احنا كده ولن نتغير !

هم كده هذا هو القرار . ولن يتغيروا . أى أنهم قرروا ذلك ، والمجتمع قرر لهم ذلك .. انتهى الأمر . هذا قانون . قانون الرجل ..

أما أنا ففى مرة من المرات كنت مدعوة لكتب كتاب . وخرجت مع ماما .. وإذا بواحد من إخوتى يقول لى : هوه أنت العروسة بقى ؟ !

أقول : لماذا ؟

هو : الأحمر الزائد عن اللزوم الذى تضعينه فى وجهك !

أنا : الموضة كده ! .

هو : الموضة ؟ . والا أنت اللى عاوزه تلفتى النظر ؟ .

أنا : الموضة .. وطبعا أنا عاوزه ألفت النظر إلى جمالى .. طبيعى جدا .. أريد أن أكون على الموضة وفى نفس الوقت أن أكون جميلة .. وأنا جميلة عندك مانع ؟

هو : طبعا عندى مانع .. أنا لا أحب أن تخرجى هكذا ..

أنا : أنت ؟ وأنت مالك ؟ زوجى ؟ خطيبى ؟ . أبى ؟ . أمى ؟ . وماذا تفهم أنت ؟

هو : حمار أنا ؟ .

أنا : فى الموضة أيوه حمار !

هو : أنت وقحة !

أنا : والله أنا مش لابسة فوق الركبة .. زى بعضهم .. ولا

شعرى أكرت .. ولا عندى ضب !

هو : قصدك إيه ؟

أنا : أنت تعرف مين التى أقصدها .. أقول لماما .. وللا بلاش النهاردة ..

ماما : صحيح يابنتى .. لماذا لا تخففين الأحمر على الخدين والشفتين ؟ .

أنا : إذا وجدت واحدة من زميلاتى وضعت أحمر أخف أو أفتح من هذا اللون فسوف أمسحه نهائيا ..

* * *

إلى آخر ما يقال ويعاد ويزاد . والمعنى : انه إذا كان الذى أعمله لا يعجب أحدا ، فأنا مطالبة بالتغيير .. ولا أستطيع أن أقول : أنا كده .. واللى مش عاجبه ينفلق .. وما يقوله الرجل أخى والرجل أبى والرجل زميلى هو القانون .. هو القاعدة .. أما الذى أقوله فهو خارج على القانون .. ولذلك يجب أن اعدل عنه .. أو أغيره فورا . لأن فى ذلك مخالفة صارخة لما اعتاده الناس .. وخطرا على حياتى وعلى الناس ..

ومن كلمات أمى المفضلة فى مثل هذه الحالات : يابنتى .. أخوك رجل .. لا تنسى ..

أنا : هو رجل وأنا طفلة .. أنا فى البكالوريوس وهو ساقط ثانوية عامة .. هو رجل له الطاعة .. وأنا طفلة أتلقى الأوامر .. يعنى

الرجل ، فى كل سن : رجل ، والبنت فى كل سن : طفلة ..

نعم . نعم . هذا هو منطق أمى ..

وفى ليلة ونحن نتناول العشاء وجدت أمى تقول : قومى هات لأخيك ملعقة ..

قلت : لا . طبعا .. هو يقوم .. أنا الكبرى وهو الأصغر ..

ماما : العادة أن البنت هى التى تخدم إخوتها .. قومى .

أنا : عادة غلط .. فى العالم المتحضر كله .. الرجل كالمرأة .. كل واحد يخدم نفسه .. بل الواجب عليه أن يتعلم كيف يخدمنى .. فأنا الكبرى .. والرجل يجب أن يفعل ذلك مع السيدة .. والله عندما كانت هنا خطيبته كان هو الذى يمسك لها الكرسى والفوطة ، وهو الذى يضع البالطو على كتفيها .. هيه بنت ناس وأنا بنت الخدامة .. لأ .. يعنى لأ ..

فما كان من والدى إلا أن قال : قومى هات ملعقة !

أنا : علشان خاطرك فقط ..

أبى : شكرا .. يعنى أنت لست مقتنعة بأن هذا واجب ؟

قلت : لا طبعا ..

هو : معك حق .. وأنا من رأيك .. أن أمك هى المسئولة عن إفساد إخوتك وتدليلهم .. ولا أجد أنهم مكسحون .. أو عباقرة يجب أن نركع تحت أقدامهم .. لا تقومى .. إن شا الله ما أكل ولا شرب !

أنا : يحيا العدل !

ولكن والدى ليس كذلك دائما . فقط عندما يضيق بأمى وتدليلها لإخوتى الفاشلين .

فوالدى قد نبهنى فى إحدى المرات ألا أضحك بصوت مرتفع . ولم أفهم . ولكن كان رده : أنت بنت !

ومرة لاحظ والدى اننى أدخن أمام باب الشقة فقال لى : ادخلى ودخنى !

يعنى التدخين أمام الشقة عيب .. وعلى السلم عيب .. وفى الشقة ليس عيبا .. بينما لاحظت أن أمى تدخن فى الاسانسير .. وتقف فى انتظار السيارة والسيجارة فى يدها ..

وفى إحدى المرات سألنى عن زميلة لى على خلاف مع زوجها فقلت له : إنه شخص لا يطاق .. مزعج .

قال : لماذا ؟

قلت : طلباته كثيرة جدا .. وبعضها سخيف إلى أقصى درجة ..

قال : مثلا ؟

قلت : إنه يفرض عليها أن تكون أنيقة ورشيقة على سنجة عشرة .. أما هو فيخرج معها بشعره منكوش وأحيانا لا يحلق لحيته . ومن غير كرافته .. يعنى هى قد لبست أشيك فساتينها وعادت توا من عند الحلاق ووقفت ساعة أمام المرآة .. وهو فقط قام بتغيير القميص .. وتحاول أن تقنعه بالذوق وبالعافية أن يكون أنيقا هو الآخر .. لأنها تحب أن تراه أنيقا كما يحب هو أن يراها .. وإن منظرهما شاذ .. وفى كثير من الأحيان تؤدى الخناقة إلى عدم

خروجها .. حدث أكثر من مرة .. فما الذى تفعله هى ؟ . إنها تبكى فى غرفتها ..

فإذا بكت ترك لها البيت .. وتتعقد الأمور .. ألا ترى أنه إنسان سخيف دماغه ناشف ؟ ..

قال أبى : ولكن يجب أن تطيع زوجها ياابنتى .. إنه رجل البيت ..

قلت : لقد أطاعت زوجها .. فلماذا لا يتفاهم معها ؟ .. إنها لم تطلب أكثر من أن يكون أنيقا نظيفا محترما .. أليس من حقها أن تلفت نظره ؟ .. أليس من حقها أن تراه فى أحسن صورة ؟ ..

قال أبى : ياابنتى إذا كان هو متمسكا برأيه ، فمن الواجب عليها أن تُصَهْين .. أن تجعل العاصفة تمر ..

قلت : ولماذا العاصفة ؟ .. ما كان يجب أن تكون هناك عاصفة .. فهو عندما طلب إليها أن تخرج .. وافقت . وأن تكون أنيقة . وافقت . لأنها تحب أن تكون كذلك .. وتحب أن ترضيه .. فلماذا لا يرضيها أيضا .. مع أن أناقة الرجل لا تحتاج إلى أى مجهود .. دقائق فى حلاقة الذقن .. ودقائق فى تسوية الشعر .. أما المرأة فتحتاج إلى وقت طويل .. ومع ذلك لم يشأ أن يبذل أى جهد فى إرضائها .. وليس هناك منطق .. وفى بعض الأحيان يركب رأسه .. فيكون عندهم ضيوف ويصر على أن يكون مبهدلا .. وفى هذه الحالة لا تستطيع زوجته أن تترك البيت .. وتحاول أن تعتذر للضيوف عن الصورة المهدلة التى يرونها فى زوجها .. وتقول لهم : إنه قد وصل

لتوه من السفر.. وإنه وإنه.. حتى هذا الاعتذار لا يعجبه.. ويكسفها أمام الضيوف.. فهل هذا إنسان يطاق؟ لقد كانت ليلة سوداء عندما جاء له بعض أصدقائه وقابلتهم زوجته بالروب دون أن تقوم بتزويق نفسها.. إنها لم تفعل أكثر مما يفعله هو!.

وكان رد أبي الرجل العاقل المتعلم جدا: غلطانة.. كيف تجرحه أمام أصدقائه؟

قلت: وكيف يحرجها هي أمام صديقاتها؟

وقال أبي وأمي معا: عليها أن تستحمل يا ابنتي! إلى آخر ما يقال بهذا المعنى..

فما هو المعنى؟ المعنى أن البنت يجب أن تطيع أخاها. مهما كان صغيرا.. وأن تطيع زوجها مهما كان سخيفا. وأن تظل هكذا تطيع وتطيع وتتحمل.. أما هو فلا طاعة عنده لأحد.. ولا قدرة له على التحمل.. فالبنت مطالبة بأن تضحى.. فالتضحية والاستشهاد واجب على كل امرأة.. أما الرجل فله الطاعة. وهو القانون وهو صاحب الأمر والنهى..

وعلى ذلك فالرجل ينتظر من المرأة أن تمشى وراءه. أن تكون ظله.. ولا فرق بين الظل والذل. إنه كده!. وهي يجب أن تكون كده أيضا! والعلاقة بين الرجل والمرأة: هى التى تعطى. تعطى دائما. وهو ينتظر ويتلقى دائما. الحب امرأة. والعطاء امرأة. وهو الذى يطلب المزيد.. فالحب يمشى فى اتجاه واحد: اتجاه الرجل.. والتضحية فى اتجاه واحد: التضحية للرجل.. والاستشهاد من أجل

الاحتفاظ بالرجل وبالحياة الزوجية ..

ومعنى ذلك أن الطبيعة الإنسانية ليست واحدة .. فالرجل له طبيعة ، والمرأة لها طبيعة أخرى .

بل الرجل هو « الواحد » والمرأة هى « الأخرى » ..

هو الجنس الأول .. وهى الجنس الثانى .

هو الأصل ، وهى الصورة .. هى النسخة .. المسخة ..

والمثل الأعلى هو : الرجل .. يجب أن تقلده المرأة .. أى أن المجتمع والعادات وعلم النفس يطلب من المرأة أن تكون رجلا مشوها .. أى لا هى امرأة ولا هى رجل .. ولذلك فالرجل عندما ينظر إليها وإلى ألوانها وفساتينها ويقول : إنها بغبغان ، فليس مخطئا .. لأن فى ملابسها ألوان البغبغان ثم أنها تكرر ما يقوله الرجل .. هذا واجبها .. فالعادات والتقاليد واخلاقيات المجتمع هى أساس علم نفس المرأة .. لأن هناك علم نفس الرجل .. فعلى التقاليد والثقافة الاجتماعية الموروثة قام علم نفس المرأة ، الذى يختلف عن علم نفس الرجل . مع أن كل علوم البيولوجيا والفسيولوجيا والسيكلوجيا والسوسيولوجيا تؤكد أنه لا فرق بين الرجل والمرأة تحت الجلد .. كل شيء هو هو .. ولكن بصور مختلفة .. ولا فارق بين الاثنين .. ولكن التقاليد والثقافة الموروثة هى التى جعلت خلافا بينهما .. وليس كفاح المرأة إلا محاولة مستمرة لتأكيد أنه لا خلاف بينهما ..

إن كفاح المرأة ليس إلا طلب المساواة بين الرجل والمرأة .. إلا محاولة لإلغاء التحيز اللغوى والأخلاقى بين الرجل والمرأة .

والمرأة تعيش فى مجتمع الرجل .. فالرجل هو الذى يضع القانون ويدعى أن القانون والدستور قد نص على المساواة بينهما .. ولكن الواقع يقول : إن الخلاف على أشده بينهما ..

فنى اللغة نقول : البنى آدم .. ونقصد الرجال والنساء ..

وعندما نقول بنات حواء : فنقصد المرأة فقط .. أما بنو آدم فهم جميع الذكور والإناث .. وفى اللغة عندما نقول : الواحد منا يفعل كذا وكذا .. يقصد أن كل الناس ذكورا وإناثا .. وعندما نقول : الواحدة منا .. نقصد الإناث فقط .. وما لا نهاية له من الأمثلة تدل على التحيز للرجل .. وهذا طبيعى . فالرجل هو صانع القانون والعادات والثقافة .. وعلى هذه الثقافة أقام علمين للنفس .. ونصب ميزانين ومكيالين ونظريتين .. وعالمين .. عالم الرجل هو الأقوى .. وهو الحاكم المطلق .. وهو الحق المطلق أيضا !

* * *

ولا أنسى هذه المناقشة فى بيتنا . كان لنا صديق من أقاصى الصعيد .. شديد السمرة .. ظريف .. متعلم جدا .. غنى .. وإذا أمى بكل حسن نية تقول له : والله ياابنى أنت ليس فيك عيب .. وألف واحدة تتمناك .. ولولا سواد العين ما كان نورها .. والمثل يقول : البياض مثل الجير على الحيط ..

وكان هو يضحك ويقول : الله يجبر بخاطرك .. مرة الشاعر حافظ إبراهيم وجد واحدا مثلى .. أسمر .. غامق اللون وقد وضع يده على خده حزينا .. فاقترب منه الشاعر الظريف وقال له : ياابنى وأنت

زعلان ليه .. إنها ليست غلطتك إنها غلطة أبيك الذى لم يدفع مهرا كبيرا .. هاها .. هاها ..

وضحكت أمى .. وفاجأها الصديق الصعيدى الجوانى : هل تقبلينى زوجا لابنتك ؟ .

ومن غير أى تفكير قالت ماما : لا ..

فقال : بسبب اللون ؟

قالت : نعم .. ولا تغضب منى !

إذن فهناك تفرقة فى اللون .. وتفرقة فى الجنس .. وليس صحيحاً أن الناس سواء أمام العرف والتقاليد فى أى بلد .. وعلى المرأة أن تكافح وأن تخوض معركتها وحدها .. وهى معركة لا تستمتع بأية شعبية لا فى البيت ولا فى الغيط ولا فى المكتب ! .

لا نحن حريم
ولا هو سلطان!

أنا اسمي : ز ...

أعتقد أنني سيئة الحظ .. أو سيئة الاختيار .. فكل الشبان الذين اخترتهم كانوا بالضبط الناس الغلط ..

وكلهم كانوا زملائى فى الدراسة .. وبعد ذلك زملائى فى العمل .. أسبوع كلام .. وأسبوع خروج معا .. وكل واحد يذهب فى طريق ..

فى كل مرة أجلس وأفكر وأتأمل فى الذى حدث ، أجد أنهم : إما شبان أقل ثقافة منى .. وربما هذا هو الذى أعجبنى أول الأمر .. وهنا أبدو أكبر وأقوى .. ويبدو هو أصغر وأتفه ..

وإما أنهم هم الذين اعلنوا من أول لحظة أنهم فى حيرة من أمرهم .. ضعاف .. يحتاجون إلى أن أساعدهم . أن أقف إلى جوارهم .. أن أدفعهم إلى الأمام .. ولاشك أنه يرضى غرورى أن أكون هكذا قوية قادرة على العطاء .. ولكن بعض هؤلاء الشبان كانوا مثل عربات كارو محملة بالطوب يجرها حمار تعبان فى مطلع حاد .. لو كان الذى يجرها حصانا .. أو لو كان صاحب العربة يقف إلى جوارى ويدفعها معى .. أو لو كانت سيارة محتاجة إلى دفعة

صغيرة حتى يتحرك الدينامو ثم الموتور .. ولكن وجدت اننى إذا ظللت أدفع هذه العربة الكارو فالحمار أنا وستون حمارا أنا .

وهل صحيح أننى أنا التى اختارت .. أو أننى تعرضت لهم وشجعتهم فاختارونى .. لأننى أقوى .. لأننى أذكى .. وأنهم اثاروا عطفى وشفقتى .. ودخلوا حياتى عن طريق القلب .. ولكن هناك فارقا كبيرا بين الذى أحبه وبين الذى أشفق عليه .. أو بين الذى يحبنى وبين الذى يعطف علىّ ، أموت ولا أنتظر عطف أو شفقة أحد ! .

الحقيقة أننى لم أجد رجلا قويا مثلى .. أو رجلا أقوى منى .. لم أصادف هذا « الرجل » . كلهم من هذه العينات المرفوضة .. لم أجد الرجل الذى يقول لى بصورة قاطعة : اسمعى أنا كده .. عاجبك .. مش عاجبك روحى على أملك ..

أى هذا الرجل الذى يجعلنى اشّعبط فى ديله.. الرجل القوى الذى يوقفنى عند حدى .. الرجل الذى كل كلماته عبارة عن صفعة .. شلوت .. كرباج .. الرجل الذى فى مثل والدى الذى كان يهز البيت ويصيب أمى بالرعشة والخوف .. والذى كان يسحب اللون الأحمر من وجهها فإذا هى صفراء كأوراق الخريف .. هذا هو الرجل ..

ومعنى ذلك أننى أحب أن أكون مثل أمى : ذليلة معذبة .. خائفة .. لا مانع أن أخاف الذى أحب ـ بشرط أن أحبه .. وبعد ذلك أنا قادرة على أن أجعله يحبنى . وأعتقد أن والدى كان يحب

أمى .. لقد تأكدت من ذلك كثيرا .. فقد كان أبى يتفنن فى إرضاء أمى إذا أغضبها . يبوس رأسها ويديها ورجليها .. أنا رأيت ذلك وسمعته وهو يقول لها : حقك علىّ .. أنا تعبان والتعبان يغلط .. والمسامح كريم .. وأنت سامحت كثيرا ، فسامحينى ما تبقى لى من العمر ..

وبسرعة كأن شيئاً لم يحدث .. أجد أمى تقول له : العمر الطويل لك !

وينتهى كل شىء ..

أمقت هذا الإنسان المتواضع .. الناعم الدحلاب .. أكره المتواضع الوضيع .. أحب الرجل مرفوع الرأس ، مصلوب العود .. وكلماته مثل قوامه : مشدودة قوية واضحة الوقع والايقاع .. الرجل الذى أمر قوامه بأن يكون مصلوبا ، وكلماته بأن تكون قاطعة . الرجل الذى أصدر إلى عينيه أن تلمعا بقوة وقسوة ، والرجل الذى أمر حاجبيه بأن يتقاربا كأنه فى حالة من الفحولة والغضب والقطع .. هذا هو الرجل الذى أريد . الرجل الذى يرغمنى على أن أحبه .. ويرغمنى على أن أفكر فيه ، وعلى أن أغير طريقى وأسلوبى وذوقى من أجله ..

اذكر أن زميلاً لى فى الشركة قال لى : لا أعرف كيف يكون شكلك لو ارتديت فستاناً أخضر قاتما أو غامقًا !

وارتديت الفستان الأخضر ووقفت أمام المرآة طويلا .. ودرت حول نفسى أرانى من الأمام ومن الخلف .. وتخيلت ما يمكن أن

يقوله هو .. وكدت انطق الكلمات وتخيلت ما يقوله الناس فى الشارع .. وفى الاسانسير .. وتخيلت أننى لا أسمع ما يقولون .. لقد ادخرت اذنى واهتمامى كله للكلمات التى سوف يقولها هو .. رغم أنه ليس صديقا ولا حتى هناك أدنى أمل فى أن أحبه .. وقابلته وكل ملامحى تلفت نظره لأن يرى الفستان .. بل تدعوه أن يقول شيئا .

ولم يكد يرانى حتى قال : ياأرض احفظى ما عليك ..

واسعدنى ذلك .. ثم قال : الشنطة لون الجزمة لون جلدة الساعة !

واتعسنى ذلك . فلم ير الفستان والتسريحة والاكسسوارات كلها !

سألتنى إحدى صديقاتى : هه .. كيف حالك ؟ .. من هو فتى الأحلام الآن ؟

قلت : لا أحلام ولا فتى !

ـ كيف ؟

ـ هذا ما حدث .. فأنا أرى الشبان دائما وأنا فى غاية اليقظة وأرفضهم فورا .. فلا أحد منهم آخذه معى فى الفراش وأكمل الحديث معا فى أحلامى .. وحياتك لا أحد !

ـ ما هذا ؟ ادخلى فى عبى ادخلى .. والذى رأيته معك بالأمس .. زى القمر !

ـ فعلا كالقمر .. بارد مسطح بعيد عن العين بعيد عن القلب ..

ـ شطارتك أن تشعلى النار فى القمر وتجعليه شمسا قريبا من العين والقلب .

ـ أرجوك أن تدليني على واحدة فعلت مثل هذا لكي أتعلم منها ..

ـ فهميني .. كلميني كلاماً على قدر عقلي .. بالراحة عليّ أرجوك ..

ـ ولا حاجة .. إنه قمر ولكن هذا القمر يطلع على كثيرات غيري ..

ـ هذا هو التحدى .. هذه هي الشطارة أن تخطفيه من كل هؤلاء .. ويكون الخطف انتصارا على كل بنات حواء .. هذا هو الذى يشعل النار فى الحب وفى القلب .. ولكن أن تتصورى أن القمر ليس إلا قرصاً فضيا أو طبقاً صينيا يجب أن يتدحرج بين الشمس على أشعته ثم ينحط أمامك . ويقول : شبيك ـ لبيك قمرك بين يديك ، فهذا لايحدث إلا فى « ألف ليلة وليلة » .. . .

ـ أنا بتاعة « ألف ليلة » .. أنا أريد أن يجىء الشاطر حسن ويخطفنى على حصان أبيض .. ويطير بى ويرمينى من السماء لأتحطم على الأرض .. أنا أريد الحب الساحق .. الحب السحيق ..

ـ ياخبر أسود ومنيل .. أرجوك أن تدعينى لكى اذهب للقاء واحد عنده نجمة واحدة على كتفة .. واحدة . والله إننى أراها كأنها سماء بها مليون نجمة وهو القمر .. أنا راضية بحالى .. أنا أفكر على قدر معلوماتى وتجاربى .. كيف أطلب رجلا كالقمر ، لا أريد أن أحلم بالحياة وأنا ميتة .. لا أريد أن أحلم برجل ينام إلى جوارى ثم

اغلق عينى لكى أراه .. لماذا افتح عينى لكى أراه .. لكى أملأ عينى منه .. والعين مهما قدمت لها فإنها لا تمتلئ .. وأنا بعينى الضعيفة هذه أستطيع أن أنظر إلى السماء .. فالذى يملأ العين؟ لا أول له ولا آخر .. ولكن ذرة تراب واحدة تجعلنى أسد عينى وأدمع .. ذرة واحدة تلهب العين فلا ترى .. وحبيبى هذا هو ذرة تراب .. ذرة ماس دخلت عينى وأنا اطبق عينى عليها حتى لا أرى غيرها ، وحتى لا ترى غيرى .. أنا من ملايين الفتيات العاديات جدا .. أنا واحدة من الملايين الراضيات بالقليل ، أملا فى الكثير المعقول !

- ....

* * *

وكما هى العادة جاء أحد الجيران يخطبنى .. وقد شجعته خالتى على ذلك .. وأمى أيضًا .. وأبى قال : الرأى لى . أولا وأخيرا .. وأبى جاد وأمى أيضا ..

جاء . وقعد . جئت وقعدت . وتكلم وتكلمت .. وتسللت أمى .. وخالتى وأخوتى وأبى .. وبقينا وحدنا .. لكى اتكلم على راحتى ويتكلم هو .. رغم أنه ليس هناك كثير يقال فى مثل هذه الحالات ..

ولكن رأيت عينيه تنزلقان من فوق ساق .. أكثر من مرة .. ورأيته ينظر إلى أصابعى .. وإذا تراجعت عند الضحك ، ضبطت عينيه على عنقى وعلى صدرى . ولكنى لا أراه الشاب المناسب . ولا أعرف بالضبط ما الذى كنت أتوقعه منه . هل يقول كل الذى قالته

عيناه . كيف ؟ ومن أول لقاء ! ولكن احب الشاب الجرىء ، لماذا لا يقول ولا يعتذر .. ويكون الاعتذار أقوى من القول .. أى أنه رأى وأعجب ولم يستطع أن يسكت . وأنه لم يقو على مقاومتى .. ولو سألنى أنا ماذا رأيت فى الكرافتة وفى الجزمة وفى أظافر يديه وفى الشعرات القليلة البيضاء فى مقدمة الرأس لقلت له : إنها اعجبتنى جميعا !

ولكن هذا هو الشاب الوحيد الذى لم أنس نظرته ولا لمعان عينيه ولا الذى جف ريقه فابتلعه .. وعندما عدت إلى الفراش وجدت وجهه فى السقف .. ولاحظت أن عينيه تتسعان وتقتربان منى حتى كدت أسمع أنفاسه بالقرب من وجهى .. إنه لم ينظر إلى ساقى .. وإنما أحسست كأن رموسة تشكنى .. أحسست كأن ألف اصبع خرجت من عينيه وراحت تمشى ذهابا وإيابا على ساقى وعلى عنقى وعلى صدرى وعلى ظهرى .. وهو لم يلاحظ أن جسمى كأن يرتعش عندما كان يكهربنى بنظراته الجريئة النافذة .. لقد أحسست أنه رجل وأننى أنثى ..

وفى كل ليلة أراه فى السقف .. وفى كل ليلة أخفى وجهى من عينيه وفى كل ليلة ألف الغطاء حولى خوفا من أصابعه .. حاولت أن أنسى ذلك ، فلم أستطع .. حاولت أن أضع أصابعى فى عينيه حتى لا يرانى ، لم أستطع .. حاولت أن أتغطى ببطانية خشنة ، حتى تحول بينى وبين أصابعه الناعمة ، لم أستطع ..

وفى يوم خرجت من الحمام بالروب .. وأغلقت الباب ورائى .. ووقفت على السرير انظر إلى جسمى .. وألقيت بالروب على السرير .. ورأيت نفسى عارية تماما .. ونظرت إلى ساقى من الأمام ومن الخلف .. ومشيت على السرير الذى كان يتراقص بى .. ونظرت إلى صدرى الرجراج .. وإلى ظهرى .. وإلى كتفى الناعمتين المستديرتين .. كل شىء مستدير : النهدان والردفان والكتفان .. وكنت أتمشى بأصبعى على جسمى .. وأحس كأن أصابعى هى رموش عينيه .. ثم ارتديت الروب وجلست على طرف السرير .. ساقا على ساق .. كما كنت أجلس أمامه .. ورأيت ساقى فى المرآه .. ولاحظت أنه كان يستريح فى كل مرة أسحب فستانى إلى ما فوق الركبة .. كأنه يتمنى لو أظل هكذا أمامه طول الوقت .. ولكنه فى لحظة لا يحب أن أبدو كذلك لكل الناس .. فلما اسحب الفستان إلى أسفل الركبة يستريح لذلك ..

وارتديت ملابسى كاملة ورحت أفكر فى شىء عجيب لأول مرة .. ما هو الفرق بين الفضيلة والرذيلة ؟ ما هو الفرق بين الاحتشام والخلاعة ؟ ما هو الفرق بين الفتاة عندما تكون بعيدة وعندما تكون قريبة إلى قلب الرجل ، أو خطيبته ؟

الفرق : عدة مليمترات !

فإذا سحبت الفستان إلى ما فوق الركبة سنتيمترا واحدا ، فهذا ما لا يليق .. وإذا سحبته إلى ما تحت الركبة سنتيمترا واحدًا فهذه هى الحشمة ..

وإذا فتحت الرقبة ونزلت بها بضعة سنتيمترات ، انكشف الصدر وظهر خط ما بين النهدين ، فهذه هى الخلاعة .. وإذا سحبت خط الرقبة إلى أعلى ، فهذا هو الأدب ..

وإذا ضيقت حزام الوسط بضعة سنتيمترات برزت الارداف ، فهذه هى الخلاعة .. وإذا وسعت الحزام ، فاختفت حدود الوسط والردفين ، فهذا هو الأدب ..

وإذا أنا شددت السوتيان من الخلف ، ارتفع النهدان . فهذه هى الأنوثة المحتشمة .. وإذا أنا وسعت السوتيان فإن هذا يؤدى إلى اهتزاز النهدين فى كل خطوة اخطوها .. وهذه دعوة لأن تنظر العيون وأن تتمرجح أيضًا .

أما إذا سحبت خط الذيل ونزلت بخط الرقبة وشددت الحزام وأرخيت السوتيان ورفعت كعب الجزمة ، فأنت أمام وليمة شهية تدعوك إلى أن تمد عينيك وأصابعك أيضًا !

والفرق بين الرذيلة والفضيلة ، بين الاحتشام والخلاعة : مليمترات !

* * *

كان يوم جمعة وذهبت إلى النادى .. وارتديت جزمة واطئة .. وكانت عندى أعراض برد . فالفستان طويل الاكمام والرقبة مسدودة بزراير .. ولففت الاشارب حول رأسى وعنقى .. وأول واحد قابلته عند مدخل النادى وجدته يقول لى : أهلا ياحاجة !

وضحكت وقبل أن أستوضح منه لماذا أبدو كما لو كنت

« حاجة » فإذا به يقول لى : وأنت أيضًا قررت أن تتحجبى .. زوجتى تحجبت .. لأنها لا تريد أن يرى أحد جسمها غير زوجها .. وأنت تحجبت لماذا ؟ هل لكى يجرى الشبان وراءك حتى يروا ما أخفيت ، ثم بعد ذلك تتحجبين .. أنت تعرفين أن المحجبات الآن أسرع زواجا !

* * *

بالذمة ما هذا الذى يعجب ويغضب الشبان ؟ وإلى متى تظل المرأة تحرص على الذى يغضب ولا يغضب الآخرين ، دون أن تفكر ولو لحظة واحدة فى الذى يعجبها هى ، وتعرضه على الآخرين .. المصيبة أننا تعلمنا أن المرأة هى حريم السلطان .. هو السلطان ونحن الحريم .. ولكن أرفضه سلطاناً وأرفض نفسى وجسمى ومستقبلى حريما لهذا السلطان !

وعدت إلى البيت لكى أغير ملابسى !

أكرهه أحتقره
ولذلك تزوجته !

ماما حبيبتي ..

الآن أنا وحدي بعد منتصف الليل . إخوتي كلهم ناموا .. وكان يوما جميلا . ضحكنا معا . وتفسحنا معا . وكانت سعادتنا ناقصة ، وفرحتنا ناقصة .. وكل شيء لم يعد له وزن ولا طول ولا عرض ولا لون ولا رائحة ، لأنك كنت بعيدة عنا . فالدنيا لا تحلو إلا بك .. ولكن كل الذي تعلمناه منك موجود فينا .. كأنك كنت موجودة معنا . كأنك ، ولا أقول انك موجودة ..

ماما .. لا أعرف كيف تفكر المهندسة والطبيبة والمحامية ؟ كيف يرين الدنيا ، والعلاقات الإنسانية ؟ ما هو الجميل ؟ ماهو الموزون ؟ ما هي الموسيقى ؟ ماهو الانسجام في الألوان وفي الكلمات ؟ أنا لا أعرف إلا الذي تعلمته من الكتب .. وفي الشعر وفي النقد الأدبي وفي التاريخ .. ولذلك فأنا أرى أن الحياة قصيدة .. وأن الحب شعر .. وأن الزواج أغنية راقصة .. هذا هو الذي أعرفه .. والذي أرى الدنيا شبيهة به .. وربما كان هذا قريبا من رأى الفنانة أو الرسامة أو الموسيقية .. أو كان رأى بنت الجنايني أو بنت الفلاح .. ولكن التي تفكر بالأرقام أو بالكومبيوتر أو المعادلات الكيماوية لا أعرف

كيف الدنيا والصداقة والحب والكراهية والنجاح والفشل عندهن ..
لا أعرف .. فالذى تعلمته ودرسته وتخصصت فيه قد عزلنى عن دنيا
غيرى من الفتيات زميلات الدراسة وزميلات العمل أيضا ..

ياماما .. أنا لم أحاول أن أبعد بك عن الموضوع الذى يجب أن
تعرفيه .. إن هذا هو صميم الموضوع .. إنه شاب مثقف جدا . ومن
أسرة عريقة. وعاش وقتا طويلا مع والده السفير فى الهند واليابان
وتركيا .. وهو إنسان بسيط .. وهو أيضا يبنى كل شىء على الكلمات
والخطابات . فقد تخصص فى الآداب الآسيوية . ومستقبله أن يكون
مدرسا فى الجامعة ، مثلى تماما. والجلوس معه ، متعة فى الأدب
والشعر والنقد والتاريخ .. وبين الحكاية والحكاية .. نظرة .. لمسة ..
كلمة خاصة .. ونحن الاثنين نعرف ما الذى نريد وندور حوله .. وهو
فى غاية الحياء كما أننى كذلك . لم يعترض على أننى محجبة .
ويضحك ويقول : وأنا أيضا .. ويشير إلى قميصه الطويل والياقة
والكرافتة والبنطلون ..

له ضحكة جنان ياماما ! مثل ضحكة بابا بالضبط ، وأنا أعرف
أن ضحكة بابا هذه هى التى أتت بى إلى هذه الدنيا !

فى أول حديث قال لى : اسمعى الله على الجد .. والجد الله
الله عليه .. وكل علاقة تقوم على الكذب ، فاشلة .. وأرى أننى لا
أريد أن أكذب عليك ، سوف أقول لك كل شىء ليستريح
ضميرى . ولن أخفى عنك أى شىء ..

لقد تزوج فتاة هندية : أبوها هندى وأمها إنجليزية . أحبها

بجنون . ولكنها خائنة . فذهب إليها يسترحمها من أجل طفلهما الوحيد .. باس القدم وأبدى الندم .. وقال لها : اطلبى أى شيء ـ كل ذلك من أجل ابنهما الوحيد .. أما هى فقد خانته مع موظف هندى صغير .. واتصل به وقال له : ليكن زواجكما سعيدا .. فلا حيلة لى ولا أملك لكما شيئا . وسوف أطلقها .. ولكن أرجوك أن تعطيها بعض الوقت .. ستة شهور .. سنة .. حتى يكبر الطفل فى حضنها وبعد ذلك افعل أنت ولتفعل هى ما بدا لها !

ورأيت الألم فى عينيه والشحوب فى وجهه والحنان على ولده .. والأسف والندم .. وقال لى : هذه حكايتى .. غلطتى .. جريمتى .. لقد كنت مخلصا ، تركتها .. كنت محبا متفانيا ، ولم تكن هى .. أنجبت الولد الذى أحببته .. والآن لا أعرف إن كان ابنى أو لا ! .. فملامحه كلها شبيهة بأمه .. ولكنى أحببته . أغلى شيء فى حياتى ..

وقال لى ياماما : انتهى كل شيء . ولابد أن ينتهى . فالإنسان لا يستطيع أن يحتفظ بالذكريات التى أهانته وأذلته ومسحت به الأرض من أجل الطفل .. فرسالتنا فى الدنيا ، أن يكون لنا أطفال .. هؤلاء الأطفال هم أهدافنا .. وهم أملنا فى أن يكونوا أفضل منا .. كما أننا أفضل من آبائنا وأمهاتنا .. والأمر معروض عليك الآن .. أحبك . وأنا رجل مخلص . وأحترمك . وأريد أن أستأنف بك الحياة الأفضل . وأن تكونى أنت التعويض الكريم الذى أستحقه .. أنا دخلت النار وأنت جنتى .. وقد تعذبت كثيرا وتطهرت تماما لك وأمامك .. وإن كان هذا ذنبى ، فالتائب من الذنب كمن لا ذنب

له .. ولا أعرف إن كان من حق أن أطمع فى مغفرتك .. فكم تمنيت لو أنك أنت أول فتاة فى حياتى لتكونى آخر فتاة .. فمثلك من حقها أن تكون الوحيدة على عرش أى قلب .. فأى جمال وأى ذكاء وأية تقوى .. أنت نعمة من الله ياآنستى !

كل ذلك قاله . وأكثر ..

وقلت له : إن هذا يكفى .. ومن الوحل تنبت أجمل الفواكه .. وفى الظلام تتجلى النجوم .. ومن الظلمات خرجنا إلى هذا النور .. إلى هذه الدنيا .. فكل نور يبدأ من ظلام .. تلك حكمة الله .. وراء الضباب والسحاب يطلع علينا القمر ، وتطلعَ علينا الشمس .. والله يقبل توبة المحبين .. فقد أحبوا كما أراد بالقلب ، بكل ما فى القلب !

وقلت له ياماما : سوف يذكر لنا تاريخ الشعر ما قاله رجل مارق منحرف عربيد هو أبو نواس وهو يطوف حول الكعبة .. وما قال ذلك إلا لأنه رأى المحبوبة الجميلة فتاب وأناب .. وأكثرنا يردد هذا الدعاء دون أن يعرف من الذى قاله ؟ .. ولا لماذا ؟ ولكنه سحر التوبة وعمق الندم ، وجلال الله .. ولما علم أن المحبوبة واسمها « جنان » سوف تحج بيت الله الحرام ، ذهب هو الآخر يحج . وفى ذلك يقول :

ألم تر أننى أفنيت عمرى
بمطلبها ومطلبها عسير
فلما لم أجد سبباً إليها
يقربنى وأعيتنى الأمور

حججت وقلت : قد حجت « جنان »
فيجمعنى وإياها المسير

وذهب وحج . ورآه الناس يطوف حول الكعبة ويلبى بشعر من نظمه ويعيده ويكرره والناس كلهم يرددون وراءه :

إلهنا ما اعدلك
مليك كل من ملك
لبيك قد لبيت لك
لبيك إن الحمدَ لك
والملكُ لا شريك لك
والليلُ لما أن حلك
لولاك يارب هلك
كلُّ نبى ومَلك
وكل من أهلّ لك
سبَّح أو لبىّ لك
يامخطئًا ما أغفلك
عجِّل وبادر أجلك
واختم بخير عمَلك
لبيك إن الملك لك
والحمد والنعمة لك
والعز ، لا شريك لك

واسترحت إلى هذه الصراحة . ولكن فى الوقت نفسه تضايقت

جدا .. لماذا لم يكذب عليّ ؟ لماذا قال لى إنه تزوج وأحب وقال نفس الكلام .. ثم كان له ولد يقول إنه جميل .. فماذا أعطيه أنا ؟ ثم ان هذا الرجل لا أتصوره قد ركع أمام خائنة .. كيف مرغ وجهه وشفتيه فى قدميها .. كيف ؟ وبعد ذلك انظر إليه .. كيف ؟ لماذا لم يكذب ؟ ما قيمة هذه الصراحة التى سوف تفسد حياتنا تماما ؟ إننى سيئة الحظ يا أمى .. لاشك فى ذلك !

وقررت أن أهرب منه .. وإذا كان هو لم يكذب ، فسوف أكذب .. قلت له : إننى أيضا كنت متزوجة . وكان زوجى يأتى بالنساء إلى بيتى .. إلى فراشى وأمام عينى ــ لا تغضبى ياأمى .. إننى مضطرة إلى ذلك لأننى لا أستطيع أن أتزوج مثل هذا الرجل الذليل ، مهما كانت مواهبه وقدراته .. ومهما كانت أهدافه النبيلة ..

وقلت له أيضا : إننى مريضة نفسيًّا .. فقد كان زوجى يضربنى وكنت أجد لذة فى ذلك .. كان يربطنى فى السرير وينهال على بالكرباج .. وكل ليلة كان الجيران يخلصوننى من يديه ..

وقلت له : إن هذه الحياة التعيسة قد أثمرت طفلا جميلا .. داسته سيارة .. وأعتقد انه مات بسبب إهمالى .. فأنا القاتلة .. وفى كل ليلة أرى هذا الطفل وأرى السيارة .. وفى كل ليلة أحلم بأن هذا الطفل يخرج من بطنى ويلقى بنفسه تحت السيارة .. كأنه أراد أن يؤكد لى أنه هو الغلطان ولست أنا .. ولكن عذابى لا حدود له فأنا الأم المريضة التى أكملت جنونها بقتل طفلها الوحيد ..

وكنت ــ وأنا أحكى له هذه القصص ــ انظر إلى وجهه .. إنه

هادئ تماما كأنه يتوقع ذلك .. أو ما هو أسوأ من ذلك .. وكأنه يرى في روايتي لهذه الكوارث نوعا من الاعتراف المريح .. أو نوعا من التوبة .. أو نوعا من الاستغفار المقبول ..

ثم قلت له : وقد عرفت رجلاً آخر . أحببته وأحبنى . ولكنى لم أخلص له .. فقد أيقنت بأن الرجال كلهم وحوش .. وفي يوم من الأيام كادت يدى تمتد تصفع هذا الرجل .. كأنه فاتنى أن أصفع زوجى ، وقررت أن أنتقم في شخص هذا الرجل الضعيف .. ثم صفعته بمنتهى القوة .. وعندما أحنى رأسه يقول : إننى عصبية .. وإنه برغم كل ذلك يحبنى تركت له المكان .. وقررت أن أصده إذا حاول أن يتصل بى ..

وقلت له : إن عندى مشاكل عائلية .. فأنا مضطرة أن أعمل لكى أنفق على والدتى وعلى إخوتى .

اعذرينى ياماما .. فأنا لا أريده ولا أطيقه .. ولا أقوى على رؤيته وسماع قصص زوجته السابقة وحكاياته لها !

ولكنه تعلم من الهند الكثير جدا : صفاء عقل ، وهدوء نفس ، وزهدا ، وصبرا واحتمالا هائلا .

بصراحة قلت له : حتى أظافرك لا تعجبنى وكذلك شكل شفتيك وأنت تتكلم .. وكلما تصورت أن اصابعك هذه قد التفت حول عنقها ، وشفتيك قد قبلتا شفتيها . أشعر أن معدتى تكاد تقفز من بطنى .. وأن روحى تطلع من أنفى ولا لون اسنانه ياماما ؟ ! كيف لم أر كل ذلك إلا بعد أن حكى حوادثه مع زوجته السابقة .

وقد لاحظت أن فى رأسه علامة طبعا ليست علامة صلاة .. ولا أستبعد أن تكون كعب جزمة .. فقد كانت زوجته عصبية وكانت تشرب كثيرا ، وإذا شربت راحت تحطم كل ما تجده أمامها .. بما فى ذلك زوجها ــ هو الذى قال !

وبعد أن شوهت صورتى : الماضى والحاضر والمستقبل . فلم يبق إلا أن يقول لى : روحى فى ستين مصيبة ! فوجئت به يقول لى : أحكى لك .

فقلت : أريد حكاية واحدة . أرجوك . قرفتنى !

ولكنه بنفس الهدوء أحنى رأسه ليقول : إنها حكاية مما قرأت للحكيم الهندى بوذا .. سألوه عن ضبط النفس وعن الحلم والصبر قال : نفرض إن قردا وثعلبا وسلحفاة وثعبانا وعصفورا ربطوها جميعا فى حبل واحد . وسارت هذه الحيوانات معا .. فإنها جميعا تشد الحبل .. العصفور يريد أن يطير .. والثعبان يبحث عن شق فى الحائط والسلحفاة تبحث عن الماء والقرد عن الغابة والثعلب عن الشجرة . ولكن هذه الحيوانات سوف تمشى وراء الحيوان الأقوى الذى يجرجرها وراءه .. ولكن إذا كان هذا الحبل مربوطا فى عمود فإن هذه الحيوانات سوف تحاول وتحاول وعندما تتعب تسكن وتتساقط على الأرض . لماذا ؟ لأنها لا تقوى على التغلب على العمود القوى الذى يعوقها عن الحركة .. فأنا أرى أن تضعى كل هذه المشاكل والمتاعب معا . ونجلس معا للاتفاق على فهمها .. ولكنى أرى أنك قد تعذبت كثيرا ولا حيلة لك فيما حدث .. ولا أحد لم

يعرف الخطأ عن قصد أو غير قصد .. وكلانا كان ضحية للظروف .
وأنا الآن أشعر أننى أقرب إليك مما كنت قبل ذلك .. وأعتقد إننى وحدى على استعداد لأن أهون عليك وأخفف عنك .. وأن نستأنف معا حياة نتساند فيها إلى بر السلامة . ويجب ألا نندفع يمينا وشمالا .. هل تعرفين لماذا كانت آلهة الهند تقدس الطاووس ويطلقونه فى المعابد حرا يفعل مابدا له ؟ لسبب بسيط جدا .. ففى ريش الطاووس عيون كثيرة .. والمعنى اننا إذا وضعنا عيونا واعية فى كل مشاكلنا . فإن هذه المشاكل سوف تهتدى إلى الحل من تلقاء نفسها . ألسنا وضعنا فى كل ريشة أربع عيون .. عينى وعينيك .. مئات العيون فى ريش الجناحين . وعلينا الآن ، معا . أن نضع العيون فى هذا الريش .. وأن نطلق الريش فى الفضاء بعيدا .. وهى وحدها التى سوف تجد الحل .. إن البوذيين يستخدمون الريش ذا العيون لتقليب الماء المقدس .. لنفس المعنى .. والآن نحن قد عرفنا المشاكل طولها وعرضها .. وعرفنا الوسيلة إلى الحل .. فلنعمل معا الآن لتركيب عيون لهذه المشاكل . هذه العيون تشبه العدسات التى توضع فى المدافع . فنحن ننظر من العدسات لنرى الهدف أوضح .

لم أطق صبرا . فصرخت فيه قائلة : أنت إيه ؟ حديد ؟ حجر ؟ ميت ؟ .. كل الذى قلته لك ولا تدرك أننى أكرهك .. أمقتك .. أحتقرك ؟ كيف تسمع مثل هذه الكلمات من واحدة كانت تنظر إليك بهيام ثم انقلبت عليك ؟ ألا ترى أن مثل هذا النوع من النساء لا أمان له .. مثل هذا النوع من الأفاعى لا يغير جلده كل موسم وإنما

كل يوم .. كل ساعة ؟ كيف تبنى حياة زوجية على هذه الرمال المتحركة . فوق الموج .. فى العواصف .. لو كنت زوجة لك ، لكان من الواجب أن تطلقنى بالثلاثة طلاقا لا رجعة فيه .. لو كنت أنا زوجك والعصمة فى يدى لطلقتك وألقيت بالأثاث من النافذة وأحرقت كل ملابسك وقلت لك : إلى الشارع .

وفى هدوء التماثيل الفرعونية حرك رأسه إلى أعلى وقال : عندنا فى الهند .

ـ فى الهند تانى ؟ !

ـ عندكم فى الهند تحرق الزوجة نفسها بعد وفاة زوجها .. لماذا لا تخترع شيئا جديدا يكون تعويضا للنساء .. فتحرق نفسك بعدى .. أى بعد أن أتركك حالا ؟ وبذلك يكون أول رجل أحرق نفسه حزنا على حب فاشل لم يؤد إلى خطبة أو زواج .. ما رأيك ؟ سوف أحضر لك الخشب والبنزين وأنت عليك الكبريت .. ما رأيك ؟ !

* * *

وعلى الرغم من كل ذلك وجدته يقول : ما رأيك نتزوج اليوم ؟

قلت : موافقة !

ولا أعرف ما الذى جعله يطلب منى الزواج ؟ ولا كيف استسلمت ووافقت ؟ !

هىَ علمَتنى الصّدق
وَهىَ أسْتاذة الكذبّ!

أنا اسمى « .... »

لابد أن أضحك طبعا على هذا الذى قاله شاعرنا الوطنى الكبير حافظ إبراهيم عندما سألوه عن « الحجاب » ـ أى هل تغطى المرأة وجهها أو تكشفه . قال :

فلو خَطرت فى مصرَ حواءُ أُمنا
يلوحُ محياها لنا ونراقبُه
وفى يدها « العذراءُ » يسفر وجهها
تصافحُ منا من ترى وتخاطبه
وخلفُها موسى وعيسى وأحمد
وجيش من الأملاك ماجت مواكبه
وقالوا لنا : رفعُ النقابِ محلَّلُ
لقلنا : نعم ولكن نُجانبه !

طبعا سوف أضحك كثيرا . ولكن بسرعة سوف أتوقف عن الضحك .. لأن الحجاب قد اختفى تماما .. وزاد العراة بين الرجال والنساء ..

إن لم تكن أجسادهم عارية على الشاطئ ، ففى الأفلام وفى حفلات الأفراح والليالى الملاح .. ثم الكلام العريان .. وفى نفس الوقت ظهرت المحجبات .. والمنقبات أى التى تخفى وجهها وكفيها ولا نرى إلا ثقبين فى النقاب وراءهما عيناها كالصقر ترى بوضوح وتضرب وتطرح وتنقض على العريس ـ أسألونى إننى أعرف عدداً من زميلاتى قد تزوجن من وراء النقاب ـ ولكن هذه حكاية طويلة !

أما مشكلتى ياأستاذ ، فهى ليست مشكلة أن أغطى أو اكشف أية مساحة من جسمى ، فأنا حرة تماما . لا أبى يفرض شيئا ولا أمى . ولا الناس حولها . بل اسوأ ما فى بيتنا هم الناس عندنا وحولنا .. والناس فى الشارع ..

أنا مشكلتى فريدة .. ولكن ليست فريدة تماما . فهناك فتيات لهن بعض هذه المشكلة ..

إن أمى ممثلة وأبى ممثل أيضًا ..

أى أننى بنت النجوم .. وأعيش وسط النجوم ..

ولكن هذه النجوم تعيش على الأرض وربما تحت الأرض أيضًا .. ولأنهم قد تعبوا من تسليط الأضواء عليهم وحولهم ، فهم يفضلون الراحة فى الظلام .. وراء الستار .. ويفضلون الغموض .. ويفضلون أن يكملوا حياتهم بنصف وعى .. فى الخمر والحشيش .. أعصابهم مرهقة ولابد من الراحة بسرعة وبشدة .. فمعظم وقتهم فى حالة بين اليقظة والتركيز والجرى والمطاردة والتوتر .. ولذلك كانوا يسرعون إلى الحفلات بعد أن يفرغوا من العمل .. الحفلات

الخاصة .. يأكلون كثيرا ويشربون أكثر ويضحكون بجنون ..

فالضحك نوع من الهز العنيف لاعصابهم لعلها تنفك أو تنحل .. وفى ذلك راحة لهم ..

أحب أن أكون أوضح لأن هذه هى مأساتى .. عندهم نوعان من الحياة :

الحياة التى يعيشون فيها ويحطمون أعصابهم ويهدرون دمهم وكرامتهم ، وهى حياة الشاشة أى حياتهم الفنية .. حياتهم تحت الأضواء الكبيرة وأمام عدد قليل جدا من موظفى الاستديوهات .. هذه الحياة المصطنعة .. أو هذه الحياة الفنية هى حياتهم .. هذه الحياة « المزيفة » هى حياتهم الحقيقية .. فالحياة التى يظهرون بها على الشاشة من تأليف كاتب وحوارها من تأليف كاتب آخر وإخراجها من تأليف واحد ثالث .. وهناك شخص قوى لا يظهر على الشاشة ولكنه يحرك كل شىء من بعيد هو صاحب الفلوس . وهو الشخص الذى يظهر فى كل بيت ويلقى الحفاوة فى حضوره ، والاحتقار فى غيابه ..

هذه الحياة على الشاشة : هى حياة وهمية .. لأنها تحكى قصة لم تقع لواحد من الممثلين .. وإنما براعة الممثل هى أن يدخل فى الملابس الجاهزة التى أعدها المؤلف وكاتب الحوار والسناريو والمخرج من وجهة نظر المنتج .. فإذا دخل هذه الملابس ، أى هذه الحياة المزيفة ، يجب أن يكون قادرا على إقناع الناس بأن الذى يقوله صدق .. وإن الذى حدث له صحيح .. وأن الفيلم ليس إلا حياة

كاملة كأننا نحن فتحنا الباب على أبطال هذا الفيلم دون أن يدروا .. ورأيناهم وجرينا وراءهم وانفعلنا معهم وتأثرنا بهم لدرجة أننا صدقنا كل كلمة وكل حركة .. ونحن نعلم أن كل هذا لم يحدث .. وهم يعلمون ذلك أيضًا ..

ولكن هناك اتفاقا غير مكتوب بيننا جميعا . هذا الاتفاق يقول : نحن كذابون .. ولكن سوف نقنعكم بأننا لسنا كذلك .. ونحن نعلم أنهم كذابون ومع ذلك جئنا لكى نصدقهم ساعة أو ساعتين ..

أى أن الممثل هو الشخص القادر على أن يكذب بمنتهى الصدق ..

والمتفرج هو الشخص الذى قرر أن ينخدع بمنتهى اليقين ..

وفى بعض الاحيان ينسى الممثل أنه يكذب .. وتنسى الممثلة أن الرجل الذى يمثل معها وعليها قصة الحب كذاب .. فتندمج فى دور العاشقة ، ويندمج هو فى دور العاشق .. وإذا بهما فى حالة حب فى داخل الفيلم وخارج الفيلم . ويتزوجان . أى يحولان الكذب إلى صدق .. والخيال إلى واقع . والواقع إلى حياة .

ولكن بسرعة ينفصل العاشقان ..

أما تفسير ذلك فهو انهما قد صدقا كذبهما . وبعد أن صدقا هذا الكذب . وعاشا معا اكتشفا انهما اندمجا فى الدور . وأن الذى بينهما ليس حبا . وإنما هو استمرار للفيلم خارج الشاشة . وإنهما لكى يستمرا فى الحب والزواج فهما فى حاجة إلى مؤلف وكاتب سناريو ومخرج .. وهما ممثلان . ولكن ليسا مؤلفين ولا مخرجين .. ولذلك

يفشل الزواج .. وكان من الضرورى أن يفشل ..

فقصة الحب ثم الزواج قد تم فى ظروف غير عادية .. فى حالة طوارئ .. ويحدث هذا أيضا فى الكباريهات .. كم زبون قد سكر وخرج وفى يده أية فتاة يحبها وهو مخمور. فلما افاق اكتشف أنه أحب وتزوج فى ظروف غير عادية .. فلما ارتد إلى حالته العادية اكتشف أنه مخدوع .. هى خدعته أو هو خدع نفسه ..

وفى المستشفيات . كم من مريض رأى ممرضة .. بيضاء الملابس مشرقة الوجه عريضة الابتسام ، ناعمة اللمسات .. فمد يده أيضًا يتعلق بها .. ويدعوها إلى الزواج . ويتزوجها . وبعد ذلك اكتشف أن الحب جاء وهو فى حالة ضعف .. حالة كان فيها يتعلق بالصحة والحياة .. وقد استمد الصحة والأمل فى النجاة من ابتسامتها ومن لمساتها .. وعادت له الصحة وامتدت به الحياة دون حاجة إليها .. فانفصل عنها ..

ويحدث فى الطائرات وفى حالة الخوف من العواصف والمطبات .. أن يتطلع المسافر إلى ابتسامة المضيفة ولمساتها ورقتها ـ وكلها من ضرورات المهنة .. فمهنتها تحتم عليها أن تكون كذلك .. أن تعطى للناس الراحة والأمل الدائم فى النجاة .. وتتضاعف ابتساماتها كلما اهتزت الطائرة وكلما عصفت بها التيارات الهوائية ، وتكون المضيفة مثل مانعة الصواعق .. هذا عملها .. هذا واجبها .. ويعجب بها المسافرون الخائفون ويرون فيها كل ما لا يرونه فى أنفسهم . ويتخيلون أنها هى القادرة على إسعادهم وصد متاعب الحياة عنهم ..

ويتعلقون بها ويحبونها ويطلبون منها الزواج .. فإذا نزلوا من الطائرة .. واستقرت الأرض تحت أقدامهم وعادوا إلى فراشهم الثابت ، ودخلوا فى الدورة اليومية لحياتهم ، فإنهم ينسون كل ما وعدوا .

كل ما وعدوا فى الطائرة والمستشفى والكباريه وأثناء تصوير الأفلام بعيدا عن البيت وعن الوطن ..

مشكلتى أننى أرى كل ذلك ..

فأبى على الشاشة « تحفة » فنية .. الملابس أنيقة .. فهذا يلمع له أظافره .. وهذا يسوى له شعره .. وهذا يصبغ له شفتيه ووجنتيه .. وهذا يضع حشيشا فى سيجارته .. وهذا يقدم له كأسا .. وهذه تقبله .. وهذه تعانقه .. وهذا يقبل يديه .. وأرى أبى يتبختر فى الاستديو .. فإذا ظهرت قطرة عرق .. بسرعة امتدت المناديل الوردية المعطرة تمتص هذه القطرة التى أفرزتها الأضواء القوية الملتهبة .. وآه لو قال والدى : صداع .. أو بطنى توجعنى .. هنا تهتز الكاميرات ويتساقط عشرات العمال وصاحب المال يتكلم من باريس يطمئن على الصحة الغالية .. وبسرعة يجىء طبيب .. وبسرعة يظهر من يقرأ القرآن الكريم .. ومن يطلق البخور ..

إنها ليست صحة والدى الغالية .. وإنما الوقت الذى هو من ذهب .. فهم يدفعون الألوف للعمال والفنيين ولصاحب الاستديو .. أما أمى فهى تلقى أكثر من العناية والرعاية . ويدهشنى جدا أن أمى لم يعد لديها أى إحساس من أى نوع . شىء غريب حقا .. لقد رأيت رجلا يتقدم منها بمنتهى الجرأة .. ويسوى سوتيانها .. ويضغط على

صدرها .. ويرفع نهديها إلى أعلى .. ثم يخلع فستانها ويشد السوتيان من الخلف.. لا أحد ينظر! وهى ماضية فى التدخين وشرب القهوة .. ثم يمتد إلى الكيلوت فيطالب بتغييره فورا لأنه يبدو قاتما تحت فستانها الحريرى الأبيض .. إنه يريد اللون البيج ، حتى تبدو ماما كأنها عريانة .. وجاءت فتاة ومدت يديها إلى ما تحت فستانها وسحبت الكيلوث وأدخلت ساقيها فى واحد جديد .. ثم جاء المخرج وقال لها : لا .. لا .. ليس هكذا .. لا تنسى من أنت .. أنت « شر ... » فى أحد الكباريهات تعبانة مع زوجك وفى حاجة إلى فلوس .. وهذا المليونير الجالس معك سوف يسافر غدا .. ونقطة ضعفه أنت تعرفيها .. إنه رجل ضعيف جنسيا . وإنه رجل سمين قصير لا يفيق من الخمر.. شطارتك هى المطلوبة من أول لحظة .. وعندك قصة جاهزة .. أنت تعرفين القصة .. يجب أن تركزى على شفتيه .. لا ترفعى عينيك عن شفتيه وأن أمل حياتك أن تقضمى هاتين الشفتين وتموتى .. وسوف نبعث فى الوقت المناسب من يحذره من أنك قد اعترفت لهم جميعا بأنك تريدين أن تقبليه وتموتى بعد ذلك .. وأنك غنية جدا .. وهذا واضح من الخواتم الماسية التى فى أصابعك .. وإنك لا تحبين الفلوس .. ولا تحبين الجنس .. وتكرهين الرجل الذى يريد أن يأخذك فى أحضانه من أول لحظة .. سوف يقع فى المصيدة .. أريد أن أرى غمزة النصر فى عينيك .. إدينى .. لا .. لا .. هذه غمزة عيال .. إدينى غمزة أخرى .. لا .. لا .. أريد غمزة معلمة .. أسطى .. غمزة فيها إثارة وجنس .. جرى لك إيه ..

أنت طول عمرك برم .. لماذا تعملين شريفة عفيفة اليوم .. أنت « شر .. » أنت ألف « شر .. » .. لا تنسى .. الخواتم والأساور ليست لك .. أيوه كده .. آخ ياأستاذة . ! » .

ويصفق الناس فى الاستديو ..

* * *

أما الحياة الثانية فهى التى فى البيت .. وفى البيت صور أخرى مختلفة تماما .. فأبي يصحو مرهقا .. مكشرا مبهدلا .. الهالات السوداء تحت عينيه .. والشعر منكوش .. ويمشى حافيا .. ويدخل المطبخ يصنع لنفسه القهوة .. ثم القهوة .. ويقلب الصحف .. نظرة هنا .. ونظرة هناك ثم يرميها على الأرض .. إنه يقرأ الاعلانات .. ويقرأ التعليقات على الأفلام .. وعلى المسرحيات .. وتتساقط الصحف والمجلات تحت قدميه .. ولا ينطق بكلمة واحدة .. فإنه يشير بيده مع ابتسامة تؤكد أنه مرهق . وأننى عارفة ذلك .. وأننى لا أطمع فيما هو أكثر ..

وواضح أن أمى قد ارتمت فى فراشها دون أن تمسح الماكياج ، فقد تلخبطت الألوان حول العين وحول الشفتين وعلى الخدين .. فكأنها مسحت وجهها فى الأرض أو فى الحائط .. فضاقت عين واتسعت عين .. وغلظت شفة وانمحت شفة ..

وتمد رجلها إلى الصحف وتتكوم الصحف بينهما وتمد يدها لتقرأ .. وتقرأ البخت وأحيانا الوفيات . وتبحث عن الصور ..

وتقول : والنبي ياقمورة اعملى لماما فنجان شاى مع شوية لبن ولا تنسى العسل .. ياعسل أنت .. ربنا يخليك واشوفك عروسة .. أجمل عروسة فى مصر .. ذلك اليوم سوف تضيق عنى الدنيا كلها .. ما هذا البنطلون ياقمورة .. إنه ضيق جدا ياحبيبتى .. كيف تنزلين به إلى الشارع .. عندك بنطلونات كثيرة اشتريتها لك من باريس وروما وأثينا .. أجمل وأشيك ..

أقول لها : هذا ما وجدت ياماما !

تقول : نسيت أقول لك من يومين .. إن فستانك الجميل الذى ارتديته وكان لائقا جدا .. كان قصيرا أكثر من اللازم .. فوق الركبة بشبر ياقمورة .. صحيح رجليك تجنن .. لكن ليس من حق كل الناس أن يروا هذه الفتنة .. من حق حبيب القلب فقط .. صاحبتك آمال .. كان فستانها أقصر .. هى عندها مشكلة .. فلأن وجهها ليس جميلا فهى تلفت النظر إلى ساقيها .

فأقول لها : وساقاها جميلتان جدا ياماما .. أجمل ساقين فى المدرسة .

هى تقول : أيوه ياحبيبتى ولكن ليس فى هذه السن ياقمورة .. إنها فى الخامسة عشرة .. أكبر منك بشهرين .. ثم ما هذه الأساور والأقراط التى تضعينها .. إنها أشياء كثيرة لا توضع معا وفى هذه السن ولمجرد أنها خارجة لشراء سندوتش .. ثم السوتيان لم يعجبنى .. يجب أن يكون مشدودا أكثر حتى لا يهتز صدرها ويلفت النظر إليها .. والأفضل أن ترخى السوتيان إذا كان صدرها صغيرا .. ولكن

إذا كان صدرها كبيرا فالأفضل أن تشده إلى الوراء لتجعله أصغر ، ولكنها هى تفعل العكس !

مشكلتى : أنى أعيش أكثر من حياة .. حياة أبى وأمى على الشاشة .. وفى أثناء التمثيل .. وحياة أبى وأمى فى الحفلات التى تقام فى بيتنا وفى بيوت الممثلين الآخرين .. وكلها ألوان وأشكال من الكذب والنفاق .. لا أحد يصدق أحدا .. ولا أحد يتوقع أن يصدقه أحد . ولا أحد يحب أحدا .. ولا أحد يعنى ما يقوله، من مدح للآخرين ..

ثم هذه الحياة فى بيتنا .. إن أبى متشدد فى معاملتى .. وأمى متشددة فى معاملة أبى ..

أكثر من ذلك أنهما يريدان أن أبتعد تماما عن كل ما يتعلق بحياتهما .. إنهما لا يريدان منى أن أرى هذا الكذب على الشاشة والكذب من غير شاشة .. وأن أعيش حياة أكثر احتراما وأكثر صدقا ..

الغريب أن حياة الكذب أنيقة فخمة .. وحياة الصدق بليدة ركيكة ..

ومشكلتى : إننى أرى الناس يحبون كذب أبى وأمى وكل الممثلين .. وبعضهم يتأثر بما يفعلان ويقولان .. ثم إننى لا أستطيع أن أحترم أبى وأمى .. ولا أستطيع أن أتفاهم معهما فى البيت .. فهما لا يقولان شيئا له قيمة .. لا أمى تقول له ، ولا هو يقول لها .. إنهما فى حالة قرف من بعضهما البعض .. ويحاولان أن يكونا ألطف

وأظرف معى .. ولكنهما لا يستطيعان .. إنهما يمثلان فى أداء اللطف والظرف . ولكن هذا التمثيل ضعيف .. لأنهما اعتادا على من يؤلف لهما الكلام والحوار والسيناريو ومن يهدى خطواتهما هنا وهناك .. ولذلك فأنا أواجه رجلا وامرأة لا أعرفهما .. ولا أدرى كيف .. ووجودى يشعرهما بالعجز والفشل .. وشىء خطير جدا هو : الفضيحة .. إنهما مفضوحان أمامى : كاذبان عاجزان فاشلان .. غير قادرين على أن يكونا أبا وأما ، وأكثر عجزا عن أن يكونا زوجين ..

ولذلك يؤكدان لى دائما : إننى لن أعمل فى هذا الوسط الفنى أبدا .. وإننى يجب أن أعيش بعيدا عن مصر . أتعلم فى الخارج . وأعيش بعيدا عن جو الكذب الفنى والكذب الحقيقى ! .

* * *

ومضت سنوات وأنا خارج مصر .. فى أسوأ حال .. لأننى لا أصدق أى أحد .. ولا أثق فى أى أحد .. وأريد أن أعود إلى مصر .. لأعمل بالتمثيل فأنا مؤهلة تماما لذلك .. برعت فى التمثيل واللعب بكثير من الفلوس والعقول .. وعندى قدر عظيم لاحتقار الرجال والنساء .. وعندى استعداد عظيم أن أتفرج على جسمى دون أن أشارك فى مشاعره .. أعتقد أننى تفوقت على أبى وأمى فى ذلك .. ولكن لست سعيدة مع أى أحد وفى أى مكان ــ ربما كانت التعاسة هى الشعور الوحيد الشخصى الصادق فى هذه الدنيا ! .

أيها الرجال اقتلوا النساء فإنهن ..!

أنا اسمى : د . .....

أنا دودة ورق : تقرأ وتنام وتأكل وتصحو وتحلم وتغضب من كل الذى تقرؤه فى الروايات ـ ولكن لا حياة لى بغيرها ، ولا عذاب مع غيرها .. فأنا ألعن الذين قالوا لى : القراءة حياة . فعلاً هى حياة وهى قضاء على الحياة !

* * *

الرجل الذى يشرح قلبى هو الرجل الذى يوجع قلبى !

* * *

من كل مخلوقات الله ، ليس أتعس من رجل مع امرأة لا تحبه ، ولا يحبها !

التى لا تدرك أن حياتها كفاح ، وأن مشوارها معركة ، لم تقرأ جيدًا قصتها من أولها !

* * *

عندما ترضى المرأة بالظلم الكبير ، يكون الظلم الصغير نعمة من الله !

من لا تعرف الحب ، فلن تعرف أنها امرأة !

* * *

أعظم مصيدة نصبتها المرأة للرجل : عيناها .. وأعظم تابوت دافئ ناعم : شفتاها !

سوف تحب الله كثيرًا من تحب رجلاً يحبها !

* * *

لا دين ولا حب بالقوة !

* * *

أحبك لأنى أحبك .. احبك بحساب وبلا حساب .. أحبك دون أن اسأل ودون أن تجيب .. أحبك بقلبي وجسمى .. وبشىء آخر أقوى وأعمق لا أعرفه !

* * *

جئت أبحث عن جسمى فى جسمك ، وعن قلبي فى قلبك .. عنى فيك !

كنت مريضة حتى أحببتك ، كنت حيوانًا حتى أحببتك .. لم أكن شيئًا حتى أحببتك ، فصرت أنا الكل وأنت الشىء !

* * *

فى الحب وفى الحرب : كل شىء وأى شىء مباح !

* * *

أن تكون المرأة أنثى أهم عندها من أن تكون زوجة وأن تكون أمًّا !

* * *

فى كل التاريخ : هل وجدت رجلاً ، هل وجدت امرأة ، هل وجدت شعبًا يضحى بلا ثمن ؟!

* * *

هناك نوعان من المرض : ألا تحب .. وأن تحب ـ والحب أصح مرض !

* * *

نمت : رأيت الدنيا جميلة !

صحوت : وجدت حياتى ذليلة !

* * *

عندما نحزن فلا كلمة وعندما نفرح فألف ألف كلمة !

* * *

إما قليل جدًا وإما كثير جدًا ـ فلا وسط فى الحب !

* * *

أعظم أساتذة التجميل والشباب : الحب !

الرجال أجمل مخلوقات الله ـ قالتها أختى !

الأطفال أجمل مخلوقات الله ـ قلتها أنا !

الرجال الأطفال أجمل مخلوقات الله ـ قالتها أمى !

* * *

خذى ملعقة من الذكريات الجميلة ، وملعقتين من الأحلام السعيدة ، وملعقة كبيرة من النسيان واخلطيها جميعًا فى كوب من الابتسام ـ واشربى المحلول ثلاث مرات يوميًا !

* * *

هناك مدرستان فى التمثيل : مدرسة التمثيل الجيد ومدرسة التمثيل الردىء .. فكلتا ممثلون متفرجون على ممثلين !

* * *

نعم أنا قطعة أثاث ..أنا مخدة ناعمة دافئة .. أنا مصدر راحة لزوجى ـ فقط هذا كل ما عندى !

* * *

أنا أحب إذن فالدنيا كلها ملكى !

* * *

يحتاج الناس إلى الحب ، ومزيد من الحب ، تمامًا كحاجتهم إلى الملابس والمجوهرات ـ وربما أكثر !

* * *

أنت حساسة جدًا إذن فسوف تعرفين الشيخوخة المبكرة !

الحب على الطريقة الايطالية : الشمس والطرب والنبيذ والمكرونة وزوجات الآخرين !

* * *

الحب على الطريقة الفرنسية : القمر والمطر والنبيذ والفلسفة والأزياء والزوجات !

* * *

كنت أخاف من الموت ، حتى أماتنى الزواج فلم أعد أخاف أحدًا أو شيئًا !

* * *

المرأة الناجحة هى المعشوقة . المرأة السعيدة : العاشقة المعشوقة !

* * *

طبق السم الذى نقدمه للمرأة هو الاشفاق عليها !

* * *

أن تكونى امرأة فى عالم الرجال : فهذه هى لعنة القدر !

* * *

إذا أردت أن تعيشى فى هذه الدنيا فبشروط الدنيا !

* * *

النفاق له قدرة شرائية أكبر من الفلوس !

* * *

إنهم يجعلوننى أعمل كالحمار ، وأشرب كالعصفور ، وألعب كالطفل ، وألبس كالولد .. ثم يطلبون منى بعد ذلك أن أكون أنثى !

* * *

أفضل أن أكون وحدى مع أقبح رجل فى العالم ، على أن أكون رقم مائة مع أجمل رجل فى العالم !

* * *

المرأة يجب أن تتعلم كيف تطيع الرجل ، هذه هى تربيتها وهذه نشأتها .. وأخيرًا هذا قدرها !

* * *

عندما لا يكون عندك أمل ، فالانحلال هو البداية واليأس هو النهاية !

* * *

مصيبة كبرى : نحن نواجه مستقبلنا بماضينا !

* * *

أيها الرجال اقتلوا النساء
إنهن يعبدن الرجل القاتل !

* * *

وغير ذلك كثير مما اخترته من الروايات وسمعته من الأفلام . ومن حين إلى حين اقرأ . وأشطب . وألعن المرأة . لأن المرأة ما تزال تلميذة فى عالم الرجل . لم أجد لامرأة واحدة كلامًا معقولاً . ولا كلامًا حكيمًا . ففى كل كتب المرأة كلام عن الرجل واعتراف بفضل الرجل . واهداء الكتب إلى الرجل : الأستاذ والزوج والأب .

ولكن لم أجد كاتبة واحدة تبدأ كتابها أو روايتها هكذا : هناك نوعان من الظلم .. الظلم نفسه وأى رجل .

وهناك نوعان من الموت : الموت نفسه وأن أجد نفسى مضطرة لأن أعيش مع رجل يرى أنه هو وحده صاحب الأمر والنهى والحياة والموت والسيد المطاع وأنا العبد الذليل !

إننى أرى امى تكذب كثيرا ، وإذا لفتنا نظرها إلى إنها تنافق والدى وتجامله وينطلق لسانها أمامه . وينطلق لسانها وراءه فقلت لها : ياماما عيب .. لماذا تخافين من والدى هكذا .. ما الذى يستطيع أن يفعله .. طلاق ؟ تستطعين أن تعيشى من غيره إن والدنا هو الذى يعيش على أرضك وعماراتك .. هو المحتاج إليك وليس العكس .. هو الذى يموت جوعًا لو انك ابتعدت عنه .. كيف تطلبين منه فلوسك .. كيف تتسولين المصروف اليومى والمصروف المدرسى لنا .. إنها فلوسك يا ماما .. ثم انك أحيانًا تضيقين به وتلعنين الزمن الأسود الذى أحوجك إليه . وأنت تقفلين عليك الباب وتبكين حتى لا نرى دموعك .. ونحن نعرف كل ذلك ونسكت ونندهش !

ويكون رد أمى الجامعية الغنية القوية الشخصية والمثل الأعلى لنا : يا أولاد أبوكم قد تعب كثيرًا . وتعذب كثيرًا . كان يتيمًا وزوجة أبيه أذاقته المر أشكالاً وألوانًا . ثم إن إخوته طردوه من البيت فى سن صغيرة . وكافح وتعب حتى وصل .

نقول لها : وصل إلى أين ؟

وأمنا تقول : تعلم وتخرج وتوظف ..

نقول لها : ملايين الناس وصلوا إلى ما وصل إليه ، دون تعب وعذاب .. لقد أصبح التعليم الجامعى مثل ركوب الأتوبيس . نحن نحشر أنفسنا على السلم أو فى داخل الأتوبيس .. والأتوبيس نفسه هو الذى يحترق ويزاحم السيارات .. وفجأة نجد أننا وصلنا .. لا فلسفة .. ولا عبقرية ثم إن أحدًا مثلى لا يستحق الرثاء لأنه ركب وزاحم ثم وصل .. قولى إن الحب أعمى .. وأن حبك هو الذى جعلك ترين والدنا كأحد أبطال الأساطير .. لا اعتراضْ لنا على أن ترى زوجك أجمل وأذكى وأعظم بطل .. ولكن نحن نعترض فقط على ضعفك وعلى هوانك .. وعلى الغائك لعقلك وقلبك وكرامتك .. فقط هذا هو الذى نحزن عليه .. لأن الصورة التى أمامنا معناها : أن الزواج بأى شكل وبأية صورة هو الأمل . فإذا تم الزواج فالتمسك به بأى ثمن هو الهدف .. فإذا كان هناك أولاد .. فالبهدلة لا تهم والذل لا يهم .. مع انك متعلمة مثل والدى تمامًا .. بل أنتِ أذكى وأكثر تقدمًا .. ثم انك أنت الغنية وهو الفقير الذى لم يعطنا مثل ما أعطيت .. ولا ضحى مثلما ضحيت .. ولكنك يا أمنا تبخسين حقك ، وتحطين قدرك ، وتقدمين لنا نموذجًا ذليلاً للزوجة .. نرفضه ، مع حبنا واحترامنا لك .

ويكون رد أمنا أشبه بجردل ماء قذر تلقيه على دماغنا فى كل مرة نناقشها بالعقل وترد علينا بلا عقل . تقول : يا أولادى ظل رجل ولا ظل حائط .. يعنى تنام إلى جوار رجل على الرصيف ، ولا تنام وحدها فى غرفة لها جدران وباب وشباك وقفل ومفتاح فى أجمل

القصور .. أنتم صغار لا تعرفون معنى الحياة .. أنتم نسيتم ماذا حدث لخالتكم أميرة بعد وفاة زوجها .. وعمتكم عنايات بعد طلاقها .. وبنت خالتكم قدرية بعد فسخ خطبتها .. الدنيا هكذا .. إنها حكمة الله «أن جعل لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها» هذا كلام الله خالق الرجل والمرأة .

* * *

ومن الممكن أن يظل الحوار بين أمى وبيننا ساعات نحن مثل موج البحر يعلو ويهبط فوق صخرة كبيرة متينة لا تهتز ولاتتزحزح ولا أمل عندنا فى ذلك ولاضرورة .. إن أمنا سعيدة .. والسعادة نسبية . فالذى نراه تعاسة ، هى تراه قمة السعادة . والذى نراه هوانًا ، تجده هى غاية العزة والكرامة .. إنها هى وهو سعيدان على نحو مختلف . ولكنهما سعيدان . يتشاجران ويتصالحان .. إنهما مثل اثنين يمشيان فى طريق طويل .. يتقاربان ثم يتباعدان ويتقاربان .. أحدهما أسرع من الآخر .. وأحدهما يسبق الآخر .. ولسبب ما ولحوار لانسمعه يتقاربان ويتعانقان ويختفيان ويظهران بعد ذلك .. ولم يتوقف سلوكهما هذا من ثلاثين عامًا .. لا يتغير ولا يتبدل . إذن فهذه هى الحياة التى لا نعرفها .. أو إذا عرفناها فإننا لا نقبلها . فالذى نعرفه مختلف عن الواقع . والذى نفهمه يختلف عن الواقع ..

فهناك واقعان دائمًا : واقعنا نحن وواقع غيرنا .. وواقعنا قد تعذبنا به ، والواقع الآخر لا يزال مستمرًا كأنه ناجح . أو لأنه ناجح ما زال مستمرًا !

فى يوم انفردت بوالدى . وهو رجل لطيف مهذب .. وهو يكلمنى بطريقة مختلفة عن طريقة كلامه مع والدتى . لا أفهم . من الممكن أن يقول لى مثلاً : أين قهوتك المضبوطة يا زيزى ؟

فأنهض بسرعة جدًا وأنا أقول : يا سلام .. على عينى يا بابا !

عندما يدق جرس التليفون فأتكلم أنا ولكن أسمع والدى يقول لماما : أريدها اليوم ساخنة سادة !

ومعنى هذه العبارة أنها كانت فى الأيام السابقة لا ساخنة ولاسادة .. مع اننى لم أسمع أبى قبل ذلك يشكو.. وليس معقولاً بعد هذه الحياة الزوجية الطويلة أن تكون أمى لا تعرف بالضبط ما الذى يريده أبي .. ولكن لهجة والدى إذا تحدث إلى أمى فهى خليط من الأمر والتوبيخ .. أو هى نوع من التحذير أو نوع من الشتيمة المهذبة . لماذا ؟ لا أعرف . ولا أظن أننى أستطيع أن أصنع القهوة كما تصنعها أمي أو أية خادمة فى البيت .. ولكن الحسابات طويلة بينه وبين أمى ..

والعلاقة متنوعة وتاريخية .. اعتاد معها على ذلك ، واعتادت هى .. أما أنا فإذا طلب شيئًا منى فهذا فضل منى .. أو تفضل عليه .. مع إننى أتمنى أن أصنع لوالدى أى شىء . ولكن ماما هي التى ترفض .. لأنها ترى كل ما يخص والدى هو شأنها .. أما نحن فيجب أن نلتفت لدروسنا . وسوف يجىء اليوم الذى يكون لنا فيه أزواج وبيوت وأولاد ..

ولكن لماذا يفعل والدى ذلك ؟ هل هذه هى الزوجية .. و يأمر

وأمى تطيع ؟ ولماذا تفعل أمى ذلك ؟ ألا توجد طريقة أخرى للتعامل ؟ أو لأن أمى اعتادت على ذلك ، فلم يعد يهمها الأمر .. أو هل أوامر والدى ليست أوامر ، ولكنها طالبات عادية جداً ، اتخذت شكل الأوامر .. أعتقد أن الطفل يأمر أمه أن تحضر له كذا وكذا دون أن يقول لها من فضلك .. والأم تضحك عندما ترى الطفل يفعل ذلك ، وتقول : إنه مثل والده .. وإنها الرجولة المبكرة .. وإنها تحب الطفل الذى يأمر وينهى ،حتى لا يكون شخشيخة فى يد زوجته بعد ذلك ..

أخيرًا أذكر جيدًا وكثيرًا تلك العبارة التى قالتها الكاتبة الفرنسية فرانسوز جيرو : أننى أرفض بكل قوة أن هناك مؤامرة كونية ضد المرأة .. وأن هذه المؤامرة هى التى مكنت الرجل من أن يجعل المرأة ترسف فى الأغلال .. فى البيت والشارع والمصنع .. أبدًا عقلى يرفض ذلك تمامًا .. فإن كانت عبودية للمرأة ، فهى التى وافقت على ذلك .. وإن كانت المرأة ما تزال وراء الرجل فلأنها أرادت ذلك ..

إن أظافر المرأة قد فتتت الصخر ، وإن جنود الاغريق عندما لم يجدوا حبالاً يشدون بها السفن فى حرب طروادة تقدمت المرأة وقصت شعرها ليصنعوا منه الحبال .. إن هذه المرأة لو أرادت لجعلت شعرها حبالاً تشنق به الرجال .. ولكنها لا تستطيع .. وهى لاتستطيع لأنها لاتريد ـ مع الأسف !

انتهى كلام الكاتبة الفرنسية العظيمة ..

بركاتك يا .. أم عتريس !

أنا اسمى : ى .

لم يكن من السهل أن أصارحه بالذى أفكر فيه .. فإن لم يكن ذلك كارثة جديدة ، فإنه سوف يكون النهاية . ولذلك قلت له : أنا تعبانة جدًا . لابد أن أعرض نفسى على الطبيب ..

ـ أى طبيب ؟

ـ أى واحد سُمْعته كويسة .. وأنت تعرف الكثيرين ..

ـ قلت لك أكثر من مرة لا أريد أطفالاً الآن .. انتهينا من هذا الموضوع .

ـ لا أتحدث عن الأطفال .. بل أنا الآن أرفض أن يكون لنا أطفال .. فأنا ضعيفة جدًا .. وتعبانة عصبيًا ولا أقدر على خدمة الأطفال .. لا أقصد ذلك ..

ـ لا أفهم ماذا تقصدين ؟

ـ أريد طبيب أمراض عصبية .. أمراض نفسية .. أمراض عقلية !

ـ ومن الذى أشار عليكِ بذلك ؟

ـ أنت نفسك قلت لى .. أكثر من مرة .. بل أنت نفسك الذى

شجعتنى على ذلك عندما قلت لى إنك أنت نفسك تريد أن تذهب إلى طبيب أمراض نفسية تسأله عن الذى يتتابك من حين إلى حين !

ـ أنا قلت كده ؟.. أنا قلت إننى أريد أن أذهب لطبيب نفسى ؟ وهل أنا مجنون .. أذهب إليه برجلى .. فيطلب منى أن أتمدد على مقعد وأحكى له قصة حياتى .. وأنا طفل وما كان بين أبى وأمى .. وما كان بيننا فى أيام الخطبة وما هو بيننا الآن .. أنا أفضح نفسى بنفسى .. ولو عرف الناس أننى أتردد على طبيب من هذا النوع ماذا يقولون ؟ مجنون ! !.

قلت : إذن فكيف تطلب منى أن أذهب أنا ؟.. وهل أنا مجنونة ؟.. يعنى يهمك ما يقال عنك ولا يهمك ما سوف يقال عنى ؟.. وإذا قال الناس إننى مجنونة ، فسوف يقولون أيضًا إنك أنت السبب .. أمال يعنى إجننت من نفسى .. وأنت الذى قلت إن طبيب الأمراض النفسية فى أمريكا وفى أوروبا مثل طبيب الأسنان عندنا .. فكل أسرة لها طبيب يساعدها على حل مشاكلها .. أو على فهمها إذا لم يجد لها حلاً .. أو إذا أراد من الأسرة أن تتعاون معًا على الوصول إلى حل .. أنت الذى قلت .. وأنت الذى تنادينى كلما عرض التليفزيون فيلمًا نفسيًا .. هل نسيت كل ذلك ؟!

* * *

غلطة وقعت فيها من غير قصد .. فقد حكيت لأمى كل ذلك .. بل كل ما يدور بينى وبينه . أعتقد أن كل فتاة تفعل ذلك . فأمى

صديقتى وأحسن مستشار لى .. وهى مستودع أسرارى .. قلت لها : ياماما .. أنا تعبانة معه .. ولا أعرف ماالذى أعمله .. إنه إنسان طيب .. وأنا أحببته وهو يحبنى .. أنا متأكدة من ذلك .. ولكن لا أعرف كيف تشتعل الحرائق بيننا لأتفه الأسباب .. كلمة منى وكلمة منه .. وإذا بنا نصرخ .. وإذا به يترك البيت .. أو أضع ملابسى وأخرج أو أحاول ذلك .. ولم أستطع أن أمنعه فى كل مرة بغضب .. وإن كان هو الذى ينجح فى منعى من الخروج .. إنه يخاف من الفضيحة .. وينسى أننى أيضًا أخاف من الفضيحة . ولكن الذى حدث هو أكبر من كل فضيحة .. تشاجرنا بسبب تافه جدًا .. ولا أعرف كيف تصبح الأسباب التافهة جوهرية بهذه السرعة .. وكيف يصبح عود الكبريت قنبلة شديدة الانفجار مسيلة لدموعنا .. لا أعرف .. وفى كل مرة نراجع أنفسنا .. أنا أقول وهو يقول نكتشف أننا يجب أن نتدارك كل شىء بسرعة . فواحد منا يقول : أنا حمار .. أنا مغفل .. آسف .. حقك علىّ .. صافى يا لبن .. وينتهى .. كل مرة كنا نفعل ذلك .. وأنا الأسرع إلى الاعتذار .. والسبب فى اعتذارى ليس لأنه على حق .. وليس لأننى مقتنعة برأيه أو اعتذاره أو تبريره .. ولكن فقط لأنه عصبى جدًا ومريض .. والغضب يضاعف متاعبه النفسية والعصبية فيبقى مرهقًا مريضًا عاجزًا عن العمل .. حتى بعد استعادة صحته ولياقته الجسمية والنفسية . المصيبة الآن : إنه اعتاد على أن أعتذر له وأن أؤكد له أنها غلطتى .. أى أننى الغلطانة دائمًا .. وأنه على حق دائمًا . اعتاد على ذلك .. وأصبح راسخًا فى أعماقه أنه

على حق دائمًا وأننى غلطانة دائمًا . والله يعلم أنه هو الغلطان بسبب عصبيته واستعداده للانهيار العصبى فى أى وقت . ولقد تعبت جدًا ..

ماما قالت لى : وبعدين يا بنتى وجعت قلبى .. ما الذى حدث .. خناقة . ولطم وصويت وهات يا دموع وقطعت هدومك وتمرغت على الأرض وضربت رأسك فى الحائط .. وهو أيضًا سقط على الأرض إلى جوارك .. لقد رأيت هذا المنظر .. ولا اعرف إن كان هذا الذى أصابكما مرض .. أو جنون .. أو أن البيت به عفاريت .. وأن هذه العفاريت تتسلل إلى ماتحت ملابسكما كل يوم .. رأيت ذلك يا ابنتى ..

قلت : المصيبة أن كل ذلك قد حدث بالضبط .. ووجدتنى على الأرض وتذكرت ما قلته لى أكثر من مرة .. وفجأة وجدتنى فى حالة ضحك هستيرى .. أضحك .. وأضحك .. وكان هو قد أفاق من الانهيار ووجدنى أضحك .. وكانت الكارثة الكبرى .. لقد اعتقد أننى أضحك عليه .. أننى نرفزته لكى ينهار ثم أضحك عليه وهو يتمرغ فى الأرض ويضرب رأسه فى الحائط .. وأن كل الذى فعلته ليس إلا تمثيلاً فى تمثيل .. إلى آخره يا ماما .. إلى آخره ..

والله دون تمثيل أو محاولة لذلك انقلب الضحك إلى حالة بكاء هيستيرى .. والذى أثارنى جدًا هو أنه لم يصدقنى باكية ولم يصدقنى ضاحكة . وتأكد لديه أننى مجنونة . وقد استراح إلى هذا المعنى . وقلت له : أبوس جزمتك .. اعرضنى على طبيب للأمراض النفسية .. أرجوك أدخلنى أى مستشفى .. واتركنى هناك .. لا أريد أن أصاب بالجنون . حرام عليك أن يؤدى حبنا إلى هذا الجنون .. أنا لست

مجنونة . ولكن سوف أصبح مجنونة . وسوف تندم طول عمرك على أنك السبب .. أرجوك أبوس الأرض تحت جزمتك .. ادخلني أي مستشفى .. فأنا لا أريدك أن تصاب أنت أيضًا بالجنون .. كن عاقلاً لكي تتمكن من إدخالي المستشفى والعناية بي والانفاق عليّ .. أرجوك لا تتركني حتى أذهب أنا .. حتى أجري في الشوارع إلى المستشفى . لا أريد الفضيحة لك أو لأمي وأخوتي .. في عرضك .. ارحمني !.

قال : عندي حل .. أسافر إلى الإسكندرية .. وفي غيابي تذهبين مع أمك إلى المستشفى . فيقال إنك فعلت ذلك من ورائي وأنني لم أكن موافقًا .. أو يقال إنك لست مرهقة إلى هذه الدرجة بدليل أنني لم أصحبك إلى المستشفى .. وإنما خطر لك ذلك ، فذهبت من تلقاء نفسك .. أو يقال إنك رفضت أن تذهبي إلى المستشفى ولكن أمك هي التي أرغمتك على ذلك لكيلا يقال إنني السبب في كل شيء .. والناس يعرفون أن أمك لا تحبني وأنا لا أحبها أيضًا .. وأنها هي المسيطرة على دماغك !.

وبسرعة ابتلعت عددًا من الحبوب المهدئة حتى لا ينفجر دماغي .. أو حتى لا أقفز من البلكونة !

* * *

لم يبق إلا « عايدة » صاحبتي .. طويلة .. رشيقة جميلة .. أحب أن أراها .. ولا أعرف أي أنواع الورود تصنع مشروبها اليومي الذي يظهر بسرعة على خديها .. ومن أي أنواع النبيذ تخلط اللبن في الصباح فيظهر على ذراعيها وساقيها .. ولا من أي أنواع الأشعة تضعها قطرة في

عينها .. أحبها .. وتمنيت أن أكون مثلها .. ولما اتهمنى الأصدقاء بأننى أقلدها فى كل شىء .. وأنا بلا شخصية .. وأننى ظلها ، قررت أن أختلف عنها .. فصبغت شعرى أسود .. وهى ذات الشعر الأسود صبغته أصفر .. وهى تضع الروج من كل لون وأنا أكتفى بغسل وجهى بماء الورد نهارًا وأضع عليه الزبادى والخيار ليلاً .. ومرة كل أسبوع أضع عسل النحل على وجهى كما كانت تفعل الملكة نفرتيتى .. ولذلك فبشرتى أصح وأجمل وأكثر إشراقًا . ولكن حالاتى العصبية هى التى كرمشت جوانب شفتىَّ وما تحت عينىَّ وعلى جبهتى .. وهى عاقلة جدًا . عملية جدًا .. أما أنا فحالمة .. أسرح .. وأحب الأغانى وأحب الرقص .. وأكثر رقصاتى فوق السرير أمام المرآة وأنا فى قمصان النوم .. واختلف معها .. فلها منطق عجيب جدًا .

هى تقول : الزوج هو الذى يشترى العطور .

واقول لها : فهمينى .. علمينى .

ويكون ردها : الحمير أمثالك لا يفهمون ..

وأقول لها : تعبانة .

تقول : اتفلق .

وأقول لها : ساعدينى .

تقول : قلت لك ألف مرة ولكنك عملت لى مثقفة .. ما أنا منيلة زيك .. ولكن عملت إيه بالثقافة .. عاوزه ؟ يبق قومى دلوقت ..

قلت : عاوزه !

ونزلت من البيت .. وقبل أن تركب السيارة قالت لى : الهباب فين ؟

قلن : الهباب مين ؟

قالت : جوزك !

قلت : حرام عليك هوه اسمه هباب ؟..

قالت : طيب يا أختى ملاك الرحمة متنيل فين ؟..

قلت : فى الإسكندرية .

قالت : أطلبيه وقولى له .. إنك سوف تنامين عندى بدلاً من أن تنامى وحدك وأعطى له رقم التليفون الجديد ..

قلت : الله .. أنت غيرتى نمرتك ؟

قالت : لا .. سوف تتغير غدًا .. ولكن إذا اخذ النمرة اليوم وطلبك فلن يرد عليه أحد .. وإذا طلبك غدًا صباحًا فسوف يجدك فى البيت ..

قلت : مش فاهمة ..

قالت لأننا سوف نقضى معظم الليل فى الخارج وسوف نعود عند الفجر ..

قلت : عند الفجر ..

قلت : لا أفهم !

ولم يكن عندها صبر فى أن تشرح كل شىء .. فقد قالت لى ذلك عشرات المرات .. وكنت أرفض .. لأن عقلى لا يقبل هذا الذى تعرضه .. ولا أرضاه على نفسى .. بل إننى سوف أحتقر نفسى حتى

الموت .. ولكنها أصرت على ذلك . وحجتها أنها جربت .. وأنها استراحت نفسياً . وأن زوجها قد استراح هو الآخر .. وكل الذى طلبته منى أن أجرب ولو مرة واحدة مرة واحدة وبعد ذلك .. سوف يكون كل شىء عاديًا بعد ذلك .. المرة الأولى هى أصعب المرات ..

وكانت هى سبقتنى ومدت يدها تحت السرير وأخرجت حقيبتى التى أعددتها أكثر من مرة ، ثم تراجعت فى آخر اللحظة .. وفى سيارتى فتحت هى الشنطة ووجدت القميص الوردى .. والسوتيان الأسود .. والإيشارب الأبيض باللولى .. والشبشب الوردى .. ثم القميص الأبيض الحريرى الذى جاءنى فى عيد ميلادى .. وملابسى الداخلية السوداء اللامعة .. والشبشب الذهبى ..

وطلبت منى أن أترك مكانى أمام عجلة القيادة . وجلست هى وانطلقت السيارة مسرعة إلى أطراف المعادى . الشوارع مظلمة والأشجار أشباح سوداء . والمصابيح التى تنعكس على الزجاج الأمامى والخلفى تكشفنا تمامًا . وحاول بعض الشبان معاكستنا وأدهشنى أن عايدة فى كل مرة يعاكسنا أحد تتوقف .. فتتوقف السيارات وراءنا فتضع بسرعة على وجهها قناعًا مثل أقنعة العصابات وتخرج مسدسًا وتصوبه إلى السيارة التى وراءنا .. فتنطلق السيارة هاربة .. ولم أكن فى حالة تسمح لى بأن أسأل أو أحاول أن أفهم فأنا مأخوذة .. مخطوفة .. بل أنا مع عايدة مسلوبة الإرادة .. وقد سرت وراءها طول عمرى .. ولم أحاول الاستقلال عنها إلا أخيرًا ..

ولكن استعدادى للسير وراءها جاهز فى أى وقت .

ووقفت السيارة بين سيارات كثيرة . قلت : إلى أين ؟
قالت : هنا .. هاتى شنطتك ..
قلت : ما هذا ؟
قالت : بعبع سوف يقطعك ألف حتة ويرميك للكلاب .. هنا حفلة زار أحلى ستات مصر .. زوجات وزراء وأصحاب ملايين .. مصريين وأجانب .. هنا الشفا .. هنا الدوا .. اسألينى أنا .

* * *

وعندما طلع النهار ولا أعرف كيف طلع .. فهناك ساعات لا أعرف بالضبط ما الذى حدث فيها .. كل الذى أذكره أننى ذهبت بالليل إلى فيلا فى المعادى وأمامها كانت سيارات كثيرة .. ولاحظت أن السيدات يرتدين السواريهات وكل واحدة قد وضعت شيئًا على وجهها حتى لا يراها أحد .. حتى إننى وجدتنى قد وضعت إيشاربًا .. هذا ما أذكره ولا أعرف من أين أتيت بالإيشارب . ولابد إنها عايدة قد أحضرته معها .. ورائحة البخور .. وما لا نهاية له من العطور : شانيل ونويزون وأربيج وفام رجورجيو وآنفينى وديور .. كل ذلك مع رائحة شياط وعرق وعطور سودانية ورائحة الحناء والجاوى والمفتقة .. لابد أن أكون قد دخت .. ووقعت على الأرض .. سوف أسأل عايدة عن كل ذلك .. طلع النهار .. فوجدتنى نائمة فى سرير ليس سريرى .. وفوق بطاطين ولحاف .. وتحتى مخدات كثيرة .. والقميص الذى أرتديه ليس من قمصانى .. مددت يدى إلى جوار السرير وجدت مرآة .. وجهى فى

لون الورد والراحة الكاملة على كل ملامحى .. ونظرت إلى ذراعى .. جميلتين والله .. زوجى معه حق عندما كان يؤكد لى ذلك فى ساعات الرضا ويقبلنى هنا .. عند كتفى .. فكتفاى مستديرتان جميلتان ورقبتى .. وصدرى طبعًا .. أنا راضية عن نفسى .. وأنا أتمرغ فى الفراش ولا أريد أن أنهض وفجأة قفزت جالسة : يا نهار أسود .. إننى لم أنم فى بيتى .. ولا سألت عن زوجى فى الاسكندرية ولا هو .. وقفزت أنادى : عايدة .. عايدة ..

وجاءت عايدة أسرع مما تصورت . تقول : ياروح عايدة .. صباحية مباركة يا عروسة .. مالك مسروعة كده ليه ..

قلت لها : جوزى ؟

قالت : إشمعنى !

قلت : فى الاسكندرية .

قالت : وإيه اللى حصل لاسكندرية .. إنها ما تزال فى مكانها من يوم ما بناها الإسكندر الأكبر .. وجوزك لا يزال نائمًا فى حضن أمه .. ولا يمنعها من الزواج إلا أنه مخالف لشرع ربنا .. كيف حالك اليوم .. بكره تقولى ياما عايدة نصحتنى .. بالذمة إيه شعورك النهارده ؟

قلت : يا عايدة فى عرضك .

قالت : جوزك اتكلم .. وأنا قلت إنك تعبانة .. وأنا أعطيتك حقنة مهدئة .. وقلت له إننى آتيت لك بدكتور .. وسوف تنامين حتى الظهيرة اليوم .. وسوف أرافقك إلى بيتك .. لتكونى فى انتظاره عندما

يعود ليلاً .. وقد شكرنى جوزك. وكان رقيقاً جداً .. والله جوزك لطيف .. أحسن من جوزى . جوزى لما أقول له : متشكرة ياحبيبي ربنا يخليك ليّ يقول : اطلعى من دول .. بق أنتِ عاوزة ربنا يخلينى ولا يخليك لوحدك .. اطلعى من دول .. هوه فيه واحدة ست عاقلة عاوزة ربنا يخلى لها جوزها .. كلكن كذابات .. تصورى كل مرة أدعى له ، يكون رد الفعل الرقيق كلام زى الدبش ! نامى يا عروسة وقولى ماشعورك الآن .

* * *

وكانت مشكلتى عندما عاد زوجى ألا أبدو مستريحة تمامًا .. وألا أبدو سعيدة وإن كنت فى الواقع كذلك .. قلت لعايدة : حلى لى هذه المشكلة ..

قالت : الحل عندى يا حبيبتى .. سوف أبقى معك حتى يعود زوجك .. وسوف أتكلم أنا طول الوقت .. وتبدو السعادة علينا لأننا نضحك لأى كلام فارغ .. وهو سوف يكون سعيدًا لأنه أكل من أصابع ماما ثلاثة أيام .. ولأنه ابتعد عن خلقتك .. وسوف يكون سعيدًا حينما يجدنى هنا .. فلن يتهجم عليك ويقبلك ويحضنك بالعافية .. وهذا يؤجل الأعناق العنيفة المفاجئة إلى ما بعد خروجى .. ما رأيك ؟!

وأنا معجبة جداً بعايدة صاحبتى هذه . فكل شىء موجود عندها . كل مشكلة لها حل . وهى تأخذ كل ما فى الدنيا بمنتهى البساطة .. بلا

تفكير .. ومن رأيها أن الدنيا لا تساوى وجع القلب .. وأن أتفه ما فى الدنيا هذه : الرجل .. إنه تافه مغرور . ولكن يجب أن نتعاون على أن ننفخ فى غروره حتى يطق .. ومشكلة المرأة هى غرور الرجل ..

الرجل : عيِّل .. وحرص الرجل على أن يطيل شاربه ، لإحساسه الدائم بأنه محتاج لشىء يجعله يبدو رجلاً .. ومن رأيها أن كل هؤلاء الرجال عيال .. إنهم رجال فى البدل فقط .. ولكن عيال فى أية ملابس أخرى .. ولها فى ذلك قصص وحكايات .. ومن رأيها أن زوجى عيل جدًا .. ونصيحتها أن أتعامل معه على إنه عيل .. وطلبت منى أن أجرب ..

وجاء زوجى وكان مشرقًا . ووجدنى مشرقة أيضًا . وقد سبقتنا عايدة إلى الكلام فقالت : عينى عليكم باردة .. ورد .. زى الورد أنتم الاثنين .. الدكتور طلب تنفيذ هذه الروشتة بحذافيرها .

فقال لها زوجى : روشتة ثانية .

قالت : هذه الروشتة ببلاش .. ولا تصرف من أية صيدلية .. الطبيب قال لها .. وقال لى أنا من زمان جدًا .. يجب أن تعمل كثيرًا فى شغل البيت . إذا كان عندكم خادمتان .. فواحدة تكفى .. وإذا كانت واحدة فلا داعى لها .. إن زوجتك فى غاية الحيوية والقوة .. ويجب أن تستخدم طاقاتها فى العمل فى البيت .. اتركها تعمل .. ليلاً ونهارًا حتى إذا جاء الليل يكون قد انهد حيلها ، وعلى ذلك تنام بعمق .. إنتهت الوصفة .. والآن نبدأ التنفيذ .. قومى سلمى عليه .. وهات يابوس وأنا ماشية واصبحوا على خير . !

وخرجت عايدة . وكانت ليلة سعيدة جدًا . هل هى سعيدة لأننى استرحت نفسيًا وعصبيًا ؟ هل لأن زوجى رأى آثار الهدوء على سلوكى ؟ هل هو استراح .. هل أسعده أن تعود عايدة .. وكان لا يحبها . ولكن مادام وجود عايدة يسعدنى ، فلا مانع من وجودها .. ومادام شغل البيت سوف يشغلنى عنه ، فقد وجد حلاً علميًا للفراغ الفظيع فى حياتى .

وفهمت من عايدة اننى لابد أن أكرر حفلات الزار من حين إلى حين .. وربنا سترها فلم يلتفت زوجى إلى علامات زرقاء فى رقبتى وفى ساقى وفى ظهرى .

وسألت وعرفت أنها بسبب الحركات العنيفة التى كنت أقوم بها أثناء الزار .. وبسبب تخبطى فى الأخريات من السيدات والفتيات أثناء حالات التشنج العنيف ..

وجاءت عايدة بمفاجأة لم تخطر على بال . وهذا سر حبى لعايدة وخوفى منها .. فهى قادرة على أن تلعب بى أولى كما تريد .. قالت لى : الصراحة .. الصراحة .. هذه الراحة ليس سببها الزار ولكن سببها «العملات» .. إن قميص نومك الوردى أخذته أم عتريس .. أم عتريس هى الست التى كانت تمسك الرق الكبير وتدقه .. الطويلة أم عين واحدة .. أخذت المقص وغرقته فى الدم .. دم الفراخ والخراف وأشعلت فيه النار حتى خرجت العفاريت من ملابسك ..

العفاريت سببها أن كاميليا «عاملة لك عمل» .. كاميليا أنت تعرفينها بنت خالة جوزك والتى كانت تريد أن تتزوجه ولكنه أحبك

فتركها دون زواج حتى اليوم .. أم عتريس هى التى قالت لى اسمها .. أنت عارفة كاميليا عملت ايه ؟

قلت لعايدة : فى عرضك يا عايدة .. أنا مستريحة .. فى عرضك أنا لا أقوى على أية صدمة .. أرجوك .. بالراحة علىّ ..

وحكت لى عايدة أن كاميليا هذه تسكن فى شارع محمد على .. بالقرب من إحدى حلقات السمك .. وأنها تذهب كل يوم إلى حلقة السمك وتنتظر مجىء الأسماك حية وتلتقط واحدة .. وتضعها فى حوض من الماء ثم تلقى بها فى النيل .. هذه السمكة هى التى تضع فى بطنها العمل .. وتظل السمكة تهتز ذهابًا وإيابًا .. وكلما اهتزت ارتجفت أعصابى .. فالعمل موجود فى بطون أسماك كثيرة .. أهم سمكة هى التى عندها فى البيت .. واستطعت أنا بأفكارى الجهنمية أن أبعث لها أم عتريس على أنها خاطبة .. فما كان منها إلا أن وضعت سمًا فى الحوض فمات كل السمك .. هذا نصف العلاج .. أما النصف الثانى فحفلات الزار من حين إلى حين ..

ولم أعرف ما الذى أقوله لعايدة ..

فهى خريجة كلية العلوم جامعة القاهرة قسم الكيمياء .. وأنا خريجة آداب قسم الفلسفة .. كيف نصدق هذا الكلام الفارغ ..

ـ تقولين كلام فارغ .. إن زوجى الذى هو زوجى وهو أستاذ فى كلية الطب .. كل يوم أجعله يقفز من فوق البخور وعين العفريت تطرقع .. وفى إحدى المرات قفزت إلى ملابسه الداخلية .. وظللنا نضحك حتى كدنا نموت .. وهو سعيد بهذا البخور .. لأنه يؤمن بأننى

حريصة عليه وخايفة من البنات المفاعيص فى كلية الطب .. وخصوصًا من الممرضات !

* * *

والله أنا مكسوفة من نفسى .. إننى أضع أحجبة فى حقيبتى وتحت مخدتى ، ومن حين لحين أشعل شمعة فى طبق زيت تحت السرير .. ولا أعرف ما الذى سيقوله زوجى إذا عرف .. ولا أعرف ما الذى أقوله أنا .. ولكنى عندما قرأت مقالاً لتوفيق الحكيم يقول إنه يؤمن بالقوة النفسية لمثل هذه الأشياء .. فأصبحت هذه هى الحجة الوحيدة التى عندى . فهل أنا أعقل من توفيق الحكيم ؟.

ولكن هذا شىء مخجل فأنا التى تعلمت وقرأت وسافرت إلى أركان الدنيا أجلس هكذا مطيعة ذليلة لأم عتريس وهى تقول : عندما تقبلين زوجك اجعلى هذه الملبسة تدخل فى فمه .. اعمليها نكتة ..

بصراحة أصبحت عمياء تمامًا .. عينى أخذتها عايدة .. وأذنى أخذتها أم عتريس .. ولكن هذه السلبية العجيبة هى التى ملأت حياتنا بالبهجة . كيف ؟ هذا ما حدث ـ مع الأسف !.

.. ولماذا ترتعش الشفاه ؟!

أنا اسمى : ت

أنا باختصار ضحية .. أنا أقول ذلك دائمًا ، والناس يقولون : كذابة .. ورأيى أن الناس لا تفهمنى . فأنا من الممكن أن أكذب على الناس كلها .. ولكن كيف أكذب على نفسى ؟.. حلوة ؟ أنا حلوة . غنية ؟ أنا غنية . دلوعة ؟ ممكن فأنا أصغر البنات والأولاد .. ولم يكن أحد يريدنى .. أنا جئت بالرغم من كل الاحتياطات .. ولكن أمى سعيدة بذلك .. فكل إخوتى قد تزوجوا .. وكل واحد انفرد بزوجته وبحماته .. وكل واحدة انفردت بزوجها وأولادها .. وإخوتى يعيشون معنا فى القاهرة ، كأنهم فى الاسكندرية .. والأخوات فى المنصورة والاسكندرية وعلى صلة يومية تماما كأنهن فى القاهرة .. ولم يبق إلا أنا وماما وبابا .. وأنا تعيسة جدًا جدًا ..

والناس يقولون : كذابة .. ويقولون : إننى أحاول أن أخزى العين .. عن الفساتين الغالية .. والذهب فى أصابعى .. والأحذية وأعياد الميلاد التى تقيمها ماما وتدعو لها عشرات من زميلات الدراسة .. ثم إننى التى أحاسب المستأجرين .. فكيف لايقول

المستأجرون إننى كذابة وستين كذابة .. ولكن أنا تعيسة . هذه حقيقة ..

وبدأت التعاسة بابن عمى .. صديق الطفولة .. الذى يتحكم فى سلوكى . وأمى قد أعطته هذا الحق . فى يوم من الأيام قالت له : خذ بالك من بنت عمك .. ولا أعرف كيف وافقت أنا على ذلك . وأطعته . وفى مرة صفعنى بالقلم فى قلب المدرج . وكاد الطلبة يقتلونه لولا إننى قلت لهم : إنه ابن عمى ..

وكان ردى هذا أسوأ ما صدر عنى . ومعناه أننى أقبل هذه الإهانة أمام الجميع مادام ابن عمى .. ولكنه يومها لم يكتف بذلك .. بل جرجرنى من ملابسى كأنى كلب إلى خارج المدرج ، وألقى بى فى سيارته وقال لى : اتركى سيارتك هنا .. أنا سأوصلك إلى البيت !

وفى أثناء العودة إلى البيت لم ينطق بكلمة واحدة . وذهبنا إلى البيت . وقال لماما : بنتك يا ستى .. قاعدة تضحك مع الشبان .. وهذا يهمس فى اذنها .. وهذا يخطف شنطتها ويفتشها .. مبسوطة ؟! طبعًا جرجرتها من رقبتها !

ولم تشأ أمى أن تسألنى عن الذى حدث .. وإنما تركتنى أبكى وأدخل غرفتى وأقفلها . وفى الصباح قالت لى : وماله ؟ مش ابن عمك وخايف عليك ؟!.

ـ يا ماما لم أعد صغيرة .. وليس له هذا الحق .. وأنا حرة .. أنا المسئولة عن نفسى وعن سمعتى .. أنا لا أقول له ما هؤلاء البنات اللاتى يملأ بهن سيارته كل يوم ويأخذهن يغديهن ويعشيهن .. وغير ذلك ؟..

كيف يعطى لنفسه حق الوصاية على كل تصرفاتى .. وتصرفاته هو لا يقبل أن انتقدها ؟.. إذا كان سيلاحقنى هكذا فى كل مكان ، فلن أذهب إلى الجامعة بعد اليوم .. ولن أذهب إلا إذا تعهد بأن يتركنى فى حالى .. ثم إنه لا يزيد على أنه ابن عمى .. لا خطيبى ولا زوجى ..

وصرخت أمى تقول : طبعًا سوف يكون خطيبك ..

قلت : على جثتى .. أنا لا أحب شابًا جامعيًا فاسدًا يدخن ويسكر ويحشش ويرمرم .. شوفى البنات اللاتى يلف حولهن وينفق عليهن كل يوم .. والله لو مات كل الرجال ولم يبق إلا هو .. فلن أتزوجه أبدًا .. ثم إن شعورى أنه ليس إلا واحدًا من إخوتى .. وأخًا رذلاً أيضًا ! ثم أريد أن أقول لك شيئاً مهماً جداً .. ولابد أن أقوله أمامه ..

ودق الباب وكان هو ..

فأكملت كلامى : إنى لا أوافق أن يضربنى أمام الناس .. لا أرضى هذا من أبى ولا حتى من أمى .. إنه يضربنى أمام الناس لأننى رأيت واحدة تضربه بالحزمة أمام الناس .. فبدلاً من أن يضربها هى جاء وضربنى .. عاوزة أقول لك حاجة مهمة .. لا شأن لك بى منذ هذه اللحظة .. لا فى الكلية .. ولا هنا فى البيت .. أنت واحد من أولاد عمى العشرين .. وسوف أحتقر نفسى جدًا ولن أسامحها إذا وافقت وأنا فى غرفة الانعاش على أن أكون خطيبة لك .. نجوم الظهر أقرب لك .. فإذا قررت أن تجىء هنا فبالأدب ، وإذا قررت أن تكلمنى هنا فبالاحترام . آخر كلام بيننا !

ودخلت غرفتى وأقفلتها .. ولم أعد أراه بعد ذلك ! ولكن صورة

شفتيه وهما ترتجفان و «تتفتفان» وهو يقول لى : والله باحبك !

هذه الصورة لم أنسها . وفى كل مرة استرجعها أنهض إلى دورة المياه وأفرغ كل الذى فى معدتى !

* * *

وفى بعض الأحيان كنت أتمنى لو كان ابن عمى إلى جوارى .. أسأله ما معنى هذا الذى يقوله الزملاء ؟ ما معنى ما تقوله عيونهم التى أضبطها تتسلل إلى جسمى وإلى ما فى أصابعى وإلى ساقى وسيارتى ؟ ولكن كيف أتراجع وأطلب إليه أن يعود ؟ وما الذى أقوله له ؟ وماذا يكون رد الفعل ؟ لابد أنه سوف يقلع الجزمة ويضربنى بها على دماغى أمام الناس ؟ مادمت قد رضيت أن يصفعنى فى المدرج ..

أحد الزملاء طلب منى كشكول المحاضرات . وفى اليوم التالى وجدت خطابًا رقيقًا يذوب حبًا .. أعجبنى الخطاب وقرأته عشرات المرات . وأسعدنى ذلك .. وقابلته عدة مرات . وحاول أن يلمح لى ولكن تظاهرت بأننى لا أفهم ..

وهذا يأتى بوردة .. وهذا يفتعل عيد ميلاد ويقدم لنا الحلوى ويقول لى أمام الزميلات : الحلوى .. يا أحلى الحلويات !

والمعنى واضح . ولكن ليس هذا الطراز هو الذى يعجبنى .. ولا كل الطلبة !

وفى يوم وجدت واحداً من إخوتى ينادى بأعلى صوته : قيس يا ليلى ..

فأسأل : من ؟

ويقول : قيس بن الملوح .. مجنون ليلى ..

ويكون أحد الزملاء الذى يسألنى إن كان أحد الكشاكيل قد وقع منى .. فقلت : لا .. فاعتذر . ولم أتمكن من سؤاله كيف عرف رقم التليفون .. ولا حتى عرفت من هو . وفى اليوم التالى جاءنى واحد لم أكن قد رأيته قبل ذلك . وقدم نفسه : أنا الدكتور سليمان .. معيد فى كلية الطب .. كنت فى الكافتيريا عندما غادرتها أنت بالأمس .. ووجدت هذا الكشكول ..

ومن الغريب أن الطالبة لها نفس الاسم وفى نفس الدفعة .. واندهشت جدًا .. وعرفت فيما بعد أنه هو الذى كتب اسمى على الكشكول .. وأعجبتنى الحيلة .. وأعجبنى مظهره وأسلوبه فى الكلام .. وكيف طلب منى أن أرافقه إلى سيارته لكى يطلعنى على الكشكول .. السيارة كبيرة جميلة .. وهو رشيق أنيق .. وسألنى ونحن واقفان إلى جوار سيارته .. إن كنت سأعود إلى البيت . فأكدت له ذلك ، فسبقنى إلى سيارتى وفتح لى الباب .. إذن فهو عرف اسمى وعرف رقم تليفونى وعرف سيارتى وأوقف سيارته أمامها .. إذن فهو يرقبنى من بعيد .. وأعجبنى ذلك النضج .. هذه الرجولة .. ثم إنه ليس طالبًا .. وأدهشنى أنه أستعد لذلك استعدادًا تامًا .. وفى سيارته مجموعة صور عرضها علىّ بسرعة .. لوالديه .. أبوه لواء جيش .. وأمه أستاذة فى الجامعة .. وإخوته طلبة .. والصورة أمام بيت ريفى فى حديقة ..

لقد قال كل شيء بمنتهى السرعة والعقل والذوق والذكاء . أعجبني جدًا !

ولم أنم تلك الليلة .. وظللت أستعرض وجوه الطلبة والجيران . الذين كتبوا الحكايات والذين قالوا لى مباشرة : أحبك .. أحبك .. والذين لم يقولوها وتخيلتها .. حتى هو لاحظت أن شفتيه ترتجفان .. ولا أعرف إن كان « يتفتف » وهو يقولها .. أو أننى تخيلت ذلك .. فقرفت .. وحاولت أن أرد نفسى عن دورة المياه .. فلم أستطع . وفى اليوم التالى جاءنى وقلت له بمنتهى الصراحة : أنا سعيدة بمعرفتك ..

قال فقط معرفة .. لا أكثر؟

قلت : لا أكثر !

قال : لماذا ؟

قلت : مخطوبة لابن عمى !

قال : آه .. الذى شبكك بصفعة أمام الطلبة ؟!

لقد صفعنى هو الآخر ومشى !

* * *

وظهر لى من تحت الأرض زميل ذهبت أتفرج عليه وهو يلعب التنس .. طول وعرض وحيوية وشباب ورجولة وخفة دم .. وهايف جدًا .. وكل كلامه يضحك .. والبنات يحببنه .. ويتنافسن عليه .. فقلت لنفسى : إذن فى زحام البنات أتفرج عليه .. ولست إلا واحدة من عشرين ..

ولكن لأننى لم أحاول ما تحاوله البنات فقد أحس أننى مختلفة .. وأنه لا يهمنى .. أو أننى لا أعجب به .. كيف لا أعجب به مع أنه يعجب كل البنات ؟ إن هذا يغرى الرجل بأن يحاول .. يلف ويدور حولى .. وبهذا الشكل يصدم كل البنات .. ويوقع ما بيننا .. ويرضى غرورى أن يترك البنات ويتجه لى وحدى .. وهذا من شأنه أن يضعف مقاومة البنت .. وهذا ما حدث .. فقد انصرفت الفتيات عنه .. وبقيت أنا وحدى الذى أتفرج عليه .. وكان سعيدًا لذلك .. وكان يقول لى : هذه المباراة على وجهك الجميل .. وسوف أكسب !

وكان يكسب .. وإذا خسر يقول : إن وجهك جميل جدًا على خصمى لأنك غيرت مكانك !

كلام حلو . وشجعته . وشجعنى . وكان يقول لى : بصراحة أنا إنسان تافه جدًا .. أنا صديق ممتاز وزوج هايف .. وأنا بتاع خدامات .. لم أعرف واحدة محترمة .. وأرى أن من النذالة أن أعرف واحدة جميلة وأضحك عليها .. هذا إذا عرفت .. ولكن الخدامات أسهل .. وأنا عندهن بالدنيا كلها .. وبصراحة كل واحدة أقول لها هذا تحتقرنى .. وأنا حريص على هذا الاحتقار لأنى لا أريد أن أتزوج ولا أريد أن يتطور الكلام بيننا إلى حب وغرام وآه يا عينى وآه يا قلبى .. وبعد ذلك نتزوج ونندم نحن الاثنين على ذلك اليوم الأسود يوم دفنونا فى « كوشة » واحدة ! هذه هى حكايتى .. وهى حكاية مكررة تعرفها نصف بنات الكلية . ولم أخدع واحدة قط .. وكل واحدة تعرفنى تجرب كل أسلحتها للايقاع بى .. إن الزميلات يتصورن أن تحت القبة

شيخًا .. مع أنه لا قبة ولا شيخ .. وإنما إنسان هايف .. لا يقرأ
ولا يفكر .. يلعب ويأكل وينام ولا يكذب على أحد .. إننى بدأت
أصلى وأطلب من الله أن يتوب علىّ !

قلت له : والله أحسن .. أنت تتسلى ولا تجرح أحدًا .. وأنا من
رأيى أن التفكير فى أى شىء آخر سابق لأوانه .. هذا ما أقوله لأمى ..
ولعشرات الذين يتقدمون لى .. ليس قبل التخرج فى الجامعة .. وليس
قبل العمل ومعرفة شكل ما من أشكال المستقبل .. وأنا أندهش لماذا
يتعجل الطلبة الارتباط بزميلة أثناء الدراسة .. فلا نهاية للبنات الحلوة
خارج الجامعة .. والموظفات فى كل مكان .. الخ ..

* * *

واسترحت إليه جدًا .. وأهم مشاعرى عندما أجلس إليه هو
الاطمئنان .. فهذا الشاب ليس كذابًا .. ليست له أعماق .. واضح
تمامًا . بعض كلماته جارحة .. ولكنه لا يحتاط ، لأنه لا يعمل حسابًا
لأحد أو لشىء .. ومعنى كلامه : أنا هكذا .. وأنا لا أريد من أحد
شيئًا .. ولا داعى لأن أكذب .. وألف وأدور ..

فهو إنسان لا يريد أن يتزوج ولا يريد أن يفتعل الحب الذى هو
مصيدة الزواج بعد ذلك .. مع أننى أعتقد أنه يقلل من قيمة نفسه ..
فهو إنسان طيب حساس وهو إنسان ذكى وهو يفهم فى الذوق
والأصول .. ودقيق الملاحظة يقول لى : إنك لم تنامى جيدًا ..
ويضحك قائلاً : هذه حالة كل بنت تعرفنى .. تظل توجع دماغها

وتتساءل إن كنت جادًا أو هجاصًا .. لا تتعبى نفسك لأننى إنسان مهياص هجاص .. وهذا رأى والدى وأمى .. ولكن عندى عبارة شهيرة جدًا وهى : أتحداك أن تكرهينى .. ولم أسمع عن واحدة كرهتنى فى البيت أو فى الشارع أو فى النادى أو فى الجامعة .. ولا سمعت عن واحدة أحبتنى .. لأننى أحسن صديق للأسرة .. فأنا أبو الذوق والواجبات وأعياد الميلاد .. أول من يهنئ وأول من يقدم الهدايا .. بس كده !

هو فعلاً كذلك . ولكنه إنسان رقيق وفى غاية الشياكة .. وأنا أكره السجائر .. ولكن طريقته فى التدخين تعجبنى .. وشىء غريب أعجبنى أكثر .. طريقته فى فتح باب السيارة .. إنه يقف إلى جواره ويمد يده دون أن ينظر ويفتح الباب وقد استند بجسمه على السيارة .. ومرة ثانية وجدته يستند بكل جسمه على الباب ويمد يده كأنه يضعها فى جيب البنطلون ثم يفتح السيارة .. لا أعرف ما الذى أعجبنى فى هذه الحركة .. وكنت أحرص دائمًا على انتظاره حتى يخرج من الملعب ويفتح الباب . أشياء كثيرة تعجبنى فيه .. وقد لاحظ ذلك .

وفى يوم دعانى للغداء فى أحد المطاعم على النيل .. وكان الجو ربيعًا .. وسبقنى وقطف بعض الزهور وانتظرت أن يقدمها لى .. ولكنه نثرها على المنضدة التى بيننا .. ثم قام وقطع مزيدًا من الزهور وغرسها حول مقعدى وقال : كوشة حره .. تدخلينها وتخرجين منها فى أى وقت .. هاها هاها !

وكلمة « كوشة » أصابتنى برعشة ولم أعرف كيف حدث ذلك .. ثم

راح يتكلم فى كل شيء .. ولكن لاحظت أن الكلام يحاصرنى .. وكان الكلام ثوبًا واسعًا فى أول الأمر .. ولكنه هذه المرة كان مثل فستان ضيق .. أو يزداد ضيقًا .. يلمسنى ويثير الرعشة فى جسمى ..

فهو يقول : واحدة جميلة مثلك .. واحدة رشيقة مثلك .. أنت أشيك واحدة فى الكلية .. وقد اختارتك بنات كلية التجارة وكذلك كلية الطب كأشيك واحدة فى الجامعة .. وأنا قلت لهم بل أنت أشيك واحدة فى كل الجامعات .. أو يقول : هل تعرفين إنك لم تنطق اسمى مرة واحدة .. مع انك تسرفين فى نطق نصف اسمى .. فكل شيء عندك : هايل .. وهايلة .. واسمى هانى .. هاها .

وأحسست أنه هذه المرة يحاصرنى ولم يبق إلا أن يقول إنه يحبنى .. والحقيقة أننى أحبه .. أو بدأت أحبه .. أو أكاد أحبه .. ولا أعرف لماذا يستعجل هذه الكلمة .. وتمنيت أن أقول له : أرجوك لا تقولى هذه الكلمة .. دعنى أقلها أنا .. دعنى أحبك أولاً .. دعنى كالظل وراءك .. دعنى أتعذب فى اقناعك بأننى الوحيدة التى تحبك .. أرجوك انتظر .. إننى أكره الذين يرتعشون من الحب .. كأن هذه الكلمة عقرب تنمو فجأة فى قلوبهم وتلدغهم .. ولذلك يتخلصون منها بفتح قلوبهم على الآخر .. لعل العقرب تنتقل من قلوبهم إلى قلوب الأخريات .. لكن من أدرانى أنه سوف يقول ذلك .. آه لو انتظر قليلاً .. أو انتظر طويلاً لوجد كل صفات الخادمات عندى .. أحبه وأتذلل .. انتظره وأتوجع .. أبكى عند قدميه .. أحب هذا الاستسلام .. هذا الضعف أمام هذا الرجل السيد .. هذا الرجل الذى

يرانى ببعض عينيه .. ويأخذنى إلى بعض جسمه .. وإلى جانب من الفراش .. وجانب من الحياة .. ومن الاهتمام .. آه لو انتظر ..

ولكن حدثت المصيبة التى خشيتها طول سبعة شهور نلتقى فيها ونخرج معًا .. نأكل على النيل .. أدعوه ويدعونى .. اقترب منى وقال لى : أنا مش قادر .. لقد قاومت حبك كثيرا .. باحبك وعاوز أتجوزك ولتكن خطبتنا يوم الخميس القادم .. وكتب الكتاب يوم ...

صرخت : اسكت أنت كمان !

ونهضت دون أن ألمس الطعام .. ودون أن انتبه إلى أننى تركت شنطتى على الترابيزة .. وعدت وأخذتها ومفاتيح السيارة ..

* * *

لزمت الفراش أيامًا : مالك ؟ فأقول : تعبانة .. من ماذا ؟ فأقول : إرهاق .. هل ضايقك أحد ؟ أبدا .. لا أحد .. إذن مالك ؟ مريضة ..

بالضبط أصابتنى صدمة فى الشاب الذى تمنيت أن أبادره أنا بالحب .. لماذا لم يصبر شهرًا أو حتى أسبوعًا .. كنت سأقولها .. ولكن هو الذى بدأ .. هو الذى صدمنى .. هو الذى أنهى أحلامى كلها .. وهو الرجل الوحيد الذى لم ترتعش شفتاه وهو يقول لى : أحبك .. أو هل ارتعشت شفتاه ولكنى كنت مأخوذة به كله .. لقد غمرنى فى المرح والضحك والخفة والأمان .. لقد أسكرنى .. فلم أشعر بالدنيا من حولى .. أو من حولنا .. فقد لاحظت أنى كثيرا ما أقول : وماذا

سنفعل غدًا ؟ وأين نتغدى ؟ والمطعم الذى تغدينا فيه .. وعندى فكرة أن نذهب .. وهو ليس غبيًا .. فقد لاحظ أننى أتكلم بلساننا نحن الاثنين .. وأننى أتكلم باستخفاف عن كل الطلبة الآخرين .. وكذلك الطالبات .. وأننى بدأت أرى الدنيا من وجهة نظره .. وقد لاحظت أمى أن حالتى المعنوية مرتفعة جدًا . وفى يوم قالت لى : فرحينى معك !

قلت : أبدًا لا أحد يا ماما !

فكانت تسخر قائلة : يا أختى يا حلاوة .. عشنا وشفنا الواحدة ممكن تبقى سعيدة كده لوحدها !

ولما رأت أمى وجهى وقد انقلب وعادت الهالات الزرقاء إلى عينى سألتنى : ماذا حدث ؟ أين طيرك ؟ وهل لاف على غيرك ؟

وأرد : يا ماما أنت كمان ؟ لا طير ولا لاف على غيرى ولا أى حاجة .. الدنيا كده .. يوم من ده ويوم من ده .. أنت تعرفين أكثر منى !

ـ والله يا بنتى ما أنا فاهمة حاجة .. أنتن يا بنات هذه الأيام فزورة ! !

* * *

وفى لحظة غضب أو يأس أو ندم أو انتحار كتبت خطابًا إليه وأقول له : وأنا أيضًا أحبك ومستعدة أن أتزوجك دون أن يعرف أهلى .. يوم الخميس القادم .

وذهبت إلى الكلية وأعطيته الخطاب فى يده .. ولم أره وهو يمسك الخطاب ويتركه يقع على الأرض .. ولكن إحدى زميلاتى قالت لى

بعد ذلك إنه ترك الخطاب على الأرض والتقطته صديقتى ووضعته فى شنطتها .. وبعد أيام جاءتنى فى البيت تقول لى : تصورى ما الذى تقوله الكلية كلها ..

فى الكلية يقولون لى إنهم سمعوه يقول إنك بعثت له بخطاب تعرضين عليه الزواج فورًا .. وإنك كتبت رقم تليفونك .. وعنوان البيت .. ولكن لم نصدقه .. فكل واحد يقول له : أين الخطاب ؟ أنت فشار .. أنت تافه .. وهى لا يملأ دماغها إلا الرجل العاقل العالم المحترم .. فهى غنية وليست فى حاجة إلى فلوس أمك .. معقول واحدة مثلها تحب شابًا هايفًا مثلك .. ويقسم على ذلك .. ولكن أحدًا لا يصدقه . فما الذى جعلك تفعلين ذلك ؟! أنت اتجننت ؟!

قلت لها وهى لم تفهمنى : لو كان ربنا يجمع كل شفاه الرجال فى شفتين اثنتين لكى أقطعهما بالسكين مرة واحدة وأستريح ! !

فصرخت : بتهلوسى تقولى إيه ؟!

— ...

قل : هَــه .. وَلاتخف !

تعبت فى حبك تعبت .. تعذبت فى هواك تعذبت .. لا الليل يبعدنى ولا النهار .. الشمس تطلع ويجىء من بعدها القمر .. كأنهما يتجسسان .. يريدان أن يعرفا ما وصل إليه حالى .. ولا أكاد أرى الشمس حتى أفتح النافذة وأدور أمامها كما أفعل عند الترزى ليرى طولى وعرضى .. ويغرس دبوسًا هنا ودبوسًا هناك .. إنه حريص على أن يجعل الفستان على قدى تمامًا .. وإذا غابت الشمس أضأت المكان .. هل تعرف المكان يا حبيبى .. كل شىء شهود علينا .. المصابيح فى السقف والأباجورات فى الأركان .. والسجاجيد على الأرض .. كل ذلك رآنى .. رآك رآنا .. هل تذكر يا حبيبى .. طبعًا تذكر .. لم أكن وحدى .

ملايين الملايين من خلايانا كلها عيون ترى وآذان تسمع .. وكلها تنبض .. ففى كل واحدة قلب . وكل قلب يوحد بالله .. بالحب الواحد للرجل الواحد للعمر الواحد .. فى كل ليلة أحاول أن أحصى عدد الكلمات التى قلناها .. ليست كثيرة .. أطول كلمة هى : هه .. أنت

تسألنى .. أو أنا أسألك .. ولا أنت أجبت ولا أنا .. كأن أحدًا منا لم يسأل الآخر .. ما الذى أسأل عنه إذا كنت بين ذراعيك .. ما الذى تسأل عنه إذا كنت حولك .. أنت تقول : هه .. وأنا أرد فأقول : هه .. لا أنت سألت ولا أنا أجبت .. ما الذى تسأل عنه ولا تجده .. ما الذى تريده ولا تجده . ما الذى تفتقده وأنا كلى معك .. ما الذى أنشده وأنت جميعك هنا .. وهنا .. وهنا .. وخصوصًا هنا فى أعمق أعماق القلب .. يا قلب القلب !....

هل أكلنا .. هل شربنا .. هل جعنا .. هل عطشنا .. هل نمنا .. هل صحونا .. هل عشنا .. هل متنا .. هل ماتزال .. هل ولدنا .. هل كبرنا هل صغرنا .. هل مانزال هناك .. نعم يا حبيبى .. نعم هنا وهناك .. فى الأمس واليوم وفى الغد .. من قال إن الإنسان يموت .. إننا نولد لنعيش إلى الأبد .. ما هى الأبدية ؟ هى ألا يكون زمن .. هى أن يكون شعور بلا شمس ولا قمر بلا ليل أو نهار .. أننى أضحك وأنت تعرف لماذا يا حبيبى .. طبعًا أنت عرفت ما الذى كان يضحكنى فى تلك الليلة . عندما اكتشفنا أننا نتحدث فى الظلام .. فقد انتهى النهار .. لم نتنبه .. وحل الظلام ولم نشعر .. فقد اغمضنا عيوننا .. وما فائدة العين للمحبين .. إن المحبين أقل الناس استخدامًا لعيونهم .. مرة واحدة رأيتك وأغمضت عينى عليك .. ملأت عينى .. وجعلت رموشى أصابع تلتف حولك . واضمها عليك لتبقى فى العين .. لتكون أنت العين التى ترى بها العين .. أراك وأنا مغمضة العين .. ثم إنك بين ذراعى .. ما الذى أكثر من أن أجدك مرتين : مرة فى عينى وألف ألف

مرة فى ذراعى .. أصابعى تهتدى إلى أصابعك .. شفتاى إلى شفتيك .. كلى إلى كلك .. خيالى فى واقعك .. واقعى أجمل ما فى الخيال .. فى تلك الليلة .. ضحكنا .. إحسسنا كأننا أهل الكهف .. أيام كان الإنسان يعيش قبل المصابيح .. وكان الأب يحمى أولاده وزوجته .. وكان الأطفال ينامون على صدر الأم . كما أنت الآن يا حبيبى .. يا ابنى وأمى وأبى وأعز ما فى هذه الكلمات ، وأبقى من المعانى .

ليلتها أنحنيت على يدك أقبلها .. فقد ارتفع صوتك لأول مرة تقول : أوعى .. وفهمت هذا الأمر : أوعى تفتحى عينيك .. أوعى تتركينى وحدى .. أوعى تشوفى الساعة كام .. أوعى تفتحى النور .. أوعى تعملى أى حاجة تفسد هذه الأبدية . أوعى توعى .

ووعيت فلم أفعل شيئًا ..

ولم أقل لك ليلتها أننى أحسست بالخيانة لك .. بالكفر .. بالعصيان .. فقد امتدت يدى بلا شعور منى فوجدت تحتنا شوكًا وسكاكين وملاعق وأطباقًا . تصور يا حبيبى لم نشعر بها .. ولم أشأ أن أجعلك تدرك لحظة واحدة أننى خرجت عن طوعك . إنى عصيت لك أمرًا .. والله يا حبيبى لو نفذ السكين إلى قلبى ونزفت دمى كله ما قلت لك .. فلا شىء تحتنا ولا شىء فوقنا .. هل تذكر يا حبيبى يوم تجرأت وسألتك وأغضبك ذلك .. آسفة يا حبيبى .. فكل شىء جديد .. لقد حار عقلى فى هذا الذى يحس به .. نحس به .. هل تذكر يوم قلت لك : من قال إن لكل شىء طولاً وعرضاً وارتفاعاً .. إننى لا أعرف

الفرق بين الأرض والسقف .. فالجدران الأربعة والسقف والأرض أيضاً ، كلها تلفنا حريراً ناعماً .. فلا نعرف إن كانت غرفة هذه أو كنا فى صندوق من الحرير .. أو إننا معلقان فى الهواء .. هابطان من فوق .. أو طائران إلى أعلى .. أو سابحان غائصان .. غارقان .. أو نحاول أن ننجو . اعذرنى يا حبيبى لقد طال تساؤلى ولكن عذرى أننى امرأة .. وأننى أحب أن أعرف .. إنه استطلاع انثوى .. ولله الشكر والحمد إنك لم تفتح عينا . وأشكرك لأنك لم تهتم بهذا الذى قلت .. كأننى لم أقل .

وعندما قلت لى : هه ..

أعرف معناها هذه المرة .. أعرف ماذا تزيد .. إنه بالضبط ما أردت .. لقد مددت يدى إلى إيشارب لمسته بقدمى .. وشددته باصابعى .. ولففته حول عينى حتى لا أرى شيئًا .. وزحفت على بطنى إلى الراديو .. وجاءت الموسيقى .. وتساندت عليك .. ووقفت فى الظلام أرقص لك ولى .. فما الذى فى داخلى لابد أن يجد وسيلة للتعبير .. أن يجد وسيلة أخرى لأن أكون سعيدة بك .. وسعيدة لك .. أو سعيدة فقط .. فالسعادة معك .. والسعادة بغيرك تعاسة .. وخيانة لك .. إننى ولدت يوم ولدت .. وأشارت كل أصابع الدنيا تقول : هذا لهذه .. هذه توأم هذا .. إنهما معًا .. يعيشان ويموتان .. دعنى .. دعنى .. أحاول الطيران يا حبيبى .. ما الذى قاله الشعراء ؟.. لم يقولوا .. ما الذى ردده المطربون ؟

ما فتحوا فمًا ولا سمع لهم أحد .. هذا الذى أقوله هو الكلام ..

هذا الذى أنطقه هو الطرب .. انظر .. انظر .. املأ عينيك ونم يا حبيبى .. أنا واقفة أروح وأجىء . وأنشر ذراعى جناحين .. وأعلو بصدرى ويطير شعرى .. وأدور حولى وحولك .. وأعود أرقص .. ما هذا الذى أفعله .. لا هو رقص ولا هو غناء .. إننى أحاول أن أرسم بجسمى لوحات لا يراها أحد سواك .. أحاول أن أعزف لحنًا لا تسمعه إلا أذناك .. أحاول أن أجعل نفسى تمثالاً لذاتى .. وكما أن الفنان يرسم صورة لنفسه وهو يراها ويراه .. فإنى أصنع من نفسى تمثالاً لك .. لا أكذب عليك فصناعة التماثيل ليست صناعتى .. إننى أقلد التماثيل التى أراها من النافذة .. الآن تعرف عن أى مكان وأية مدينة أتكلم .. طبعًا عن روما .. غرفتنا فى فندقنا فى الميدان الشهير. وأنا انظر إلى النافورة والماء يتدفق من أفواه وعيون وسيقان الجميلات .. إننى أقلد الجميلات واحدة واحدة .. يا أنت يا كبير الآلهة .. فمرة قلت لك فينوس وقد وضعت على كتفها بلاصًا ريفيًا .. ومن البلاص ينزل النور .. يا عظمة الحب .. كيف استطاع أن يجعل النور رحيقًا وان أصبه سحرًا .. ومرة أقلد لك تمثال أوفيليا .. عالية شامخة بغير كبرياء .. بل بكبرياء فالتى تحبك لابد أن تعرف بالحب الكبرياء .. وأن تذوق مع الكبرياء طعم القداسة .. ياقدس الأقداس .. ياحبى المتكبر .. ياكبريائى العاشقة .. وليلتها لففت ذراعى بالإيشارب .. فقد كان تمثال فينوس مكسور الذراعين .. فداؤك ذراعى وساقى .. وكلى فداؤك يا حبيبى .. ويوم جلست فى البانيو .. تذكر .. لقد سحبتك على الأرض . وسحبتك وأنت مغمض العينين .. وحاولت بعينى أن أفتح

عينيك .. فعيناك لهما شفتان يا حبيبي .. كما أن شفتي جفنان يا حبيبي .. وجلست أنا فى البانيو الذى تغطى بأوراق الورد .. والبخار يصعد أنفاسًا عطرية .. كأن البانيو جزء مني .. كأنه خلاياى .. خلاياى حارة تتنفس عطرًا .. تقول مالا يرى ومالا يسمع .. إن البانيو مثلنا يا حبيبي حتى صوت الحنفية كأنه يقول : هه .. حرفان بليغان جدًا .. الله خلق العالم كله فى حرفين قال للكون : كن .. فكان .. والحب صوت الله .. ظل الله .. وأنت أيضًا تنطق بحرفين : هه .. بل هو حرف واحد مكرر .. والله سبحانه ليس فى حاجة إلى أن ينطق .. إن الكون إرادته .. دون كلام .. لكن الله أراد سبحانه أن يوضح لنا كيف خلق الدنيا : فى ثانية .. فى كلمة .

هل تذكر ماذا قلت أنت ؟

أنا أصف لك كيف كنت .. لكى أذكرك بالذى قلته .. أنا فى البانيو .. لا أعرف إن كنت تحت الماء .. أو على سطح الماء .. لا أعرف إن كان العطر منى ، أو أنا من البانيو .. كل شىء واحد .. كل شىء له رائحة .. الصمت عطر .. والكلام عطر .. وأنفاسك أنفاسك ياحبيبي إنها تنفذ من ذراعى من صدرى .. من أنفاسى إلى أطراف أصابعى .. كيف أننى أرى ذراعى كأنهما من الماء .. كأنهما غلالتان على شكل ذراعين .. كل واحد امتلأت بالماء والصابون .. وما هذا الذى يبدو من تحت الماء .. لا أعرف هل هى أصابع قدمى أو هى أصابع يدى .. أو يديك أو قدميك .

ثم جلست على حافة البانيو .. وتمددت مثل تمثال «الفتنة

النائمة » .. أو الفتنة التى لا تحتاج إلى أن تصحو .. إنها تفتن العين والأذن والأصابع دون أن تفتح عينا .. بل العيون هى التى يجب أن تنفتح عليها .. أن تغترف منها .. أن تمتلئ بها .. سبحان الله كيف ترانى هكذا ولا أتناقص .. كل مرة ترانى فيها أزيد وزنًا وطولاً وعرضًا .. أية قوة فى عينيك يا حبيبى .. ما هذه الكيمياء .. ما الذى يخرج من العين .. ما الذى يعود إليها .. كيف هذا الذى أجده إلى جوارى .. إننى أجد واحدة أخرى مثلى تمامًا .. أراها الآن على فراشى .. وأراها الآن ترقص .. وأراها الآن تعلو وتهبط من سقف الغرفة وأرضها .. وأراها الآن ترد على تليفونك .. وأراها تتمرغ والتليفون حولها .. وأراها تسرع تفتح لك الباب .. وأراها تضع الملعقة فى فمك .. وبعد ذلك فى فمها .. امتلأت الدنيا بألف ألف تمثال لى .. إننى أرانى فى كل مكان .. أرانى كل وقت .. كل ذلك أنت صنعته ياحبيبى .. ماأقدرك .. ماأعظمك .. ماأروعك .. ساحرى الذى لا يبذل جهدًا فى هذا الإبداع .. إننى عندما أمسح وجهى فى شعرك ينفجر الدفء والسحر فى كل خلاياى .. هذا الشعر على رأسك غابة سحرية .. إننى أوقظ الطيور فى غاباتك .. إننى أنقلب على شعرك .. فكل شعرة كأنها شريط كاسيت .. نقول ونقول ونغنى ونعزف .. ونسحر .. ملايين الكاسيتات تدور معًا عندما أتمسح فى رأسك وفى صدرك .. أعظم من كل ذلك : إنك يا حبيبى لا تشعر بعظمتك .. بقدرتك .. بعبقريتك .. الشمس مثلك والقمر والبحر .. جمال وجلال دون أن تدرى .. كما النور يخرج من الشمس .. وكما النور يفيض من

القمر ، وكما الموج يثور فى البحر : جمالك وشموخك .. هل هذه هى الرجولة ؟ لا أعرف .. فإننى لا أعرف لك جسمًا . ولا أعرف لجسمك اسمًا .. أنت كل شىء وكل أحد . وكل معنى وكل أمل . إن كنت شمسًا فأنا الشىء الصغير الذى يوجد لحظة إشراقك ، وإن كنت قمرًا فأنا واحدة من ملايين الأحلام التى تنهض معك .. وإن كنت بحرًا فأنا ذرة رمل على شاطئك . وإن كنت الرجل .. بل أنت الرجولة فأنا فراشة صغيرة تقف على شعرة فى ذراعك .. يا حبيبى .. قربنى من أنفك العالى .. من عينيك .. لكى ترانى .. من شفتيك لكى تسحرنى .. من أذنيك أقول لك : أحبك دائمًا أبدًا .. إتركنى يا حبيبى فلست أقوى على شىء بعد ذلك .. لقد ذهبت .. تبددت .. أن بقيتى لا تقوى على بقيتك .. ليس عيبًا فى الشمس إن ملايين ملايين الفراشات تعيش لها وعليها .. إننى أقبل أن يشاركنى فى جمالك مليون مليون حواء .. وأن يشاركنى فى القرب منك ملايين الملايين .. فإن القرب منك يتسع للدنيا كلها .. ولكن يا حبيبى .. إذا نظرت فلتكن فراشتك هذه هى عينيك ، وإذا سمعت فلتكن رفرفة جناحىّ هى موسيقاك .. وإذا فتحت قلبك فأطبقه علىّ .. أطبق عينك على صورتى ، وأذنك على رفرفتى ، وقلبك على قلبى .

الآن حان وقت الكلام ..

يومها .. ليلتها .. نهارها .. أسبوعها .. شهرها .. لحظتها .. خرجت من البانيو .. ما هذا الذى فعلته أنت يا حبيبى .. كأنك وثنى وكأننى .. ما هذا الذى تشربه فى كأسك يا حبيبى .. من أنا حتى تكون

قطراتى شمبانيا .. هل أنا واحد من تلك التماثيل المقدسة التى تبكى
والتى عرقها دموع ودموعها بركة .. من أنا .. هل تعرف كيف جعلتنى
أبدو أمام نفسى .. آه يا حبيبى لو أعطيتنى بعض قوتك إذن لأذبت
نفسى فى كأسك .. فكنت أنت مثواى الأخير .. أروع نهاية فى أروع
معبد .. فى لحظة أبدية .. وانحنيت وانحنيت أحاول أن أدخل
كأسك .. كما حكت لنا ألف ليلة وليلة عن العفريت الذى يدخل
الزجاجة .. يا ليتنى هذا العفريت ليدخل زجاجتك إلى الأبد .. ولكن
أى عفريت يقترب منك .. إنك أنت الملائكة كلها .. سماء الملائكة
التى طرد الله منها العفاريت .. فالحب أبو الملائكة وأمها .. والعفريت
ابن الكراهية حفيد الحقد أبو الحروب .. ما هذه الكلمات الفظيعة التى
قفزت إلى لسانى .. لابد أنها نوع من الحجارة اطلقها الشيطان علينا ..
فقد تعب أن يكون بيننا ولكنه لم ييأس .. كأننى فتحت عينى .. كأننى
فتحت أذنى فجأة .. كأننى ابتعدت عنك مليمترًا فأسرع الشيطان
ودخل بيننا .. تعال نسحق الشيطان بيننا .. تعال .. تعال .. لقد حان
موعد الكلام : هه .. وأنت قلت : هه .. الله الله .. ما اسم هذا
اللحن يا حبيبى .. الله الله من مؤلف هذه الموسيقى .. ومن صاحب هذا
القاموس من الكلمات .. ومن هؤلاء الملايين الذين يستمعون إلينا ..
يعزفون معنا .. يغنون .. يلحنون .. يرقصون .. يصفقون .. يتعبون ..
يتعبوننا .. نتعبهم .. نتعب معهم ، نتعب لهم .

تعبت تعبت فى حبك .. فى حبنا .. تعب حبنا .. أتعبنا حبنا ..
وأتعبنا الناس حولنا يا حبيبى .. الأطباء يقولون : كلوا واشربوا .

والشعراء يقولون : بل لا تسمعوا الأطباء .. إنهم أعداء الضياع .. والشعر ضياع والحب ضياع الضياع .

أمى تقول : هات لنا حتة عيل .. تصور أمى لا تعرف انك أنت هذا الجنين .. هذا الوليد .. هذا الطفل .. هذا الأستاذ .. هذه البشرية .

والدى يقول : لابد أن تفيق ..

قالها أبى ونام .. نصحنى بأن أفيق ، فنام إلى الأبد .. لعله أراد أن نفيق كما أفاق هو الآن .. الرسول عليه السلام يقول : الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا .. لعله أراد أن أموت لكى أصحو .. وأنا الآن أعمل بوصية أبى ، فأنا ميتة فى هواك يا حبيبى .

هذه .. قمة الصحوة الأبدية ..

وأختى تقول : لا تبعدى كثيرًا عن الأرض ، حتى يكون سقوطك سهلاً ، يتحطم القليل من جسمك ونفسك !

أختى لا تعرف يا حبيبى إننا غيرنا قوانين الطبيعة .. إننا ابتعدنا كثيرًا عن الأرض كثيرًا جدًا .. ولكن عندما نريد السقوط فإن الأرض هى التى تصعد إلينا . فلا يكون سقوطًا .. وإنما فقط نتقلب بين السماء والأرض .. فالسماء أنزلناها إلى شبر فوق الأرض .. فمن الذى يخاف السقوط من شبر.. ومن الذى يخاف الطيران شبرًا فوق الأرض ..

وأخى الأكبر يقول لى لأنه أكبر وأعقل : يجب أن تبتعدى لتريه أوضح ، ولتفهميه أعمق .. ابعدى .. فالذى يلصق عينه فى اللوحة لا يراها بوضوح ؟

تصور يقول لى : إبعدى .. أنا أبعد ؟.. كيف ؟ ولماذا ؟.. أبعد عن ماذا ؟.. كيف يطلب منى أن أبعد عن نفسى ؟.. من الذى حاولها قبلى ونجح ؟.. كيف أخرج من جلدى ؟ من الذى جربها قبلى ؟ حتى الأفاعى لا تخرج من جلدها ؟ إنها تخرج من غطائها ؟. كما يخرج الإنسان من الفستان أو البيجامة .. ولكن لما أسمع ولم أعرف أحدًا أمسك جلده .. بشرته ثم سحبها وقفز منها .. وبقى جلده واقفًا يروح ويجىء .. قل لى يا أخى كيف أخلع قلبى ؟. ولماذا ؟ وأعيش بغيره .. أخلع عقلى وأتفرج عليه ؟.. أجعل جسمى الذى بلا عقل يتفرج على عقلى الذى بلا جسم .. كيف قل لى ؟ علمنى ؟ ثم يا أخى من الذى يريد أن يرى أوضح .. ما معنى الوضوح .. ما فائدته .. إن الإنسان لا يستطيع أن يرى عينه بعينه !!

أنت عندما تريد أن تنظر من النافذة .. معناه أنك فى لحظة لم تكن ترى فذهبت ترى .. وبعد أن رأيت لم تعد ترى .. لم أكن فى لحظة واحدة من عمرى كله لا أرى .. فأنا أحب منذ ولدت .. بل لم تكن لى حياة قبل الحب .. لا أعرف ماذا كنت قبل أن أحب .. فحبى هو مولدى .. ولدت معه وولدت له .. وحبى هو حبيبى .. وعينى هى بالضبط ذلك المنظر الذى تراه .. بل إننى لا أرى حبيبى .. لم أره قط .. إنه فى عينى . وليس خارجها .. إنه عينى التى أرى بها ماعداه ومن عداه .. أما أن أخلع عينى لأنظر بها إلى عينى .. فتلك معجزة لا ضرورة لها !

حبيبى إنتهى خطابى إليك .. هذا الخطاب كتبته فى غيابك وبعثت

به إلى الطبيب أقول له : انصحني يا دكتور ..

وكان رد الطبيب : ليس من اختصاصي !

بعثت به إلى الشاعر فقال : بل أنا الذى أسألك النصيحة !

بعثت به إلى أمي فقالت : عليه العوض !

أخي قال : مجنونة طبعًا !

أختي قالت : كنت أتوقع هذه النهاية !

كلمة واحدة تكفيني تعليقًا منك على كل هذا يا حبيبي .. قلها ولا تخف .. بل لا تقل .. فأنت لا تخاف ولا أنا .. دعني أجلس أمامك .. دعني انظر إلى شفتيك وأنت تقولها .. على مهلك .. فهي قضائي وقدري .. على مهلك .. هل أرى انفراجًا في شفتيك .. هل ستنطق .. لا تقلها بشفتيك .. بل بكل خلاياك .. فليس لنا شفتان .. بل ملايين الملايين .. ليست لنا كلمات .. بل ملايين الملايين .. قل .. قل .. قلها في فمي .. بل سوف أغمض عيني حتى أتخيلك كما أريد .. هل قلت : هه ؟!

أشكرك يا حبيبي ! ولا أريد سواها .. وسواك !

لاتغضبى ياماما:
يجب أن ينتهى دورك!

ليكن اسمي ليلى .. ليليان .. لطيفة .. لواحظ .. وياليت ما كنت واحدة من هؤلاء .. أنا باختصار فتاة الساعة التاسعة وخمس دقائق أو أنا اسمي تسعة وخمسة .. فأمى ، شفاها الله ، ترى أن البنت الشريفة المحترمة هى التى لا تتأخر عن البيت أكثر من الساعة التاسعة مساء .. كل البنات الشريفات .. بنات العائلات .. بنات الأصول لا يغبن عن البيت أكثر من التاسعة .. حتى الساعة التاسعة فى نظرها متأخرة جدًا .. والله العظيم والمصحف الشريف إننى أريد أن أصل إلى البيت قبل ذلك .. وأحاول وأنجح فى بعض الأحيان .. فليست عندى سيارة . ولابد أن أنتظر أحدًا ليتفضل ويوصلنى إلى البيت .. ولابد أن تكون فتاة وزوجها أو خطيبها أو أخاها .. ولم يحدث ولا مرة واحدة أن كانت فى السيارة واحدة غيرى فقط .

.. عادة يكون هناك فتيات كثيرات ولابد من توصيلهن الواحدة بعد الأخرى .. والذى أقوله لأمى هو هو فى كل مرة .. والتى تقوله هو نفس الشىء فى كل مرة .. وأمى لا ترى أننى كبرت وأننى تعلمت ، لا أقول أكملت تعليمى .. وإنما خرجت من الجامعة والسبب هو :

الزفت الذى يسمونه الزواج من ابن الخالة ..

كنت فين يا بنت ـ هى التى تقول

ـ يا ماما أنتِ عارفه .

ـ عارفه إيه يا مقصوفة الرقبة .. كل يوم تطلعى بحجج وكلام .. وجعت قلبى ربنا يوجع قلبك .. خلفة البنات وسنينها السودة ..

ـ يا ماما أنا لو أعرف كيف أتحول إلى رجل ما ترددت لحظة واحدة ..

ـ أيوه يا أختى ادخلى فى عبى وقولى الكلام الفارغ بتاع الجرايد .. كنت فين يا بنت !

ـ كنت مع عنايات .. أطلبيها يا ماما .. واسأليها أنتِ كم واحدة كانت فى عربية خطيبها .. واحدة فى المنيل وواحدة فى المعادى .. وأنا فى الروضة .. وواحدة كمان فى الزمالك ..

أعمل ايه يا ماما .. ما أقدرشى أمشى العربية على كيفى !

ـ أنتِ عارفة الساعة كام دلوقت .. تسعة وعشرة ..

ـ أبدًا يا ماما .. الساعة تسعة وثلاث دقائق .. ساعتك دايمًا مقدمه .. يا ماما إيه اللى يمكن عمله فى الثلاث دقائق ولا يمكن عمله قبل التاسعة .. وقبل الثامنة ..

ـ زى إيه يا بنت !.

ـ أنا عارفة أنتِ اللى تقولى يا ماما ..

ـ زى إيه يا بنت يا فاجرة .. ياللى عينيك تندب فيها ميت رصاصة !.

ـ يا ماما عيب اللى حضرتك بتقوليه ده .. اللى أنت بتقوليه يخلينى أعند .. ويخلينى أكذب عليك .. وأنا لا أحب الكذب ..

تفتكرى يا ماما لو واحدة عاوزه تعمل أى حاجة ،ماينفعش إلا بعد التاسعة .. ليه ؟!.

ـ حاجة زى إيه يا بنت ؟!.

ـ ماما .. مفيش حاجة .. لكن بأقول نفرض أن فيه واحدة عاوزه ..

ـ عاوزة إيه قليلة الأدب ..

ـ ...

وينتهى هذا الحوار التقليدى مرتين فى الأسبوع بالاعتذار لها .. وفى كل مرة قبل الخروج أقول لها : يا ماما .. أنا مش صاحبة العربية اللى حتاخدنى واللى حتجبنى .. ولكن سوف أعمل المستحيل لأصل قبل الساعة التاسعة .. ساعة النحس هذه !.

أنا فاجرة يا ماما ؟ الله يسامحك .. أنا عينى الجميلة تندب فيها رصاصة ؟ آه لو سمعت ماذا يقولون عن عينى ؟! ولكنك لن تسمعى ..

وكانت ليلة سوداء ليلة خطبة سامية التى كانت زميلتى فى التوجيهية .. قلت لماما إن هذه ليلة خطبة .. طبل وزمر .. وضحك وسوف نجامل سامية .. فنرقص لها ونغنى .. كل البنات تفعل ذلك .. وماما فعلت ذلك كثيراً فى زيجات قريباتها .. بل إنها طلبت منى أن أرقص .. ورقصت .. ثم إن اثنين من إخوتى سوف يكونان معى ..

وكل واحد وصاحبته ـ ولن أقول لأمى ذلك .. لأن النتيجة معروفة وهى أن أى واحد من إخوتى لن يخرج معى .. ولن يدافع عنى .. إذن فأنا الفاجرة التى لا تفعل شيئًا ، وإخوتى من النبلاء الشرفاء لأننى فقط لا أفتح فمى . وأمى لا تعلم أن واحدة من صديقات إخوتى تسكن فى نفس العمارة .. وقد رأيت بعينى هاتين أن أخى كان يعانق ويقبل واحدة صاحبته أمام باب الشقة ورأيته ورآنى ونظرت فى ساعتى فوجدتها التاسعة إلا خمس دقائق ؟!.

وكان من المستحيل أن نعود لا فى التاسعة ولا فى العاشرة ولا الحادية عشرة .. ومع ذلك حاولت المستحيل . وعدنا فى الحادية عشرة وعشر دقائق .. لست وحدى .. ولكن معى أخى الأكبر وأخى الأصغر .. وانفتح الباب . وتسلمتنى أمى : كنت فين يا بنت يا صيعة ..

وبسرعة اختفى أخى الأكبر فى غرفته .. أما أخى الأصغر فجلس يتفرج ويسمع .. وهو سعيد بذلك لأننى هددته بأننى سوف أحكى لماما عن البنت التى كانت معه ..

وبعد .. فلا أعرف كم مضى من الوقت وأنا أتلقى الشتائم ولا أرد ولا أصد .. قلت لها : يا ماما .. هل نسيت أن اثنين من إخوتى كانا معى ..

وإذا بها تقول : إيه يا بنت الرقص والمسخرة بتاعتك .. هيه أمك رقاصة ولا أبوك من شارع محمد على ؟!.

إذن فلقد سبقنى أخى الأصغر وقال لماما كل شىء فى التليفون !.

* * *

وفى اليوم التالى دخلت إلى بابا فى غرفة نومه : صباح الخير يابابا .

ـ صباح الفل يا قمورة .

ـ أريد أن أتحدث إليك على انفراد وليس هنا .. ولا أريد أن تشترك أمى فى الكلام .

ـ ولماذا يا حبيبتى .. أمك دى حبيبتك .. وإذا كانت تقسو عليك أحيانًا .. فأنتِ تعرفين كلام الناس .. وأمك معقدة مما حدث لبنت خالتك ولأختها الصغرى .. وبسبب كلام الناس لم تتزوج واحدة منهما .. وأنا متأكد أنك أنتِ أشرف من الشرف .. ولكن الناس يا ابنتى ..

ـ يا بابا أريد أن أتحدث إليك على انفراد وليس فى هذا البيت .

ـ أمرك يا ابنتى !.

ـ أنا عندى فلوس كثيرة .. وأنا عازماك على الغداء .. أنت عارف أنى قابلت عمتى .. وأعطتنى فلوساً كثيرة .

ـ مين قدك .. أختى دى تراك أجمل وأطيب بنت فى الدنيا .. وقد أودعت باسمك فلوساً كثيرة فى البنك .. ربنا لم يرزقها بالأولاد .. وترى أنك أنت بنتها .. ياما حاولت هى أن تتبناك وتعيشى معها .. وأمك اعترضت ..

ـ وأنت يا بابا ؟

ـ أبدًا .. أنتِ بنتى فى كل الأحوال .. سواء عشت معنا .. أو عشت فى بيتها أو ذهبت إلى بيتك أنتِ إن شاء الله .. ولكن أمك دماغها ناشفة ..

ـ طيب يا بابا .. ما رأيك أذهب لكى أعيش مع عمتى .. عندها أوضة نوم جميلة .. أوضتى .. وعندها مكتب .. وإذا ذهبت عند عمتى فسوف أستأنف الدراسة .. وأنا حزينة جدًا لأننى خرجت من الجامعة بسبب ابن خالتى الذى أصر على أن أقعد فى البيت إذا تزوجنا .. وقعدت فى البيت ولم نتزوج .. وأمى ترى أن أختها على حق وأنا غلطانه .. يا بابا .. أريد أن أتكلم معك اليوم .. أنا سوف أقول لماما .. إننى أريد أن أشترى فساتين .. وأن تكون أنتَ معى ..

ـ موافق ..

* * *

جلست أمام والدى أتفرج على نفسى فى وجهه .. فأنا أشبهه إلى حد كبير .. عيناه الجميلتان الصافيتان وابتسامته التى لطفل لم يتجاوز السابعة من عمره .. لا أعرف كيف تتجمع الألوان فى وجه أبى ، ثم يوزعها بسرعة على العينين والشفتين ثم على الجبين .. فأنت أمام طفل .. كم تمنيت لو أخذته فى حضنى ومسحت وجهه ولعبت فى شعره .. ونظرت إلى أظافر يديه ، إنهما أظافرى بالضبط .. الأظافر طويلة ولامعة .. ونظيفة دائمًا .. أصابع موسيقار أو رسام .. أو أصابع أميرة من الأميرات لم تمسك شوكة ولا سكينًا ولا حتى ملعقة .. مثل أصابع كليوبترا التى كانت تغمسها دائمًا فى اناء من اللبن .. فكانت أصابع حريرية .. قلت له : يا بابا أنت تعرف ما الذى سوف أحدثك عنه .. أنتَ ترى البهدلة اليومية التى أسمعها من أمى .. لا لشىء إلا أنها

لم تكن تريد أن تحمل وتلد فجئت أنا .. تعلم إنها لا تحب البنات .. لأن البنات وجع قلب .. ولوكانت أمى فى الجاهلية لصحوت أنت من النوم ووجدتها تغسل يديها لأنها قد دفنتنى حية ، وعادت إلى البيت تحمد ربنا على الستر .. ولكن تأخر مجيئها فى الزمان .. وأنت تعرف حكايتى مع ابن خالتى .. غنى .. عبيط .. غنى مغرور جاهل .. والنتيجة كما ترى : خطبة وكتب كتاب .. وطلاق قبل الزواج .. والسبب أنه يريدنى أن أبقى فى البيت وأتحجب .. أبقى فى البيت ؟ موافقة .. حجاب ؟ أبدًا .. لأننى غير مقتنعة بأن الشرف والفضيلة هى فستان طويل وأكمام طويلة وجوانتى أسود .. كل هذا كذب وكلام فارغ .. أنا أعرف وأنت تعرف ما الذى يفعله الرهبان والراهبات .. وقد كنا نسكن إلى جوار أحد الأديرة .. رقص وخمر ومسخرة .. وليس فى الدنيا أطول ولا أكثر بياضاً من مسوح الراهبات والرهبان ! .

ـ عاوزة تقولى إيه يا حبيبتى ؟.

ـ عاوزة أهاجر من مصر .

ـ كيف ؟.

ـ سوف أتزوج وأهاجر ..

ـ تتزوجين من ؟

ـ أى واحد ..

ـ كيف ؟

ـ هناك كثيرون يريدون الزواج منى .

ـ لم أسمع عن أحد منهم .

ـ ولكنى أنا سمعت .

ـ أمك تعلم ؟.

ـ طبعاً لا .

ـ كيف ؟.

ـ ليس من الضرورى أن أعرض عليها شيئًا خاصًا بى وأنا أعلم رد فعلها مقدمًا .. انا أحب أمى .. واحترمها .. ولكن هناك حدود .. يجب أن تكون هناك حدود لسيطرة أمى وولايتها على سلوكى .. لها الاحترام .. ولكن لى أنا القرار .. وقد أتفقت مع عمتى على كل شىء .

ـ عمتك ؟.

ـ طبعًا .. إنها أمى الحقيقية .. إنها عاقلة واسعة الأفق .. واقعية .. فاهمة الدنيا .. ثم إنها تحبنى وأهم من ذلك إنها تثق فى كل تصرفاتى .. وثقتها فى محلها .

ـ وأنا ليس لى رأى ؟

ـ العفو يا بابا .. أنا عرضت عليك رأيى ورأى عمتى .. وهذا الشخص الذى سوف أهاجر معه .. هو ابن صديق لك .. أنتَ تعرفه جيدًا .. وأعتقد أنك سوف توافق عليه .

ـ من هو ؟.

ـ محسن .. المهندس محسن !.

ـ أبوه رجل محترم .. وأمه سيدة فاضلة .. وعائلته كبيرة وسمعتهم جميعًا ممتازة .. هل هو تقدم

ـ نعم . ذهب إلى عمتى وخطبنى منها .. وأنا لم أقل لا أو نعم حتى أفاتحك فى ذلك .. وأنتَ تفاتح ماما .. لأنى لا أعرف كيف أكمل جملة واحدة فى أى حوار معها .

ـ هه مفاجأة يا ابنتى .

ـ ألم يكن زواج ابن خالتى مفاجأة يا بابا .. مفاجأة لى .. أمى أتفقت مع أختها مع ابن اختها .. وأنا لم أسمع ولم أعرف إلا يوم الخطبة .. هل هذا معقول ؟ ولكن هذا غير المعقول هو الذى حدث !

ـ معك حق يا ابنتى .. اتركى لى هذا الموضوع .

ـ وأنا فى انتظار رأيك .. ولن أخرج من غرفتى اليوم حتى أسمع رأى ماما .. وإذا لم توافق فسوف أترك البيت نهائيًا إلى بيت عمتى .. ومن بيت عمتى إلى الخارج .. أنا آسفة يا بابا .. لا تنس أننى الآن فى الثالثة والعشرين من عمرى .. لم أعد صغيرة .. ولست دميمة حتى أظل بلا زواج .. وأريد أن أؤكد لك يا بابا أننى أحبك وأحترمك .. وأحب أمى أيضًا واحترمها .. ولكن يجب أن يكون لى احترام فى البيت الذى أحب كل من فيه .. ويحبنى كل من فيه !

·· ودخلت فى مرحلة طويلة من الصمت فى البيت .. ولا كلمة معى .. إخوتى لا يكلموننى وأمى أيضًا .. لقد ابتلعت لسانها .. حتى نظراتها استطاعت أن تجعلها تتجه إلى أية ناحية أخرى ، إلا ناحيتى .. وحتى أبى هو الآخر لا يخرج من غرفته ولا يكلمنى .. إذن فهو لم يستطع أن يقنع أمى .. ولا يريد أن يصدمنى .. ولا تريد أمى أن تشتبك معى .. ولا تريدنى أن أترك البيت بسرعة .. فكأنها تريدنى أن

أبقى بعض الوقت فى البيت .. ولابد أنها مذهولة لهذه الصدمة .. فهى لم تتصور لحظة واحدة أننى تصرفت هذا من تلقاء نفسى دون أن يظهر على سلوكى أى شىء .. ولا تعرف متى اتفقت مع عمتى على كل ذلك . وإنما وضعتهم جميعًا أمام الأمر الواقع – والأمر هو أن أترك البيت .. والواقع هو أن أتزوج وأترك لهم البلد .. كل ذلك قد حدث دون إخطار لأمى بشىء !

حتى عمتى التى كانت تحدثنى كل يوم لم تعد تفعل . ولا أنا حاولت . ولكن ليس من الصعب عليها أن تدرك المصيبة التى أنا فيها .. ولكنها فى الوقت نفسه تعلم إننى سوف أخرج من هذه المحنة .. ويكون الخروج لصالحى .. فلا أحد يقف إلى جوار أمى . ولا يرى رأيها فى العنف معى .. ولا أحد أصبح يطيق نصائحها الغالية التى لا تنتهى .. والتى تكررها دون أن تمل أو تنسى شيئًا .. وشىء عجيب على قدرتها الهائلة فى أن تحكى الحكاية الواحدة ألف مرة بنفس الحماس كأنها ترويها لأول مرة .. فلا زهقت ولا تعبت ولا قرفت من هذا الذى تقوله .. برغم أنها فى كل مرة تجدنى أتثاءب وانشغل عنها .. أبدًا .. إنها ابتلعت كاسيت لايتوقف ولا ينتهى .. كاسيت ينقلب من تلقاء نفسه ويعيد ويزيد دون توقف ! حتى إذا لم أسمعها فإنها تذهب إلى غرفتها وتتكلم إلى الجدران والكراسى وتبكى وبصوت عال وتلطم .. حتى أصبحت نصائحها مملة وبلا معنى .. ولا يهم أن تقول وأن تبكى .. هى التى جعلت نفسها شبحًا لا يراه أحد ولا يسمعه .. ولا يحبه !

سنوات من القرف والزعيق الذى لا معنى له .. سنوات من النصائح والبهدلة .. لى أنا وحدى .. فى حين أنها لم تقل كلمة واحدة ، ولا تجرؤ ، لأى واحد من إخوتى .. السبب : إنهم رجال .. لا خوف عليهم .. أما أنا فالعفاريت تنتظرنى وراء الباب وفى التليفون .. وفى غرفتى إذا أخذت التليفون ورحت أكلم زميلة بصوت هامس .. فى موضوع تافه خاص .. آه إذا ضحكت .. مع أن إخوتى يعاكسون البنات من الشبابيك وتطلبهم البنات فى التليفون .. وعندهم صور وجوابات ويدخنون .. ولا كلمة من أبى ولا كلمة من أمى ..

إذن فلا أحد يريد أن يقول لى شيئًا .. لقد عرفت إجابتهم . أما إجابتى فمعروفة الآن .. وفى الليل جمعت ملابسى وكتبى ووضعت شنطتى أمام باب غرفتى بعد أن نام البيت كله .. وابتلعت حبة منومة .. لكى أصحو متأخرة بعض الوقت فترى أمى وأبى هذه الشنط ويكون ذلك هو قرارى النهائى .. وقد لاحظت أن باب غرفتى ينفتح ويغلق .. لابد أنها أمى تريد أن تتأكد من وجودى .. ولكن قرارى أصبح معروفًا . نهائيًا . حاسمًا . فلا تبق إلا كلمة أو كلمتان وينتهى الموضوع . فإن لم أجد أحدًا يسمعنى فسوف أكتب خطابًا كما تفعل البنات فى الأفلام .

ولكن حدث الذى لم أكن أتوقعه تمامًا صحوت من النوم ..وجاءنى أبى .. يقبلنى ويعانقنى كأنه أيقن أنى سوف أترك البيت .. وغلبتنى الدموع .. وأنا أقول له : والله لم أكن أريد ذلك .. ولكن أمى لا يمكن احتمالها .. يستحيل يا بابا ..

ولما رأيت الدموع فى عينى أبى .. كدت أقول له : إننى غيرت رأيى .. وأننى سوف أبقى .. ولكن أمسكت نفسى فأنا عاطفية مثل أبى .. ثم أن هذا القرار ليس منى وحدى .. فهناك شاب أحبنى وأحببته وهناك عمتى .

وقال لى أبى : كلهم فى انتظارك .

ـ كلهم ؟ من ؟.

هناك إخوتى جميعًا وعمتى .. وخالتى وأولادها .. وكلهم يعرفون أننى سوف أترك البيت .. وأننى قررت سرًا أن أتزوج بلا خطبة ولا كتب كتاب ولا زفاف .. وإنهم قد رأوا أن من حقى أن أفعل ما أشاء .. أنا حرة .. ولكن لا داعى لأن أبهدل أمى وأبى وأقاربى .. ولكنى أكدت لهم أننى لا مخطوبة ولا مكتوب كتابى .. وأننى سوف أحتفل بكل ذلك باحترام عظيم .. هذا قرارى .. وسوف أترك البلد .. هذا قرار من سيكون زوجى .. وقرار عمتى أيضاً لأنها سوف تنتقل معنا .. فلا حياة لها فى مصر بغيرى .

وكانت أمى أكثر الموجودين حزنًا وانهيارًا . وهى لا تنطق بكلمة واحدة .. فى حين كان الجميع يتساءلون . ولكن أكثرهم يلوم أمى على قسوتها التى لا معنى لها .. ولكن أمى لا ترى ذلك .. فعندها الكلمات المعروفة : إنها ضحت من أجلى .. وتعبت وتعذبت .. وأنها لا تريد إلا سعادتى .. وإنها لا تحب أن يتكلم الناس عنى كلمة واحدة .

ولم أكن اعرف أن واحدًا من إخوتى قد قرر أن يهاجر من مصر ولكن لأسباب أخرى .. اثنان يقرران الهجرة فى أسبوع واحد .. لا

أخى يعلم بهجرتى ، ولا أنا أدرى بهجرته .. حتى الطباخ الذى كان عندنا تركنا وهاجر هو الآخر .. ونحن بلا طباخ منذ شهور طويلة .. وأمى لم تعد قادرة على الطبخ وإدارة البيت وحدها .. وكدت أضعف أمام هذه الكارثة المزدوجة .. وكل الذى حاولته هو أن أؤكد لأمى : أننى لم أقرر الهجرة لأننى غاضبة منها .. ولكن لأنى لم أعد أطيق الحياة فى مصر .. وكثيرات فعلن ذلك . وكثيرون جدًا فعلوا وسوف يفعلون .. إننا جميعًا نبحث عن فرص أفضل .. وهذا حق كل إنسان .

طبعًا أمى مندهشة كيف حدث كل ذلك فى الدقائق الخمس بعد التاسعة .. فكل المصائب تحتشد فى هذه الدقائق .. ولا يخطر على بالها أن كل شىء ممكن فى أى وقت .. وقد أمكن .. وإن هذا الاتفاق مع المهندس محسن كان قبل زواجى التعس من ابن خالتى .. قبله وأثناءه وبعده .. فقد تزوجت ابن خالتى إرضاء لأمى .. ولكن كنت على يقين من أن زواجنا لن يطول .. وإنه لن يفهمنى .. ولأنه جاهل فهو مغرور ، ولأنه غنى فهو مدلل .. وليس أسهل من الطلاق من هذا النوع من الأزواج يكفى : احتقاره .. وهذا ما حدث .. فكان الطلاق سريعًا !.

* * *

التربية فى مصر خاطئة . فالحياة فى بيتنا عذاب وفى بلدنا عذاب أكبر .. والحياة بعيدًا عنها عذاب آخر .

عرفت بعد ذلك أن السكر أصاب أمى .. والذبحة أصابت

والدى .. غلطتى ؟ طبعًا لا .. تكوينها النفسى والجسمى والاجتماعى هو السبب ؟ مؤكد .. واختلافها عنى وعن جيلى وعن الذى أريد والذى أحب .. والذى أختار ليعذبنى بمزاجى ، والذى أرفضه ليعذبها هى بمزاجها .

ثم عدلت عن الهجرة وقررت أن أعيش فى الاسكندرية بعيدًا عن أمى .. بعيدًا عن السيدة التى ربتنى وعلمتنى وكانت حريصة جدًا على أن أظل طفلة طائشة جاهلة مهما تعلمت ومهما تقدمت بى السن .. إنها تريد أن تظل الأم ، وأنا أريد أن أكون أمًّا أنا أيضاً .. لا أن أظل ابنتها المنتظرة فى شوق لا ينتهى إلى نصائحها الغالية ، وأنا أتقبل بنشوة كل شتائمها الجارحة .. أمى مهذبة جدًا ، ولكنها عصبية جدًا .. وليست عندى أعصاب ولا وقت لكى أبارك إهاناتها اليومية .. دورها يجب أن ينتهى .. هى التى يجب أن تنهيه .. أما أنا فقد أنهيت دورها لأن لى دوراً اخر : زوجه وأمًّا وإنسانة من حقها أن تختار وأن تخطئ وأن تندم وأن تحب وأن تمتن لوالديها . بصراحة إننى أتعذب .. عذابى معها أضعاف أضعاف عذابى بعيدًا عنها .

الزواج أعظم تهريج !

إسم الدلع : توتو.. اسمى بالكامل : آمال .. ولا أحببت الاسم الأول ولا أريد الاسم الثانى . ما علينا . أنا سألت كل الذين حولى كيف تزوجن ؟ ما الأسباب التى أدت إلى الزواج وما هو الزواج ؟ ولماذا تستمر المرأة فى زواجها إذا كانت لا تحب الزوج ؟. ولماذا تحب الزوج إذا كان هو لا يحبها ؟.

أنا وجدت أن الزواج القائم على الحب ، هو أقصر الزيجات عمرًا .. وهو أفشل زواج . تجربتى هى أكبر دليل على ذلك ..

أحببت زوجى . وهو أحبنى أيضًا .. عمره ٢٣ سنة وأنا عمرى ٢١ سنة .. سن مناسبة لكل منا .. الدنيا صغيرة حولنا .. وبيتنا صغير.. وعندنا أمل أن الشقة تصبح أكبر.. والسيارة أفخم .. والأولاد أصح وأنجح .. عندنا أمل .. أملى فيه .. وأمله فىّ .. طبيعى لأننا فى حالة حب .. ورأينا أن الحب يكمل بالزواج .

.. إن الحلم يصبح حقيقة بالحياة معا .. فالزواج سوف يعطينى الحق فى أن أدخل وأخرج وأسهر.. وأتكلم واضحك وأهزر وأقول وأقول وأخالف أى إنسان فى الرأى .. فأنا متزوجة وزوجى يثق فى ..

انتهى .. هذه حريتى الكاملة ، وكنت محرومة من كل ذلك فى بيتنا .. فالزواج هو الحرية المحترمة .. وهو أيضا الأمان .. عندى شعور بعدم الخوف .. لا قلق على أى شىء .. فزوجى وأنا معه قادران على أن نحل أية مشكلة وأن نصل معا لأى هدف .. إن لم يكن اليوم فغدا وبعد غد .. ولسنا مستعجلين فنحن شباب وعمرنا الطويل أمامنا ..

وهو احترمنى وأنا أحترمه ..

وأسعد لحظات حياتى الزوجية كانت عندما ننام متجاورين فى السرير .. الدفء الذى يخرج من جسمه متعة ما بعدها متعة .. ولا أعرف كيف يتحول الكلام والهمس بسرعة هائلة إلى أن أذوب فيه ، ويذوب فىَّ .. هذه أسعد لحظات الحياة الزوجية .. أنا أقول إنها قدرته الفذة على اذابة الجليد وصهر الحديد .. وجعل الاثنين واحدا فى نشوة خارج الزمن . أنا اقول هكذا .. ولكن هو يرى أنها قدرتى أنا .. قدرته هو .. قدرتى أنا .. قدرتنا معا . أنه الحب ..

ومضى على زواجنا سنة ونصف .. شىء ما بدأ يتغير .. المسافة بيننا بدأت تتسع قليلاً .. لا هو أراد ذلك ولا أنا .. ولكن هناك مسافات ما .. أنا أحسها .. مع انى أجد نفس الشعور إذا تمددت إلى جواره وهو إلى جوارى عاريين .. زوجان طبعًا .. شابان .. مرة واحدة اندهشت للذى قال فقد حاول أن يلف ذراعه حولى .. وقد فعل ذلك ألوف المرات . فوجدته يقول : أنا متأسف !

متأسف ؟! على ماذا ؟ على أنه لمس كتفى .. متأسف ؟ كأننى

واحدة أخرى .. كأنه لم يقصد ذلك .. كيف لا يقصد ذلك .. وقد قصده وانتظرت مالا عدد له من المرات ؟.. ماذا جرى ؟. هل أصبح غريبًا عنى ؟. وأصبحت غريبة عنه ؟. هل هو قصد ذلك .. أو أنه لم يقصد ؟.. وكيف لا يقصد ذلك ؟.. وكيف يعتذر عن الذى يريد والذى أنتظر ؟ ومنذ متى ؟ وماذا جرى ؟ ولم أنم تلك الليلة .. وحاولت أن أسترجع كل الذى كان بيننا فى ذلك اليوم .. حاولت أن أجد شيئًا يدل على أنه تغير .. لم أجد تصرفًا واحدًا يدل على أنه ليس الشاب الذى أحببت والذى أسعدنى ، وعشت به وسوف أعيش أنا وأولادنا .. إنه حياتى وأملى .. حاولت فلم أجد .. فقررت أن أراقبه أكثر .. هل كان يقف أمام المرآة طويلاً .. أو انه ازداد اهتمامًا بنفسه أكثر مما يجب ؟.. هل لم يعد يهتم بالذى أرتديه ؟.. أبدًا .. إنه هو هو .. هل هو ينظر من البلكونة يمينًا وشمالاً أكثر مما يجب ؟.. هل ينظر فى مرآة السيارة ليرى من هى التى وراءنا وعصبية جدًا تريد أن تتقدمنا بسيارتها .. أبدًا .. هل أحضانه .. هل قبلاته .. هل الذوبان بين ذراعيه على صدرى على صدره ؟.. لا شىء تغير .. إذن فمن أين جاءت عبارة الاعتذار عن وضع يده على كتفى ؟.. هل معقول أن يكون قد سرح ؟.. هل يسرح وأنا إلى جواره .. فى حضنه ؟ إنه لم يفعل ذلك من قبل .. ألا يحتمل أن يكون قد تصور أن يده قد اصطدمت بأنفى .. أو بعينى ؟.. مجرد تصور .. ولما رحت أتذكر ما حدث لم أجد أن ذراعه اصطدمت بأنفى .. ربما كان ذلك شدة حساسية .. وأنه توهم أن يكون قد فعل ذلك .. إننى ألاحظ عليه أنه

كثير الاعتذار .. فإذا جلس على المقعد .. ودفعه إلى الأمام أكثر من اللازم فإنه يعتذر .. وإذا دفعه أقل من اللازم فإنه يعتذر ، وماما تسخر منه وتقول : إن أحمد يبدأ كل كلامه بالاعتذار .. فيقول : متأسف بسم الله الرحمن الرحيم .. متأسف شكرًا .. متأسف متأسف .. آه إذن هى عادة وأنا قد نسيت ذلك !

ولكن لماذا أنا شككت .. ما هى الأسباب ؟ هل هو الذى تغير ، أو أنا التى تغيرت ؟.. أنا بدأت أرى كل ما هو عادى ، على أنه ليس عاديًا .. هل أنا التى شعرت بالملل من حياتنا ؟.. أعتقد أننى أنا السبب .. فعلاً أنا السبب .. أمس قلت له : زهقنا .. لماذا لا تغير هذه الشقة ؟.. مع أن الشقة من اختيارى .. إنها فى عمارة والدتى .. وكانت عنده هو شقة أكبر وأحسن ، ولكن لأنها فى عمارة والدته فقد رفضتها فورًا .. ولكنها أجمل وأوسع وبحرية .. ولكن إحساسى بأن أمه موجودة تحتنا .. فهى سوف تعد علينا أنفاسنا .. وإننى لن أكون على حريتى ، وهو لن يكون .. ولكن اليوم أريد أن أغير الشقة .. وقلت له أسبابًا كثيرة تافهة .. وهو قد وافقنى .. ولكن السبب الحقيقى هو أننى زهقت .. إننى انظر إليه على أنه «روتينى» : صباح الخير يا حبيبتى .. إنت جميلة يا حبيبتى .. الحياة من غيرك كيف تكون .. الدنيا كلها هى حضنك يا حبيبتى .. الأولاد سوف يملأون المسافة التى بيننا ، وسوف يسعدوننا ما رأيك ؟.. ليس الآن ـ أنا أقول له .. وهو يقول : ولا أى وقت .. أكبر غلطة أن يكون لنا عيال ونحن مانزال عيالاً .. تصورى نفسك عيلة تحمل على صدرها عيلة أخرى .. وكنت سعيدة

بمثل هذه الكلمات الرقيقة .. ولكن شيئًا ما حدث فى أذنى .. أو شيئًا فى نفسى جعل أذنى لا تحتمل مثل هذه الكلمات .. وشيئًا ما فى أصابعى جعلنى أجده خشنًا وكنت أنزلق على نعومته وأسقط وأسقط فى بئر عميقة .. آمنة مطمئنة لأنه هو الذى سوف يمد حباله الذهبية ويخرجنى من هذه البئر ويرمينى عليه حتى الصباح .. حتى كل صباح ..

سألت صديقتى سلوى التى تزوجت قبلى بخمس سنوات وعندها ولد والثانى فى الطريق : قولى لى .. ألم تزهقى من الزواج ؟.

ـ من زمان !.

ـ وبعدين ؟.

ـ وبعدين ؟ ولا حاجة .. أنا الآن فى حالة «البعدين» .. طبيعى أن يفتر الحب .. وتخمد النار ، وتجف البشرة .. وكلمة الحب تتنشقين عليها .. هذه هى طبيعة العلاقات الإنسانية ..

ـ ولكن لا يبدو عليك شىء من ذلك !

ـ كيف يبدو ؟. إنها مشاعر فى أعماقى .. أنا لا أزال أحب زوجى وهو أيضًا .. ولكن ليس من المعقول أن يقفز إلى أحضانى بمجرد فتح الباب .. كان يحدث ذلك أمام باب الشقة .. ثم وراء باب الشقة .. والآن وراء باب غرفة النوم .. إنها نفس المشاعر والتى تراجعت جغرافياً .. ثم إنها أصبحت أقصر .. وأقل حرارة .. ولكنها موجودة .. ونحن شباب كنا نأكل كل شىء وهو والع نار .. وبعد ذلك نفضل الأطعمة الدافئة .. لكن لامانع أن نأكلها باردة .. أحياناً نجلس إلى السفرة وأحياناً نخطف السندوتش .. المهم أن نأكل وأن نجد متعة فى

ذلك .. لا يهم بمرور الوقت كمية الطعام ولا مكان الطعام .. ولكن أنا موجودة وهو موجود .. والبيت كما هو ويجب أن يبقى ..

ـ أن يبقى بأى ثمن .

ـ نعم بأى ثمن ..

ـ لا كرامة .

ـ ومن الذى ذكر كلمة الكرامة .. الكرامة موجودة ولكن العقل يجب أن يتغلب على كل الاندفاعات والتشنجات .. يجب أن يعرف أن الحب ليس طويل العمر .. إنه طفل طائش جميل لذيذ .. ولكن عمره قصير .. إنه لا يموت .. وإنما يبعث لنا بأخوة له .. تشبهه تمامًا .. ولكن فى ملابس أخرى ولهم كلام مختلف .. وكلها أشكال وألوان ودرجات وطبقات من الحب .. صدقينى .. أنا تزوجت عن جنون .. كل الظروف ضدى .. واعتبرنا زواجنا أعظم انتصاراتنا .. وآخر القرارات الحاسمة التى اتخذناها .. وبعدها تغير مسار حياتنا .. إلخ .

وأحسست أن صديقتى هذه كذابة .. وهى عادة كذابة .. وفى هذه الحالة لا تريد أن تصارحنى بأنها فشلت فشلاً ذريعًا .. وقد سمعت عن ذلك كثيرًا . وأن زواجها لم يكن حبًا وإنما كان زواج مصلحة .. هى تعيش وحدها .. ومرتبها صغير . ولا تستطيع أن تعيش فى بيت واحد مع إخوتها لكى تتحكم فيها واحدة من زوجاتهم .. وهى قد تعبت من الخلافات المستمرة .. ومن محاولاتها اليائسة أن تكون طرفًا يصلح الأخ والزوجة .. والزوجة عادة لا تحب أن تكون أخت زوجها

معها فى البيت .. حتى لو كانت ملاكًا ، ولم يكد هذا الزوج يتقدم لها ، وكان زميلاً فى الشغل وجارًا حتى أمسكت فيه بأسنانها .. ونصبت حوله شبكة من خبث الأنثى وواقعية المرأة العاملة .. وكان الزواج نوعًا من الأمان الاقتصادى الذى تحول إلى زمالة وصداقة وشركة .. ولا حب ولا غيره !

سألت « دلال .. » وهى عاقلة وأثق فيها .. ويعجبنى هذا الهدوء الشامل فى بيتها .. حتى يخيل إلى من يزورها إنها وزوجها لا يتكلمان وإنما كل واحد يجلس إلى مكتب ويكتب للآخر خطاباً غرامياً .. وحتى إذا تخانقا فانهما يخفيان الغضب بأن يدخل كل واحد منهما غرفة ويسجل على كاسيت رأيه فى الآخر .. ثم يجلسا معًا ويسمع كل منهما ما يقوله الآخر ويضحكا بعد ذلك .. وتنتهى مشاكلها أولاً بأول .. قلت لها : وأنت يا دلال ؟.

قالت : زواجنا عن حب .. أنتِ تعرفين .. كان قد تقدم لى غيره كثيرون .. بعضهم أحسن منه .. وأغنى وألطف .. ولكن أحببته .. وهو أحبنى .. وكان قد خطب إحدى قريباته .. ولسبب ما اختلفا .. وابتعدا .. وكل واحد راح لحاله .. هى تزوجت وبعدها هو تزوج ..

ـ هل انتظرها حتى تتزوج ؟.

ـ لا .. لم يكن قد تم تعيينه وقد اتفقنا على الزواج بعد التعيين ..

ـ عن حب ؟

ـ نعم . حب الذى هو حب .

ـ أحضان ليلاً ونهارًا وقبلات .. ويا روحى ويا قلبى ويا حبيبى

ومااليش فى الدنيا غيرك .. فى عرضك أوعى تسيبينى أموت .. وأنتِ أمى وأنتِ بنتى وأنتِ أختى .

ـ بالضبط .

ـ ولا يزال يقول نفس الكلام .

ـ ولماذا يقول نفس الكلام .. ليس عندنا وقت .. هو مشغول وأنا أيضًا .

ـ لا أفهم .

ـ ونحن صغار كنا نفرح بالفلوس الفكة التى يجب أن نحملها معنا فى كل مكان .. ونحب الفلوس أن يكون لها عدد ووزن وثقل .. وأن يكون لها صوت .. الفلوس لعبة مثل أية لعبة .. وكل شىء فى حياة الأطفال لعب .. وكل شىء يضعه الطفل فى فمه .. ولكن عندما نكبر نفضل الفلوس الورق .. لأن لنا جيوبًا صغيرة .. ولأن الفلوس الورق تساوى الفلوس الفكة بالضبط .. وكنا نحب أن نضع الفلوس فى أدراجنا لنراها من حين إلى حين .. ولكن عندما كبرنا عرفنا البنوك .. وعرفنا الشيكات .. وعرفنا الودائع واستثمار الودائع .. وكذلك الحب وديعة » هذه الوديعة لها أرباح .. إنها فلوس ولكن الفلوس لها دور آخر .. إنها مصدر الأمان .. ثم أن الفلوس مثلنا تتطاير .. بعيدًا عنا وفى صمت .. ونحن على يقين من ذلك .. هذه هى حالنا !.

وأنا احب دلال هذه وأستريح إليها وأعجب بها طول عمرى .. ولكن لا أحب نظرتها الفلسفية العاقلة زيادة عن اللزوم .. لا أحب التى تضع ساقًا على ساق وتشعرنى دائمًا أننى تلميذة فى مدرستها ..

وأننى لم أتخرج ولن أتخرج أبدًا .. لكى تبقى هى التى تقول وأنا التى أضع وجهى فى الأرض لأننى غلطانة دائمًا !.

ـ وأنت يا زيزى .. ما رأيك فى زواجك الآن .. هو نفس رأيك فى الشهر الأول والعام الأول .

ـ ماذا تريدين بالضبط .

ـ لا أريد أى شىء .. فقط أريد أن أعرف إن كان هذا الذى أشعر به شيئًا طبيعيًا أو انا شاذة .

ـ وما الذى تشعرين به .

ـ زهقت .. زهقانة .. ولا يوجد عندى سبب واحد .. أحب زوجتى هو يحبنى .. وليست فى حياتنا مشاكل .. وكل الخلافات التى بيننا على أشياء تافهة .. تنتهى بأن نضحك نحن الأثنين من سخافتنا .

ـ عظيم . احمدى ربنا على هذه النعمة .. ففى حياة كل الناس هذه السخافات .. لكن أنتِ وزوجك عندكما القدرة على تحويل الخلافات الصغيرة إلى نكت تضحكان عليها .. نعمة كبرى .. يجب أن تتمسكا بها .. فسوف يأتى الوقت الذى تصبح فيه المشاكل الصغيرة هى المشاكل الكبيرة .. حاولى على قدر استطاعتك أن تطيلى هذه المرحلة . وياليت تكون حياتكما هكذا إلى الأبد .. كان المرحوم والدى أسعد زوج فى الدنيا وأمى أيضًا . سألته مرة : ما هو سر هذه السعادة يا بابا .. قال لى : ولا حاجة . عندما أغلط أقول لأمك : أنا حمار .. وهى تقول : أنا بقرة .. وهو نوع من الاعتذار مع الإهانة الذاتية ..

ولولا الحمير والأبقار بيننا ما استطعنا أن نجعل هذا البيت عامرًا بأولادنا حتى اليوم .

ـ ما هذا التهريج .. كلميني جد ؟.

ـ والله هذا جد الجد .

ـ إنتِ مهزجة زى أمك تمامًا .

ـ ومن قال إن الحياة الزوجية ليست تهريجًا . لابد أن يكون فيها تهريج .. هل تتصورين أن رجلاً لا يعرفك يتزوج ويصر ـ رغم جهله بك ، وجهلك به ـ على أن يظل زواجًا ناجحًا ، هل هذا عقل ؟.. هل هذا جد ؟.. إنه قمة التهريج .. والشطارة هى أن نحول التهريج إلى جد .. هل تتصورين واحدًا لا يعرف قيادة السيارة ثم يجلس إلى عجلة القيادة ويؤكد لك أنه سوف يصل بك إلى البيت دون أن يصطدم بأحد ؟.. هل هذا رجل جاد ؟. إنه أكبر مهرج .. فكل معلوماته عن أجهزة السيارة وقيادتها قد قرأها فى الكتب ورآها فى السينما .. ولكنك أمام الرجل الذى تحتاجين إليه ، والسيارة التى تريدينها لك ، ورغبتك فى الدخول إلى البيت بدلاً من السير فى الشارع .. وركوب الأتوبيس .. وشعورك بالسعادة بأنك الفتاة رقم واحد فى حياة هذا الرجل .. كل ذلك هو الذى يجعلك لا تشعرين بخطورة السيارة والطريق .. ثم هذا الرجل قد وصل بك إلى البيت سالمة .. أليس هذا تهريجًا ؟ هل تريدين أن تقولى لى أنك تعلمت فن الحياة الزوجية قبل الزواج ؟ وهل تعلم هو كيف يكون زوجًا مسئولاً وأبًا بعد ذلك ؟ أبدًا لا أنت ولا هو.. أنت سمعت وقرأت .. فقط هذه كل المعلومات التى

لديك قبل أن تتزوجى .. ومع ذلك تتزوج ملايين النساء والرجال كل يوم .. دون خبرة .. دون تجربة .. ومن الممكن أن يكون الزواج الأول فاشلاً ، بسبب جهل الاثنين . ولكن حدث كثيرًا أن أستمر الزواج الأول حتى الموت .. ولو أننا جميعًا سلمنا بأن الرجل يجب أن تكون له تجربة والمرأة أيضًا .. لكان معنى ذلك أن ترفض المرأة أن تكون الزوجة الأولى .. لأنها زوجة فاشلة .. أو لكان معنى ذلك ـ وهو ما يحدث فى أوروبا وأمريكا ـ أن يعيش الرجل والمرأة معًا سنوات اختبار .. فإن وجدا أن هذه العلاقة ناجحة ، فإنهما يتزوجان .. ولكن فى زواجنا نحن فإننا نضع الأمل فوق كل شىء .. الأمل فى أن نعرف .. الأمل فى أن ننجح حتى التجربة .. الأمل فى التضحية .. والصبر والاستمرار .. والتسامح .. وقد نجحت ملايين الزوجات والأزواج فى ألوف السنين .

ـ فعلاً أنتِ مهرجة .. وأنتِ واحدة ليس لك قلب . وأنا لا أنسى ليلة زفافك وأنا أداعبك .. وأقول لك .. كيف يمكن أن يبوسك .. إن أنفه كبير ثم إنه بلا شفايف .. أريد أن أعرف منك غدًا .. وكان رأيك أن الأغنية تقول : قالوا السمار أحلى ولا البياض .. أحلى .. قلت : اللى شارينى جوا العيون يحلى .. وده اللى شارينى .. فإن جاء واحد ودفع أغلى ، فسوف أتركه .. هاها .. يوم زفافك .. ولم أنس هذه العبارة .. وسألت نفسى .. هل لو تزوجت واحدًا آخر .. هل ستدعيننى إلى زفافك .. وهل أسمع منك أغنية أخرى فى زفاف العريس الثالث .. أغنية : أحب اثنين سوا ـ مثلاً ..

قالت لى : ولكن الآن زوجى هذا عندى بالدنيا كلها .. أموت لو

أنا سبته أو هو سابنى .. خلاص .. حبى الأول والأخير .. وزواجى الوحيد .. عندنا أولاد .. هم أجمل ما فى الدنيا وأروع ما فى الزواج .. عقبالك !.

ولكن لا أحب التى تقوم بتبسيط كل شىء لدرجة كأنه لا شىء .. ولا مشكلة ولا أزمة .. ولا مصيبة .. ولا أظن أنها تفعل ذلك .. أننى ألاحظ أنها ليست فى صحة جيدة .. لابد إنها تعبانة مع زوجها .. وهو رجل سكير لا يفيق من الشراب .. ثم إنه يعتمد على دخلها أكثر من اعتماده على مرتبه .. وألاحظ أنها أيضًا لم تغير سيارتها القديمة .. ولو كانت حالته المادية كويسة لتغيرت السيارة ولظهرت فى أصابعها خواتم أكبر وأغلى .. إنها هى الأخرى تتفنن فى اخفاء الحقيقة .. فلا أحد يريد أن تظهر خيبته أمام الناس !.

* * *

ـ وأنتِ يا هناء .. كيف حالك ؟

ـ وهل قمت بعمل استفتاء بين كل أفراد الشلة . ثم جاء دورى ؟.

ـ نعم بالضبط .

ـ وأنتِ مالك ؟.

ـ زهقت .

ـ جدًا ؟.

ـ من حياتك ولا من زوجك ولا من نفسك .. ولا من الدنيا كلها .

ـ الزهقان يبدأ عادة بالواحدة منا .. عندما أكون قرفانة .. الدنيا كلها تبقى قرفانة .. وعندما أكون سعيدة . الدنيا كلها تضحك .. أضحك يضحك لك العالم .. واقرف يتف عليك العالم ـ كلام مضبوط .

ـ وأنتِ قرفانة من متى ؟.

ـ من زمان .

ـ بعد كم شهر من الزواج ؟.

ـ من قبل الزواج .

ـ قرفانة قبل الزواج ورغم ذلك تزوجت ليزداد قرفك وزهقك .

ـ آه طبعاً .

ـ لا أفهم .

ـ يجب أن تفهمى أن الحياة من غير زواج صعبة . المرأة يجب أن تتزوج .. عن حب .. عن مصلحة .. زواج مؤقت .. لابد أن تتزوج .

ـ مغامرة ؟.

ـ طبعًا .. الزواج أكبر مغامرة .. يا نفعت ياما نفعتش .

ـ كده ؟.

ـ آه ياختى كده .. أمال أنتِ فاكره الزواج إيه .. جنة النعيم .. ورضوان واقف على بابك .. يقول لك : شبيك لبيك عبدك بين أيديك.. كان غيرك أشطر .

ـ ولكن أنا تزوجت عن حب .

ـ وأنا وحياتك .

ـ لا أفهم .

ـ أنتِ عندما كنت وحدك ومن غير زواج .. كل يوم عندما تنهضين من النوم هل تجدين نفسك فى غاية السعادة ؟ أبدًا .. دائمًا يوم كده ويوم كده .. مع أن أحدًا لم يكن يشاركك سريرك وأنفاسك ويقتسم الدنيا معك .. فهل من المعقول بعد أن يدخل واحد حياتك ، تظلين كما أنتِ .. طبعًا لا .. أنا قبلْ الزواج اكتشفت بعض الأكاذيب .. ولكن وجدت أنها أكاذيب بيضاء .. قال عن دخله كذا .. وفجأة قال لى : إنه ليس كذا .. ولكن بعد أن أحببته أيقنت أنه أراد أن يرضيني .. أراد أن يبدو كبيرًا أمامى .. كذب علىّ .. ولكنها كذبة معقولة .. قال لى : إنه لا يساعد والدته .. وأن والدته ليست فى حاجة إليه .. ثم صارحنى بأن لابد أن يساعد والدته .. تضايقت .. ولكن احترمت الوفاء والعطف على الأم .. والرجل الذى يحب أمه ، سوف يحب زوجته وسوف يحب أولاده .. وقال لى إنه سوف يعمل بعد الظهر لكى يوفر لنا مالاً أكثر.. وصارحنى بأن لم يجد هذا العمل الإضافى بعد .. تضايقت .. وقلت لنفسى : ياترى ما الأشياء الأخرى التى أخفاها عنى .. لدرجة أننى انفعلت واندفعت وقلت له : متى ستصارحنى بمسكن زوجتك الأولى وأولادها .. وضحك وقال لى : يا سلام على ذكائك .. ومادام أنتِ فتحت هذا الموضوع .. فهذا عنوان زوجتى .. وأخرج ورقة وقلمًا وكتب عنوان شقتنا .. وضحكنا .. ولكن لا أخفى عنك أننى تضايقت .. وتضايقت أكثر عندما وجدت الشقة ليست كما كنت أتمنى .. أو على الأقل كما

حدثنى .. إنه قادر على إصلاح العيوب وسد الفراغ وتعديل الخلل .. وهذه حياتنا لا أنا ليلى ولا هو قيس .. ولكن زوجان يحاولان بعض الوقت أن يتذكرا ما الذى كان يفعله قيس وليلى .. وأنت ؟.

ـ بصراحة أريد فى كل مرة أرى زوجى أنا أصرخ بأعلى صوتى وأقول له : إننى أخونك منذ اللحظة الأولى لزواجنا .. وليكن بعد ذلك ما يكون .

ـ وهل حدث ذلك ؟.

ـ أبدًا .. ولم أفكر لحظة فى ذلك .

ـ إذن فلماذا ؟.

ـ أريده أن يطلقنى .

ـ ولماذا لا تطلبين منه أن تذهبى لأمك فى أجازة .. صارحيه .. إننى أفعل مع زوجى ذلك .. أقول أنا زهقت وأنت ؟ فيقول : وأنا زهقت .. عندك حل ؟ يقول : أيوه .. أتركينى كام يوم وروحى لأمك .. وحياتك هوه يوم واحد وأجدنى فى أحضانه .. إننى لا أحكى لأحد هذا الجنون .. ولكن هذا هو الجنون الذى نعالج به العقل .. صدقينى .

ـ يعنى هذا رأيك .

ـ أيوه . جربى .

ـ ... ...

حائرات : لماذا ؟
بائرات : لماذا ؟!

ليس صحيحًا أننا جيل لا يتوقف عن الشكوى والبكاء . وإنه لا يعجبنا العجب ولا الصيام فى رجب وشعبان ورمضان .. وأنا لا أشكو ولكن سوف أعرض حالتى ثم أسألك ما الذى يمكن عمله .. أو حتى ما الذى يمكننى أن أقوله ..

أنا اسمى : ت ..

وليست لى أية ميزة خاصة .. فتاة مصرية مثقفة .. سمراء متوسطة الطول واسعة العينين .. سوداء الشعر .. لست جميلة .. ولكن دمى خفيف .. ولم يحدث أن رآنى أحد دون أن ينظر إلىّ من تحت لتحت .. فإذا نظرت ورائى لأن منديلى قد وقع منى فإننى أرى الشبان ينظرون ورائى ..

وعلى فكرة إننى أتعمد إسقاط المنديل لكى أعرف إن كان أحد ينظر ورائى .. كلهم يفعلون .. فهم يريدون أن ينظروا دون أن تلتقى عيوننا .. أو إنهم بعد أن أعجبهم وجهى يريدون أن يتأكدوا من الوجه الآخر ..

وفى صوتى «بحة» تغيظ البنات فهم يقولون إنها «بحة» جنسية ..

أو أنني أتكلم كأنني ما أزال نائمة .. أو .. أو .. إلى آخر الكلام الذى تقوله البنات للبنات فى غياب الأمهات .

.. طبعًا مفهوم كلامى .. فأنا أعجب الشبان وأغيظ البنات .. ولكن أنا واقفة على السلم ، لا رآنى أحد تحت ، ولا رآنى أحد فوق . لماذا ؟.

لأن عندى مشكلة . ومشكلتى هى إنى لا أعرف بالضبط ما الذى يعجب الناس .. ولا أعرف كم عدد الناس الذين يجب أن أعجبهم .. هل هم : أمى وإخوتى وجيراننا وزملائى فى المدرسة والجامعة ـ فأنا لم أكمل تعليمى . قالوا لى : كفاية كده ؟ ولم يكن لى رأى .. وإنما رأيى أخفيه فى دموعى .. وما أقسى أنيس منصور الذى يقول إن المرأة لا تبكى .. ولا دموعها دليل على إنها حزينة .. وإنما الدموع هى العيون عندما تعطس .. وكثرة الدموع .. هى دليل على نشاط الغدد الدمعية فقط .. كأن المرأة حيوان لا يحق له أن يتألم ـ الله يسامحه !.

أمى : سيدة طيبة من بتوع زمان . والبنت يجب أن تتزوج بأسرع وقت .. أول واحد يتقدم لها ، وهو عادة أحسن واحد .. ولا يصح أن تنتظر البنت .. فأول بختها هو أحسن بختها .. هى فعلت ذلك وأختها وأمها وخالتها وعمتها .. فأول واحد هو الذى تختاره الأم ، وثانى واحد هو الذى يختاره الأب ، وثالث واحد هو الذى تختاره البنت نفسها . شىء عجيب لقد تقدم لى ثلاثة فى يوم واحد . مجرد صدفة .. أول واحد هو الذى تقدم لى آخر واحد .. فقد اقترحت خالتى أن أتزوج شابًا قريبًا لزوجها .. وتحدد موعده يوم الثلاثاء .. وعمى قدم لنا

واحدًا بعد ذلك وحدد هو موعدًا يوم الاثنين ـ أى قبلها بيوم .. ووالدى اختار ابن زميل له فى وزارة الزراعة .. وتقدم لى يوم الأحد . وكانت معه والدته وثلاث بنات أخواته .. من ألطف وأظرف وأجمل البنات فهو الابن الوحيد .. وسبقتهم الورود والحلوى وزجاجات العطور . ولأن هذه الأسرة عاشت فى أسبانيا فقد دخلوا بيتنا ومعهم عازف جيتار لطيف .. وظل يعزف ونحن نتحدث .. أو نحن لا نعرف كيف نتحدث .. وقد أصابنا الذهول من هذا الغزو الموسيقى «الحلو» والمعطر أيضًا .

وخرجوا وأنا لا أعرف بالضبط حقيقة شعورى .. شىء جديد .. البنات بسرعة أصبحن صديقات .. وقد أعجبتنى الكبرى . فهى التى جلست معى طول الوقت .. وهى التى طلبت منى أن نتكلم على انفراد .. وانسجمت معها فطلبت منى أن أعيد رسم شفايفى .. فالشفة العليا من لون والسفلى من لون آخر .. وهى التى طلبت منى أن أنزل خصلة من الشعر على جبهتى ، لأن جبهتى عريضة . ونظرت إلى نفسى فى المرآة ، فوجدت أن هذا التعديل البسيط جعلنى أكثر جاذبية .. وبسرعة أصبحت صديقة لها .. فمال لها قلبى .. وكان قلبها مفتوحًا . ودخلت قلبى نهائيًا واستقرت فيه عندما قالت لى : أوعى تتجوزى واحدًا لأنه فرش لك الأرض وردًا ، أو أغرقك فى العطور .. أوعى .. أوعى تتهوشى .. لأن الورد سوف يذبل ، والعطور سوف تطير ، والموسيقى سوف تصبح صدى .. وتنفردين أنتِ بالرجل .. أنتِ وحدك معه وحده .. أوعى !.

لقد دخلت قلبى من جوه .. لم تقل لى واحدة مثل هذا الكلام . لم أسمع . وفعلاً لم يعجبنى شكل العريس .. لم يعجبنى أنه إذا جلس ضم ساقيه ، كما تفعل البنات .. لم يعجبنى أن وجهه لامع وأظافره وجزمته .. لا أعرف بالضبط ما الذى ضايقنى فى كل ذلك .. هل الرجل لا يصح أن يكون حذاؤه لامعًا ؟ أبدًا أنا أحب الرجل الذى يبدو نظيفًا أنيقًا . ولكن لا أحب الرجل الذى يكون نظيفًا فقط .. الذى يؤكد طول الوقت أن عينيه تلمعان وأسنانه .. ثم لا يقول شيئًا .. لا أحب الرجل الذى هو ابن أمه ـ أيوه .. هذا هو المعنى الذى أردت أن أقوله .. فأمه هى التى تتكلم . وكلما حاول أن يتكلم تلاحقه أمه وتقول له : اسكت أنتَ يا وحيد !

ويسكت وحيد ولا يعترض . ولا يبدو عليه الاستنكار .. أو لماذا حاول أن يقولَ شيئًا ، فإن أمه تقول : يا أخويا .. وهوه أنت عارف حاجة .. من إمتى تعرف هذه الأشياء .. والنبى تسكت أنت !.

ويسكت هو ـ إنه لم يعجبنى من أول خمس دقائق !

ولمْ تفهم أمى ولا اقتنع أبى بوجهة نظرى . وعندما جلس أبى وأمى معاً .. لابد أن يكون قد دار بينهما حوار طويل . ولابد أنهما قد وصلا إلى قرار : إن هذه البنت تطفش كل العرسان .. وبعد ذلك تضع الوالدين والأسرة أمام الأمر الواقع . والحقيقة لا أحد فى حياتى .. وكيف يكون أى أحد .. فرجلى على رجل أمى .. ولا يبقى إلا أن تدخل معى الحمام .. فإذا نظرت إلى النافذة وطال وقوفى ، جاءت أمى تتسحب ورائى وتسألنى : فيه إيه ؟

ـ ولا حاجة يا ماما ..

وإذا تكلمت فى التليفون وضحكت أو انخفض صوتى ، جاءت أمى بسرعة ويدهشنى ذلك .. فهى كثيرًا ما تشكو من أن أذنيها توجعانها وإنها لاتسمع .. فكيف تسمع دبة النملة وتقول بعد ذلك إنها سمعتنى أقول : مش دلوقت .. مش لوحدى .. بكره .. بعدين .. بعدين !

ومهما حاولت أن أقول لها إنها واحدة صاحبتى ، فإنها لا تصدقنى .. وهى لا تتركنى عند الخياطة .. ولا أعرف لماذا تتصور أن الخياطة من الممكن أن تكون واسطة بينى وبين واحد من الشباب .. ولا تتركنى لحظة واحدة ، حتى وهى مريضة ، عند طبيب الأسنان .. شىء عجيب .. وفى بعض الأحيان أجدها إلى جوارى فى السرير .. وتقول أمى : إنها سمعتنى أتكلم بصوت مرتفع أثناء النوم .. ثم تسألنى : من هو هشام ؟.

ـ هشام ؟ لا أعرف أحدًا بهذا الاسم .. لماذا ؟.

ـ لأنك تنادين عليه وأنتِ نائمة .

ـ أنا ؟!.

ـ مش عارفة اسمه هشام أو حسام .. أو همام ..

ـ لا أعرف أحدًا بهذه الأسماء ..

وسألت أنا إحدى صديقاتى التى نامت إلى جوارى شهورًا إن كنت أتكلم أثناء النوم . فقالت لى ـ أبدًا .. كثيرًا ما نمت أنت قبلى وظللت ساهرة أقرأ .. أبدًا لم أسمعك تتكلمين وأنتِ نائمة .. بل أنتِ نومك

هادئ جدًا .. لا تتحركين .. حتى صوت تنفسك هادئ جدًا .. حتى يخيل لمن ينام إلى جوارك أنك مت !.

* * *

وفى الحمام تدخل معى «أم نعيمة» .. الدادة التى جلست أنا على حجرها ونمت على صدرها سنين طويلة .. وفى البانيو أسألها : قولى لى يا أم نعيمة أعمل إيه .

ـ ولا حاجة ياست هانم .. سوف يجىء ابن الحلال ..

ـ يا أم نعيمة .. لماذا تعلمنا ؟.. لماذا نتفرج على التليفزيون ؟.. لماذا نقرأ عن قصص الحب والطلاق والخيانة ؟.. كل هذا من أجل أن نتعلم أن نتعظ .. أن نعرف ماذا يجرى فى الدنيا .. لماذا يا أم نعيمة إذا خرجنا نشترى جزمة . فإننا نلف فى كل الشوارع .. مع أن الذى سوف نشتريه جزمة .. ضمن جزم أخرى فى البيت .. جزمة نلبسها وندوس بها على الأرض .. وإذا تآكلت أو انكسر كعبها ، نرميها .. كم مرة ياأم نعيمة تخانقت معك ماما .. وأعادتك لأن الليمون هو بضع قطرات ذابل جاف .. مع أن الذى سوف نأخذه من الليمون هو بضع قطرات ثم نرميه فى الزبالة .. كم مرة أعادتك للجزار لأن العظم كثير والدهن كثير واللحم قليل .. فهل الزوج أقل أهمية من الليمون .. هل أنا أقل أهمية من الجزمة ..

وتبكى أم نعيمة .. وأبكى أنا أيضاً .. لا أم نعيمة فهمت ، ولا أنا استرحت .. وفى كل مرة تدخل معى الحمام تدور حولى وتقول اللهم صلى

على النبى .. إيه الجمال والكمال ده .. ياترى مين صاحب النضيب .. اللهم صلى على النبى .. قوام إيه .. وحلاوة إيه .. الشعر والوجه والصدر والساقين .. يابخت صاحب النصيب .. صلى على النبى .. والنبى ومن نبا النبى .. الميه تنزل من جسمك عسل أبيض .. ربنا يحرسك من العين .. ويصون جمالك ويحمى كمالك !.

وغير ذلك من الكلمات التى هى أغنيات فى زفة .. أو هى زفة بلا أغنيات .. أو هى زفة بلا زواج .. ولكن أم نعيمة هى أمى الحقيقية .. والقرد فى عين امه : غزال والغزال فى عين أمه : عروسة جمال وكمال مثلى أنا ..

* * *

أختى الكبرى فى المنصورة ذهبت إليها .. وقلت لها : عاوزه أكلمك ..

- قوى يا أختى قوى ..
- عاوزك تفضى نفسك نصف ساعة بس ..
- ساعة .. ساعتين زى ما أنتِ عايزة يا حبيبتى ..
- مصيرى كله يتوقف على رأيك .
- تحت أمرك يا حبيبتى .. ربنا يهديك ويريح بالك ..
- متى ؟.
- دلوقت ..
- وأولادك ؟.

ـ اقفلى عليهم الأوضة ..

ـ تعالى نقعد فى جزيرة الورد ..

ـ وحدى ؟.

ـ أنا معك !.

ـ يا خبر ده كان جوزى يدبحنى .. ده راجل موسوس .. وأنا مش ناقصة ..

ـ طيب تعالى نزور «دودو» ونطلب منها أن تتركنا وحدنا .

ـ دودو مين ؟ اللى فوقنا ..

ـ دى ست بطالة .. جوزى بيقول كده ..

ـ بطالة ؟!.

ـ عملت لك إيه ؟.

ـ عملت لى ؟ ولا حاجة .. لكن هو بيقول كده ..

ـ طبب عملت له هوه إيه ؟.

ـ أنا عارفة .. آهو قال كده !.

ـ وأنتِ يا متعلمة يا خريجة كلية العلوم ليس لك رأى .. جوزك بقول . يبقى مافيش كلام تانى .. دى ست جميلة وغنية ومحترمة .. لكن جوزك بيغير من جوزها .. بيحقد عليه .. لأنه زميله فى الشغل وأحسن منه ..

ـ أحسن منه ؟ فى إيه .. فشر ! أنتِ اللى عينيك منه ..

ـ أنا ؟ عينى من واحد فى سن والدى .. أنا عمرى ما شفته غير مرة واحدة .. مراته هى اللى محترمة .. ومثقفة وشياكة ..

ـ مش فاهمة أنت عاوزة تطلعى لها ليه .. هنا عيبه إيه ؟.

ـ هنا مالوش عيب .. لكن الأولاد عاملين دوشة .. وأنتِ لن يكون عقلك معى ..

ـ وأنتِ عاوزه عقلى تعملى به إيه .. أنا عارفة أنتِ جايه لى ليه .. ماما قالت لى .. إنك بتحبي واحد اسمه هشام .. ولا حسام .. وعلشان كده أنتِ رافضة أى واحد .. وأنا رأيى بصراحة .. إنك حتبورى .. وتصبحى زى بيت الوقف .. وأنا بصراحة كمان مش فاهمة أنتِ منفوخة على إيه .. لا بياض ولا جمال ولا فلوس .. إحمدى ربنا ..

* * *

وفى التليفون قلت لصاحبتى سوسن : سوسو .. أنا جايه لك دلوقت .. ممكن ؟.

قالت سوسن : أى وقت ..

ـ عاوز أقعد معاك لوحدنا .. ممكن .. شكرًا يا سوسن .. آه .. مسافة السكة ..

وطبعًا كانت أمى إلى جوارى وسألتنى : جايه لها يعنى إيه يا بت ؟.

ـ زى ما سمعت يا ماما ..

ـ أتجننت ؟!.

ـ ليه ؟.

ـ كيف تنزلين من غير إذن .. لا أذنى ولا اذن أبيك ..

ـ أنا حرة يا ماما ..

ودخلت حجرتى وغيرت ملابسى .. وسويت شعرى بسرعة .. ومازالت أمى جالسة.. تستعد لأداء الدور التمثيلى التقليدى .. تدوخ .. ولا أعرف كيف يظهر العرق على وجهها .. وكيف يصبح لونها أصفر بسرعة . وتقول : آه.. قلبى .. إنت حتموتينى ..

ولذلك قلت لأم نعيمة ، ماما جاء لها الدور .. ولكنها سوف تفيق بعد أن أنزل تماماً .. وسوف تكلم والدى .. ولكن أنا عند صاحبتى سوسن وسوف أعود بعد ساعة بالضبط .. وسوف أطلبك أسألك عن الذى حدث .. سلام ..

وقلت لسوسن : أريد أن أستعيد الخطابات التى أودعتها عندك ..

سوسن : خطابات من ؟.

ـ خطاباتى ..

ـ لماذا ؟.

ـ بصراحة يا سوسن أنا لا أعرف هل أنا قبيحة لهذه الدرجة .. بصراحة يا سوسن قولى لى أنت .. أنت أصدق واحدة وأخلص واحدة .. هل صحيح أنه لا يوجد فى جسمى شىء واحد جميل .. لا شىء .. أختى تقول لى كده .. أريد أن أعرف .. أم نعيمة ست طيبة غلبانة تقول لى كل يوم : إننى ملكة جمال الكون .. وأنا لا أصدقها .. الشبان تنكسر رقابهم وهم يتلفتون حولى .. والبنات أيضًا .. اللى يقول : شفايفك .. واللى تقول عليك جوز عيون . واللى تقول : صدرك .. ووسطك .. ومشيتك .. وأحسن واحدة تعرف كيف تضع ساقًا على ساق .. واللى تقول صوتك يطلع منك كأنك فى

أحضان رجل .. صارحيني ياسوسن .. أنا تعبت .. لم تعد عندى ثقة فى أحد أو شىء .. هاتى كل الجوابات !.

ولابد أن سوسن رأت حالتى العصبية الشديدة .. وانزعجت .. وبسرعة أخرجت الخطابات من دولابها .. إنها خطابات تلقيتها من الزملاء ومن الجيران .. ومن الذين تقدموا لى ثم رفضناهم ..

واحد اسمه فريد يقول لى : من غيرك هذه الدنيا لا تساوى شيئًا .. يا أجمل وأروع من رأيت ..

شوقى يقول : سألت أختى فقالت لى إنك أجمل بنت رأتها فى حياتها .. وعلى فكرة أختى «قليطة» جدًا .. وغيارة .. ولا تمدح واحدة .. أنتِ الوحيدة التى أعجبت بك أختى ..

وعمرو قال بعد وصف طويل جدًا لكل البنات اللاتى عرفهن فى الجامعة وفى الشغل : ولكن ليس لواحدة منهن الجاذبية التى عندك .. شىء عجيب يخطف الواحد ويلقى به عند قدميك ويتوسل إليك ويقول : نظرة وبعدها أموت !.

ونادر خريج معهد الموسيقى يقول لى : مين اللى قال إن راقصات الباليه إذا سرن على الأرض ، كن يمشين على السحاب .. لا صوت .. وإنما يطرن طيرانًا .. كأنهن يمشين على السلم الموسيقى .. كأن الأرض تتحول إلى عطر .. إلى بخار .. كأننا نحن قد شربنا الشمبانيا .. فنحن فى حالة نشوة لا ترى إلا جمالاً ودلالاً .. وأنا لم أشرب شمبانيا ولا أتفرج على الباليه .. ولا أسمع موسيقى .. وإنما فقط انظر إليك .. أتعمد أن أمشى وراءك .. قولى لى بالله من علمك

الباليه .. قولى لى وحياة أعز شىء أو أحد عندك من الذى علمك الطيران ؟ قولى لى وحياة عينيك كيف استطعت وحدك دون مجهود أن تنقلينا إلى خارج الأرض ؟ فنعيش فى منطقة انعدام الوزن .. فكل شىء يطير ويتشقلب فى سعادة ودوخة لذيذة .. مجنون أنا ؟ والله أبدًا .. ولكن إذا رأيتك فأنا المجنون ، وإذا لم أرك فأنا أكثر جنونًا .. ولكن الحياة من غيرك هى الجنون .. والحياة معك هى استمرار الجنون الذى هو أعقل من العقل .. قولى لى يا سحر هاروت وماروت وسليمان وداود .. قولى لى كلمة واحدة .. فى عرضك لا تقولى ولا كلمة واحدة فالذى أراه وأسمعه وأشمه هو كل دواوين الشعر والسيمفونيات !.

* * *

وفى ليلة من الليالى رأيتنى أحلم بأننى أحج إلى بيت الله الحرام .. ورأيت نفسى بملابس الاحرام .. والناس حولى قد ارتدوا ملابسهم البيضاء .. وصحوت من النوم كأننى ولدت من جديد .. فى غاية الراحة والصفاء والنقاء .. وبسرعة قفزت أمام المرآة .. ولففت الفوطة حول رأسى وحول رقبتى ..

ودون أن أسمع كلمة واحدة مما قالته والدتى وأختى وأنا أفتح الباب نزلت .. وفى الليل عدت إلى غرفتى وأقفلتها من الداخل .. وقلت لمن يدق الباب : أنا تعبانه ولقد أخذت حبوبًا مهدئة .. وسوف أنام .

وفعلاً نمت ..

وفى الصباح المبكر رحت أجرب الملابس التى اشتريتها .. الجلباب

أبيض .. والطرحة بيضاء .. ووقفت أمام المرآة . وارتديت ملابس المحجبات . وحدث ما توقعته .. فقد اندفعت أمى واندفع الباب مفتوحاً لترانى . وتصرخ : اللهم صلى على النبى .. ربنا يكملك بعقلك .. اللهم صلى على النبى .. ربنا يبارك فيك ..

وانهالت أمى تقبلنى فى وجهى وفى كتفى .. وراحت تقبل يدى .. وتبكى .. ولم أشأ أن انظر إلى وجهها .. وإنما ثبت نظرتى على الحائط .. وراحت أمى تنادى أختى : تعالى شوفى الهنا .. تعالى شوف الرضا .. ربنا يبارك فيك يا بنتى .. طول عمرى أقول إنك عاقلة .. طول عمرى أقول .. إن ربنا لن ينساك .. إن ربنا سوف يرحمنا جميعًا .. سوف نحج السنة دى إن شاء الله .. إلخ .

تغيرت الدنيا فى البيت .. لم يسألنى أحد كيف حدث ما حدث .. فأنا متدينة .. مؤمنة .. كنت أصلى وأصوم .. ولكن أمى خشيت أن تسألنى .. كأنها تتوهم أن هذه حيلة .. أو هذا انسحاب من الحياة واضراب عن الزواج ..

ومضت أيام لا أعرف كيف .. والبيت كله يهمس ولا يكلمنى أحد .. كأننى مجنونة .. أو سوف أكون مجنونة .. وأصبح كل شىء حولى يهمس ويلمس .. وأنا لا انظر إلى أحد فى وجهه ، لا أطيق ..

وجاءتنى أخت «وحيد» وانفردت بى وهى تقول : أخى وحيد يريد أن يتقدم من جديد .. وأريد أن أوضح لك الصورة التى كنا عليها يوم تقدمنا نطلب يدك .. أخى .. لا يتكلم أمام أمى .. لأنها عصبية وعندها القلب .. ويخشى إن عارضها أو ضايقها أن تصاب بأزمة

قلبية .. فهو يحبها جدًا وهى أيضًا . ورغم أنه لم يعجبك ، فإنه يحبك ومستعد من أجلك أن وأن وأن ..

قلت : وأمى التى كانت قد اعترضت عليه ؟.

قالت : أمك لم تعترض عليه .. أمك اعترضت على أمى .. ولم تعجبها لأنها كانت قد ارتدت كمية كبيرة من الماس والذهب وأطالت الكلام عن أبيها وأجدادها وأخوالها .. هذا ما قالته أمك لواحدة صاحبتها .. وأمك تضايقت من أمى لأنها ارتدت حذاء به بعض فصوص الماس المزيف .. ولكن تصورى أن أمك معتقدة أنه ماش حقيق .. ماس فى جزمة ؟! هل هذا معقول ؟!

قلت : سوف أتزوجه .

قالت : كيف ؟.

قلت : الآن لن يناقشنى أحد .. وسوف تكون رغباتى أوامر وسوف أحدد كتب الكتاب والزفاف ..

قالت : معقول ؟

قلت : الآن كل شىء معقول !

ـ ...

وبعد أن خرجت صديقتى هذه وأخت العريس قلت لماما : ماما . أنا سوف أتزوج وحيد .

ـ وماله يا حبيبتى اللى يعجبك .. أنتِ اللى سوف تعيشين معه .. ربنا يتمم بخير .. وأبوك سوف يكون سعيدًا جدًا .. يوم الهنا يا بنتى ..

ـ كتب الكتاب يوم الخميس فى سيدنا الحسين .

ـ إن شاء الله يا حبيبتى ألف مبروك يا حبيبتى .

ـ والفرح يوم الخميس اللى بعده .

ـ وماله يا بنتى .. خير البر عاجله .. عاقلة طول عمرك .. الحمد لله .. دلوقت أقدر أموت وأنا مستريحة يا بنتى .. ريحت قلبى ربنا يريح بالك يا حبيبتى ..

وجاءتنى أم نعيمة : يا ست الستات .. الجدع ماشالش عينه عنك .. ولا ثانية يا ست .. أنا قلت إنه مش حيسيبك أبدًا .. ابن أصول .. وأمه داعيه له .. ألف ألف مبروك ياست الهوانم !.

وأختى جاءت تقول : وكنت عاوزانى على انفراد ليه بقى .. عاوزه العيال أرميهم من الشباك .. وعاوزه تطلعى لجارتنا . آه يا ميَّة من تحت تبن .. إنتِ مدكنة على الواد الحليوة الغنى .. آه منك إنتِ يا نمس .. وعاملة غلبانة .. وحاطه رأسك فى الأرض .. ومكسوفة قوى البت .. وأتاريكِ أنتِ منظرة ومتفقة على كل حاجة .. مش عاوزة تقعدى معايا على انفراد ..

ـ عاوزه .

ـ يا بت ادخلى فى عبى ..

ـ بجد عاوزه .. وتسمعى كلامى !.

ـ قولى يا أختى !.

ـ إنتِ تعبانة مع جوزك .. وكنتم حتطلقوا الأسبوع اللى فات ..

ـ آه .. مين قال لك ؟.

ـ ماما .

ـ دلوقت بقت تقول لك كل حاجة ..

ـ آه.. نصيحتى إنك تتحجبى ..

ـ أتحجب ؟ ليه يا أختى ؟!.

ـ إسمعى كلامى .. إتحجبى .. وأنتِ تقدرى تطلق وتتجوزى حبيب القلب الأول .. إنه قد طلق زوجته .. لأنه اكتشف إنه لا يزال يحبك .. وأمه ماتت .. وليس عنده أولاد .. وفى انتظارك .. اتحجبى ..

ـ رأيك كده ؟!.

ـ أيوه ..

* * *

سوف أتزوج ، ولا أعرف بالضبط لماذا ؟.

أو سوف لا أتزوج ولا أعرف بالضبط لماذا ؟.

وسوف أحتفظ بالحجاب ولا أعرف لماذا ؟.

وسوف أخلع الحجاب ولا أعرف لماذا ؟.

ياخسارة : خطيبي عاقل جدًا !

اسمى سوزان .. واحدة مثل أية واحدة .. وأنا لا أخجل من كل مشاعرى .. وأرى أنه من الطبيعي أن تعبر البنت عن الذى تحس به .. إذا أردت أن أضحك ضحكت .. وإذا أردت أن أبكى بكيت .. وفى كثير من الأحيان لا أعرف لماذا . وإنما أحسست أن عندى رغبة فى البكاء أو فى الضحك أو فى الرقص .. أنا كده ..

وبمنتهى الصراحة أريد أن أتزوج رجلاً «عيلاً» .. لا أقصد أن يكون طفلاً .. وإنما يأخذنى على قدر عقلى .. اللى يطلع فى دماغه فورًا يعمله .. نخرج فى منتصف الليل .. نأكل سندوتش فول .. نمشى ونقزقز لب .. نرجع على وش الفجر .. ننام طول النهار .. نسهر طول الليل ، أو لا ننام أيامًا دون أن يكون هناك أى سبب .. إنها مجرد رغبة مجنونة .. وأنا أعتقد أن الإنسان يجب أن يكون مجنونًا بعض الوقت .. والذى لا يعرف الجنون لا يعرف الحرية .. والذى لا يعرف الحرية ليس شابًا ..

أمس بالذات هل تعرف ماذا فعلت طول الليل ، سوف تقول إننى مجنونة .. قلها أنا لا يهمنى لو اجتمعت حناجر الدنيا كلها وقالت فى

نفس واحد : المجنونة أهى !

أمس كنت نائمة فى فراشى مستلقية على ظهرى .. وأسرح وأقابل وأعانق من أشاء من الشباب ومن نجوم السينما ومن وجوه وأجساد لا أعرفها ، ولكنها من صنع خيالى .. وأتقلب يمينًا وشمالاً بين أحضان شباب كالورد .. وأتخيل قبلات وأغير ألف قميص نوم وألف بيجامة .. وألف بارفان .. وأحيانًا أتخيل السرير حمام سباحة وأنا وحبيبى مرجانان متعانقان .. وأحيانًا حوتان .. وأحيانًا يطارد أحدهما الآخر .. وأنا اللى أجرى عادة لكى يطاردنى ويلحقنى ويوقفنى بالقوة .. الله على لذة الإستسلام بعد المقاومة العنيفة .. وأحيانًا أرتفع إلى السقف .. وأطير فى سماء الغرفة فراشة .. روحًا بلا جسد .. وأحيانًا أجد نفسى لوحة على الحائط وحبيبى نائم على السرير .. وأنا أغير فساتينى فوق الركبة وتحتها ومفتوحة على الصدر وعريانة الظهر .. ومشقوقة على الجانبين .. وأحيانًا أستعرض المايوهات وانتقل بها إلى كل بلاجات الدنيا .. ويصبح لونى برنزيًا وأشبك وردة كبيرة جدًا فى شعرى الكستنائى .. وحبيبى نائم على الشاطئ وأنا أكوم رملاً كالذهب على ظهره .. على صدره .. على كتفيه . ثم أزيل الرمل واستلقى عليه وأطفالنا حولنا يقيمون أهرامات من الرمال .. وأقول لحبيبى : إفرض ونحن ذائبان هكذا أنا فى حضنك وأنت فى حضنى وواحد من أولادنا صرخ بعيدًا هل تتركنى .. فيقول ما معناه : لا .. فأقول له : حتى لو كان مهددًا بالغرق فيقول : هه ؟.. أى حتى لو كان مهددًا بالغرق .. وأخذت قليلاً من الرمل ووضعته بين شفتيه .. ثم رحت أنقل الرمل من شفتيه إلى شفتى .. وابتلعت

الرمل .. كأن هذه المعانى قد سجلتها الرمال فخفت أن تضيع هذه الوثيقة فأخفيتها فى معدتى .. ثم تركته وأنا أقول له : منتهى القسوة على أولادنا .. فيعيدنى إلى حضنه قائلاً : لا تقلق ليس عندنا أولاد .. وأضحك أكثر وأقول له : ولا نحن متزوجون ..

وأصحو وأنام .. وأخرج من قصة إلى قصة ، ومن فيلم إلى فيلم ، ومن قصور ذهبية إلى فلل فضية إلى فساتين وردية ، وفوق خيول بيضاء .. كل ليلة .. إلا ليلة أمس .. كانت مهرجانًا من صنعى ومن إخراجى .. أنا الممثلة وأنا المخرجة وأنا الجماهير وأنا التى صفقت لنفسى فى النهاية ..

بلا سبب قررت ودون أن أنظر فى الساعة أن أرتدى كل قمصان نومى .. وأطفأت نور السقف وأضأت الأباجورة ووضعتها على الأرض ، حتى لا يلاحظ أحد أننى ساهرة .. الآن أقف على السرير أمام المرآة .. وظلى على الحائط .. ثم فتحت الدولاب لأرى صورتى فى مرآة التواليت ومرآة الدولاب .. وخلعت ملابسى .. واحدة واحدة .. ووقفت عارية تمامًا .. وبسرعة نظرت إلى جسمى بدقة شديدة .. ليس فيه عيب واحد .. متوسطة الطول .. كتفى مستديرة وأردافى أيضًا .. وسطى صغير .. صدرى بارز .. واحدة .. اثنتان .. ثلاث حسنات فى أماكن تزيدنى جمالاً .. واكتشفت حسنة لم أكن قد رأيتها من قبل .. وقبلت إصبعى ثم وضعته على الحسنة الجديدة .. وشعرى ناعم طويل وسوف أتركه طويلاً ولن أقصره حتى لو أدى ذلك إلى الطلاق .. ورقبتى نحيفة ولكن ناعمة ممدودة .. وأنفى صغير أوروبى .. وشفتى

العليا مرتفعة .. وأنفى وشفتى العليا فيهما نوع من الشموخ .. ذراعى ملساء .. وقدمى صغيرة .. وأصابعى مسحوبة قصيرة .. وكعبى مستدير وردى .. وركبتى صغيرة .. وساقى تبدو كأنها بلا ركبة .. ووزنى ٦٥ كيلو جرامًا وطولى ١٦٩ سم .. وعيناى واسعتان عسليتان ورموشى طويلة .. ما الذى يريده عريس أجمل أو أحسن أو ألطف أو أكثر ثقافة منى .. وارتديت قميصًا أبيض .. لا أحب اللون الأبيض .. إنه لون محايد .. لون نظيف طاهر .. لون ليس له رأى .. أحب الألوان التى لها معنى لها طعم لها رأى .. درت حول نفسى .. رأيتنى فى المرآة أمامى وورائى .. وكشفت ساقى .. وتركت جاذبية الأرض تسحب القميص من فوق كتفى .. ومددت يدى إلى قميص أسود .. إنه كالليل .. كالغموض .. وأنا فيه كالبدر .. إننى أبدو أكثر بياضًا .. لم أكن أعرف أن القميص فيه فتحات على شكل دوائر .. الله .. جميلة .. وجسمى يطل من وراء هذه الفتحات مثل بنات المماليك من وراء المشربية .. أيام جميلة كانت المرأة فيها بعيدة .. صعبة .. والرجل يجب أن يقف على أطراف أصابعه لكى يرى طرف فستانها .. ويدعك فى عينيه كثيرًا ليتأكد إن كانت هى التى تطل من وراء المشربية أو هى خادمتها .. كان الرجل معذبًا ، وكانت المرأة أيضًا .. وكان الزواج هو أمل الحياة كلها ..

وخلعت القميص الأسود بعناية شديدة ووضعته على جانب من السرير .. ومددت يدى إلى قميص أزرق سماوى .. أو أزرق نيلى .. أو أزرق بحرى .. أو أزرق مدخن .. لا أعرف فالضوء ليس كافيًا .. ولا

أنا فى حالة من الوعى .. وأنا فى حالة نشوة .. كأننى مخمورة .. مسطولة .. مأخوذة .. وفى القميص مساحات أصفر على ذهبى على أحمر .. كأنها مأخوذة من شروق الشمس أو من غروبها .. إذن فالقميص يصور معركة بين الليل الذى يزحف على الغروب أو الشروق الذى يزحف على الليل ..

وأنا قد طلعت قمرًا أو شمسًا .. فنان عظيم هو الذى صمم هذه الألوان . فقد سجل لحظة أبدية .. وترك لى أن أختار أن أكون قمرًا أو شمسًا .. واخترت أن أكون قمرًا فأخفيت هذه الألوان وبرزت من القميص الذى نشرته ورائى وفتحت ذراعى على الآخر .. ودرت حول نفسى أرانى من هنا .. ومن هنا .. وأرى الأضواء ترسمنى على الحائط وكأننا اثنان متداخلان .. الله .. كيف لم أعرف هذه اللعبة الفنية الساحرة !.

وهذا قميص أخضر .. وهذا أحمر .. وهذا وردى .. وهذا مشغول على الصدر والذيل .. وهذا على الصدر والظهر ..

واتجهت إلى دولاب أختى .. وفتحته .. كل قمصانها فوق الركبة .. ساقاها جميلتان .. حرام أن تخفيهما .. وارتديت قميصًا أضحكنى .. لأنه ليس قميصًا .. وإنما هو قطع من الأقمشة شبكوها فى آخر لحظة فكانت شيئًا لا هو قميص نوم .. ولا هو بلوزة .. فالصدر عريان والظهر عريان والساقان ظاهرتان .. ولكنه جميل .. يجنن .. فعلاً يجنن من يرانى أو يراها .. وهذا قميص مسخرة .. ولكنه أوريجينال .. لا أعرف من الذى يفصل لها هذه القمصان .. القميص يجرجر على الأرض ..

ولكنه مشقوق من الجانبين إلى ما تحت الباط بسنتمتر واحد .. والظهر مشقوق أيضًا .. وكذلك الأكمام مشقوقة على الآخر . والاسورة هى التى تمسك هذه الشقوق .. فهو قميص وليس قميصًا .. وكل الألوان فى هذا القميص .. فهو مقلم بالطول .. وهو من التفتاه ..

وهذه عباءة مسخرة أيضًا .. إنها عبارة عن عدد من قطع القماش الملتصقة .. ويمكن نزعها بسهولة .. فإذا هى كوم من الشرائط على الأرض .. ويمكن لصقها بسهولة بعد ذلك ..

وهذا قميص نوم .. أو بدلة رقص لا أعرف .. وهذا سروال تركى .. وهذا قميص نوم ممزق .. عن عمد .. يغرى من يراه أن يكمل تمزيقه .. أو يفعل ذلك بالقمصان الأخرى .. وفى دولاب أختى كل كتالوجات القمصان الموضة هذا العام والأعوام الماضية .. وهى تفضل قمصان النوم على بقية الملابس ..

ولم أتنبه إلى ضوء النهار قد بدأ يتسلل من النافذة .. فنظرت فى الساعة فوجدتها السادسة صباحًا .. يا خبر .. وبسرعة أعدت ترتيب قمصان أختى وقفلت دولابها .. واخترت القميص الأسود ونمت به . وكنت قد نسيت إغلاق باب غرفتى . فقفلته بالمفتاح . ونمت .. ولما سمعت دقًا على الباب خيل إلىّ أنها دقات المسرح وأن الستار سوف يرتفع .. ولكن بسرعة قفزت من نومى وقلت : حاضر يا ماما .. حالاً يا ماما .. ونظرت إلى وجهى فى المرآة .. يا نهار أسود ومنيل .. لقد وضعت الأحمر والأبيض والكحل ورسمت الحاجبين .. وأبرزت الحسنة .. لو رأتنى أمى لقالت إنى مجنونة .. أو إننى كنت سهرانة فى أى

مكان وعدت آخر الليل دون أن يدرى بى أحد .. وبسرعة مسحت وجهى .. ووضعت قطرة فى عينى لتزداد احمرارًا لأشكو من حرقان فى عينى .. فأصرف أمى عن النظر إلى وجهى وشعرى أو سؤالى عن السبب فى اننى تأخرت فى نومى فى تلك الليلة ..

وسمعت أمى تقول : يا سوزان لا تنسى أن خطيبك سوف يتناول غداءه ، معنا .. هو ومامته وأخته !.

وكنت قد نسيت ذلك تمامًا .. إذن فلابد أن أذهب للحلاق .. وأن أغسل شعرى وآخذ حمام زيت .. ولابد من مانيكير وبيدكير.. وتركيب رموش صناعية أو أظافر صناعية أيضًا .. ماما عاوزه كده .. وأن أستعير غوايش أختى وخواتمها وعقدها وحلقها .. ماما عاوزه كده .

* * *

وبعد الغداء جلست إلى جوار خطيبى .. وقلت للست والدته : عارفة يا طانط .. أنا مش على راحتى ..

ـ ليه يا حبيبتى ..

ـ حاسة إننى مش على طبيعتى .. مثلاً : الخواتم والأساور والعقد والحلق بتوع اختى .. مش بتوعى .. حتى الجزمة دى بتاعة ماما ..

ماما صرخت وقالت : بنت !.

قلت : نعم يا ماما ..

ماما : إيه الكلام الفارغ وقلة الأدب وقلة القيمة ..

قلت : أنا عندى حاجات أحسن من دى .. لكن أنت التى اخترت الحاجات بتوع أختى .. دقيقة من فضلك يا طانط ..

استرحت نفسيًا لهذه القنبلة التى ألقيتها .. والتى سوف تكون سببًا فى نكد بابا هذه الليلة . فماما سوف تقول له : إن البنت دى تربيتك وأنت اللى مدلعها ولذلك فهى منحرفة .. ولا احنا عارفين إن كانت بنتًا أو ولدًا ..

وقد اعتدت أنا على هذه الخناقات وسوف أنام نومًا عميقًا .. ودخلت أوضتى وبسرعة مددت يدى إلى دولابى ووضعت غوايشى وخواتمى وبسرعة دخلت فى البنطلون الجينز الأنيق .. أريد أن أؤكد لحماتى جمال ساقى . والبنطلون الجينز مشغول بالورود البارزة .. على جانبى الساقين .. وعند الذيل .. والحزام عريض جدًا .. ويؤكد وسطى النحيل .. ويبرز صدرى .. والجاكت مشغول بالزجاج الملون على شكل طيور وأسماك .. وتحت الجاكت قميص حرير طبيعى مفتوح .. وتظهر ما شاء الله كبيرة مرصعة بالماس .. وارتديت حذاء بكعب عال .. ووقفت أمام حماتى وقلت لها : ما رأيك يا طانط !.

قالت : قمر والنبى قمر ..

قلت : ما رأيك يا عريس ؟..

قال : فستانك الأولانى أحسن ..

قلت : وهذا رأى بابا وماما .. أنتِ جيل قديم ! إذن أنت لست أكبر منى بعشرين شهرًا وإنما بعشرين عامًا ! يا خسارة !.

ماما : جرى إيه يا بنت كلمى خطيبك عدل !.

حماتى : إنها تتدلع على خطيبها يا ست خيرية .. إحنا بقينا دقة قديمة !

* * *

وانسحبوا بالتدريج فوجدت نفسى مع خطيبى . فقلت له : فتى نرتكب حماقة !.

ـ حماقة ؟.

ـ آه حماقة ونص كمان ..

ـ يعنى إيه ؟.

ـ نتسلل إلى خارج البيت ونجلس فى أى مكان نتكلم على راحتنا .. أريد أن أكلمك فى أمورنا الخاصة .

ـ دون أن نستأذن ؟.

ـ من غير إذن .. نحن أحرار ..

ـ ما يصحش ..

ـ يصح يا أخى .. أنا لا أستأذن أمى وأنت لا تستأذن أمك ..

ـ لا يصح ..

ـ إذن نذهب ونستأذن الاثنتين معًا !.

وقلت بصوت مرتفع : يا ماما .. يا طانط سوف ننزل نشترى شوية بتى فور من الحلوانى القريب .. ونعود بعد قليل ..

قالت ماما : كده .. طيب ..

طانط : بالسلامة يا حبيبتى ..

قلت له : ما رأيك ..

قال : أنت أحرجتنى .. فقد كان من الواجب أن أتكلم أنا أو أستأذن أنا ..

قلت : وإذا تكلمت أنا فهذا خطأ ؟.

قال : أنا الرجل !.

قلت : بأقول لك يا راجل .. عندك فرصة أخرى قل لها : إننا سوف نجلس معًا فى محل الحلوانى .. بعض الوقت وسنعود بعد ساعة .. اتفضل قل لها ذلك ! هل أقول أنا ..

هو : أيوه ..

قلت : يا ماما .. يا طانط .. فى اجتماعنا السرى هنا قررنا ما هو آت .. أن نجلس فى محل الحلوانى لأن لدينا بعض الأمور الهامة .. وبعد مناقشتها نأتى بالحلويات .. وسوف تعرفون أهمية النتائج التى سوف نتوصل إليها من حجم الحلويات .. فإن كانت تورتة فمعنى ذلك أننا اتفقنا على كل شىء .. وإن كانت جاتوه .. فالاتفاق على بعض الأمور .. وإن كانت بتى فور .. فهى مثل التوقيع بالأحرف الأولى .. وإن رجعنا إيد وراء وإيد قدام .. فيارحمان يا رحيم .. وربنا يستر ..

الاثنتان معًا : ألف سلامة .. وربنا يتمم بخير !.

قلت له : ألا ترى أننى أستحق بوسه ؟..

هو : إيه ده ؟.

أنا : أطلب من خطيبى أن يبوسنى .. كفرت .. والبوسة التى تجىء بالطلب ليست إلا بصقة على الخد .. البوسة لا تجىء إلا خطفًا .. إلا سرقة .. إلا بالقوة .. هذه هى التى لها طعم .. فالطيور التى تسقط من

السماء وتحت أقدام الصياد يدوسها بالجزمة .. ولكن التى يطاردها ويطلق عليها النار فتصيب وتخيب :. هى التى يقيس بها بطولته ورجولته وبراعته ..

وهجمت عليه وقبلته .. فاندهش وتراجع .. وقرفت منه .. ونظرت إلى ما تركته شفتاى على خده... يشبه دائرة حمراء كأنها أثر لكعب جزمتى .. يخص عليك !.

ونزلنا .. ورفضت أن أنزل بالأسانسير .. قررت أن أشعر بالنزول بالهبوط .. بالسقوط .. وكلما نزلت شممت هواء منعشًا .. صحيًا .. وكنت لا أسمع إلا وقع حذائى .. ولم أسمع حذاءه... ولا رأيته .. وأحسست أننى يجب أن أعود إلى سريرى .. إلى جنتى إلى مسرح الحرية .. حريتى فى أن أحس وأن أعانق وأن أتزوج وأن أطلق وأنطلق ..

وجلسنا وجهًا لوجه فى محل الحلوانى . وكنت أنا التى تتكلم دائمًا . قلت : ألم ترتكب عملاً جنونيًا فى حياتك ؟.

ـ أبدًا ..

ـ ألم تمش حافيًا فى البيت .. أو تنزل إلى سيارتك فى الجراج حافيًا .. وتقودها بلا جزمة .. أنا فعلت ذلك .. وذهبت إلى السوبر ماركت فلم يلاحظ أحد اننى حافية ..

ـ أبدًا .. هذا جنون !.

ـ أنا أسألك عن حرية الجنون !.

ـ لا أذكر.. ولا أجد داعيًا لذلك !.

قلت له : ما هى حدود صبرك .. هل تستطيع أن تسمعنى وأنا أحدثك عن التفاهات فى حياتى اليومية .. من كلمتنى فى التليفون وماذا قالت .. وماذا قلت .. ساعة .. ساعتين وأنا أتكلم فى التفاهات .. هل تستطيع أن تحتمل تفاهاتى ..

قال : فى الدنيا أشياء كثيرة هامة !.

قلت : وأشياء كثيرة تافهة .. وحياتنا أكثرها تفاهات وأقلها أمور جادة .. حتى الأمور الجادة تافهة أيضا ..

ـ لا أعرف ما الذى تقصدين بهذه الأسئلة ..

ـ سوف نقوم بعمل تجربة .. هل تعرف كيف أمضيت ليلتى أمس .. لقد فتحت كتالوجات الموضة .. وفتحت دولابى ورحت ارتدى الفساتين التى عندى واحدًا بعد واحد .. وأتمشى واتقصع كعارضات الأزياء .. هل تفهم ما أقول .. كل ذلك بعد منتصف الليل وحدى .. فهل لو تزوجنا هل تحب أن أستعرض لك كل فساتينى .. وهل أرقص لك وأغنى .. وأبكى وأتوسل إليك .. وأتعلق فى رقبتك .. وتدفعنى عنك .. فأعود إليك مرة أخرى .. وتمنعنى بالقوة .. ثم تضربنى قلمين .. فأبكى عند قدميك .. فتضربنى قلمين آخرين .. ثم تقبلنى وتحضنى وتعتذر لى وتأخذنى بين ذراعيك حتى الصباح .. هل نفعل شيئًا من ذلك !.

هو : أنا فى ذهول من هذا الذى تقولين .. هلوسة .. جنون .. كيف تفهمين الحياة الزوجية ؟. إنها غير هذا تمامًا !.

قلت : إنها هذا وزيادة.. فأنا حرة مع زوجى أفعل به وأفعل له

ما يشاء وما أشاء .. وأنا لن أعترض إذا قررت أنت أن ترتدى ملابس طرزان وتقفز من الدولاب إلى السرير وأن تتعلق فى النجف وتصرخ صرختك الشهيرة فأقوم أنا بدور القردة.. ونضحك فى غاية السعادة !.

* * *

وصحوت من النوم فوجدت ماما قد جلست إلى جوارى على السرير.. وجهها مستدير أحمر.. ضحكتها جميلة : براءة وحنان وطيبة وقليل من الحزن قالت لى : صباح الفل على الفل .. ما قلتليش يا فل عملت إيه امبارح مع حبيب القلب.

قلت وأنا أتثاءب وأمط شفتى : ده عاقل قوى يا ماما. يمكن أعقل من بابا..

وانخطفت كل الألوان من وجه أمى :

يعنى إيه يا بت !.

قلت لها : بالسرعة دى تحول الفل وصباح الفل إلى يعنى إيه يابت.. زى بعضه الله يسامحك ياماما.. عارفه ياماما.. له ابتسامة تشبه ابتسامة الإنسان قبل ما يموت بشوية : هدوء .. ونقاء ووداع واحتقار للدنيا .. إنها ابتسامة النهاية .. فى كل مرة أرى هذه الابتسامة أحس انى أريد أن أعتذر له وأن أسامحه .. لكى ينام فى قبره هادئًا سعيدًا ..

ماما : أعوذ بالله من كلامك .. قطع التعليم واللى بيتعلموه .. والنبى إنت زى أبوك بالضبط .. أبوك كان مجنون زيك .. ولكن ربنا هداه ..

قلت : ربنا ؟ وللا أنت يا ماما اللى جبت مناخيره فى الأرض .. إنتِ مفترية يا ماما .. إنتِ جبارة .. إنتِ سفاحة يا حبيبتى .. إنت مصاصة دماء يا أرق أم فى الدنيا !.

ونهضت وعانقتها وقبلتها .

هى : أيوه .. اضحكى علىّ .. حطينى فى عبك .. عملت إيه يا بت ؟!.

قلت : العمل عمل الله يا ماما ..

هى : أيوه يا اختى اعملى غلبانه .. إضحكى علىّ .. كلمينى كلام عدل .. عملت إيه ؟

قلت : يا ماما .. ده عامل زى وخز الضمير ..

صرخت وهى تقول : كلمينى كلام أفهمه .. ماله الشباب المؤدب الوسيم .. ابن العائلات ..

قلت : يا ماما .. كل حاجة فيه صح مايه فى المية .. كل حاجة تجعلنى أحس إننى شاذة .. إننى مجنونة ..

قالت : طيب ما هو أنتِ كده ..

قلت : أنا عاوزه واحد .. يحس أن كل الذى أفعله وأقوله حقيقى جدًا .. يعنى لازم يكون مجنون زيى .. لكن هذا يجعلنى أشعر اننى مريضة .. اننى مختلفة .. مع اننى شابة لا أكثر ولا أقل .. وأن العقل

والرزانة سوف يجيئان بعد ذلك .. بعد عشر .. عشرين سنة .. ولكن لن أبدأ من النهاية ..

قالت : انت وشطارتك .. انتِ تقدرى تجننيه وتجننى أبوه .. خديه عاقل وجننيه على مهلك ..

قلت : العاقل يصعب أن أجننه .. ولكن المجنون هو الذى من الممكن أن يعقل .. يا ماما : أصغر منك بيوم يعرف أكثر منك بسنه !.

قالت : يادى المصيبة .. يادى الفضيحة .. أقول للجدع إيه .. أقول للست والدته ايه .. الناس فى غاية الأدب والاحترام .. يادى المصيبة .. البنات وخلفة البنات اللى زى الزفت .. اعمل إيه يا اخواتى ..

قلت : أنا أقول له يا ماما .. وأقول لمامته كمان ..

قالت وهى مذعورة : إنتِ اللى تقولى له ؟. بنات إيه دى !. بنات آخر زمان !. وتقدرى لى للجدع ده .. تقولى له إيه .. يانهار أسود !.

قلت : أقول له .. إسمع يا بن الناس .. انت إذا كنت بتحبنى استنانى كمان عشرين سنة .. سوف أكون عاقلة زيك بالضبط ..

قالت : البنت دى حتجننى .. الحقونى يا ناس .. إبعدوها من قدامى ..

قلت : يا ماما .. إنتِ زعلانه من إيه .. أنا قلت له كل حاجة هو ووالدته .. يوم مارحنا للحلوانى .. وهى تلق الصدمة بمنتهى العقل ..

واحترمنى لأننى لم أكذب عليه ..

* * *

أمى فى حالة لا يتصورها العقل .. لا تعرف كيف تصرخ ولا كيف تسقط على الأرض ولا كيف تضربنى بالجزمة .. ولا كيف تنظر إلى وجهى ..

وفجأة ظهر والدى ونحن فى حالة من الصمت الرهيب .. وبسرعة أدرك كل شىء . وسألنى : إيه يا حبيبتى !.

قلت له وأنا أبكى صادقة وبحرقة شديدة : ولا حاجة يا بابا . ده ما ينفعشى . طلع عاقل زيادة عن اللزوم ..

قال : كده يعنى زى أمك .. برضه أحسن إنك أديت له بمبة !.

فى شهادة ميلادى : ولدت لكى أموت فيك ياحبيبى !

لا يهم ما هو اسمى .. أنا واحدة أعيش فى عصر غير عصرى . كل الناس يقولون ذلك . لا يهمنى . أنا أقول إن هذا الرجل الذى أحبه هو أجمل رجل فى العالم . وأذكى وأعظم .. أنا التى تقول . وأنا التى تحلم به وتتمنى أن تكون له .. حتى لو لم يكن لها .. فليس هو نصيبى .. وإنما نصيبى جزء منه . أنا راضية . إنه متزوج . وليس عنده أولاد . وكلما تذكرت أنه بلا أطفال أسعدنى ذلك .. فعندى أمل أن يكون له أولاد منى .. وإن كان هذا الأمل بعيدًا جدًا .. إنه أملى أنا .. إننى غارقة فى حبه .. وأنا مثل الغرقان تمامًا .. لا أعرف إن كنت سأسبح إلى الشاطئ .. أو حتى هناك شاطئ .. أحيانًا أرى الشاطئ قريبًا جدًا .. وأحيانًا لا أراه .. كأن الشاطئ أيضًا أمل من آمالى .. ثم إننى أؤمن بالمعجزة : أن أكون على مقربة من الشاطئ .. أو يقفز الشاطئ ناحيتى ، كما يقفز البحر بالأمواج .. أو يبتلعنى الحوت كما ابتلع النبى يونس عليه السلام .

ثم يقذفنى إلى الشاطئ .. أو يجىء حبيبى إلى الشاطئ لأى سبب كأنه سمع صوت استغاثة .. واتجه إلى مصدر الصوت فراح يسبح

ناحيتى .. ويأخذنى بين الحياة والموت ـ أنا التى بين الحياة والموت ـ ويلقى بى على الشاطئ .. ويتركنى هناك .. وحين أجد نفسى على صدره أو بين ذراعيه فإننى أشعر بأن حياتى كملت .. رسالتى فى الدنيا انتهت .. فلماذا أعيش بُعد ذلك .. فقط أن أجد أنفاسى قريبة من أنفاسه .. أن أتنفسه هو .. فيمد فى عمرى .. أن أجد جسمى يلامس جسمه .. أن يكون هو حضن الموت .. آخر الأحضان فى هذه الدنيا .. آه لو تعلم يا حبيبى أن طفولتى المخيفة هى التى جعلتنى أبحث عن الأحضان فى كل مكان .. هل تعرف المقاعد الوثيرة التى يغوص فيها الجالس عليها .. إنها أحضان .. وأنا أرى الدنيا كلها أحضاناً .. الصداقة حضن .. والحب حضن .. والأمومة .. والبنوة .. وكل شئ حولى مالم يكن حضنًا فإننى أشعر بقلق .. بخوف .. هل تعرف يا حبيبى أن تفكيرى فيك يحتضن كل أفكارى .. هل تعرف أن شوقى إليك يحتضن كل مشاعرى .. هل تعرف عندما تنظر إلىّ .. إلى وجهى .. إلى أصابعى .. إلى ساقى .. إلى عينى .. أننى بقدرة قادر أجعل هذه النظرات شعاعات تدور .. تلف حولى .. كخيوط العنكبوت .. كخيوط دودة القز .. أنت أرسلت نظراتك سهامًا من ذهب .. وأنا التى أمسكت السهام بعينى أيضًا وجعلتها تلتف حولى .. بل إننى أغمض عينى حين أراك حتى تكتشف شعاعاتك وهى تنكسر أحضاناً حول عينى وشفتى ووجهى .. كثيرًا ما شعرت بأننى جنين فى بطن حبك .. طفل رضيع فى مهد حنانك .. تلميذة فى طابور وجودك .. خذنى إليك .. خذنى شيئًا .. خذنى صدى .. خذنى ظلاً ..

إخطفنى .. لا تتركنى لنفسى .. فلست أمينة على نفسى .. صدقنى يا حبيبى .. إننى أحمى نفسى من أجلك .. والله لو تعرف أننى أنام مبكرة لكى أصحو من النوم أهدأ .. أنت السبب .. أنت الذى قلت إننى عندما أنام طويلاً فإن وجهى يشرق .. وبشرتى تلمع .. وعينى أكثر عمقًا .. وأنا ما كنت أعرف النوم إلا عند الفجر .. ولكننى الآن مثل سندريلا لا يكاد يتعانق عقربا الدقائق والساعات عند منتصف الليل حتى أعانق خيالك وأنام .. كل هذا من أجلك .. بل من أجل كلمة أنت قلتها .. كلمة واحدة . لعلك لم تقصدها . ولكن كل ما تقول هو قرار .. هو أمر .. بل أنت أمر من القدر أن أكون لك .. هذا قدرى ..

تقول إننى واهمة ؟.

وأنا أضحك ولا أغضب منك . فأنت أيضًا واهم يا سيدى .. ماذا تقدم للناس ؟ لوحات فنية . هذه اللوحات أنت تراها جميلة . والناس يقولون ذلك . وأنت سعيد بما تشعر به وما يقوله الناس .. وبما يكتبه النقاد .. وأنت سعيد لأنك تصدق كل الذى يقال لك .. ويقال عنك . وهذا وهم يا حبيبى .. إن الناس كذابون يا حبيبى . وأنا أيضًا واهمة ـ أنت الذى تقول . ولكن إذا كانت للوهم قوة اليقين ، فهل هو وهم ؟ إذا وجدت طفلاً يمشى كأنه ملك . أو يمشى كأنه نابليون .. أو ينبح كالكلاب أو يموء كالهرة .. هل تستطيع أن تقنع هذا الطفل بأنه ليس كذلك ؟ لا تستطيع . فالطفل على يقين من كل الذى يقول . وأنت تجعله يبكى إذا حاولت أن تقنعه بأنه ليس كذلك .. أنا طفلة يا

سيدى ، كما أنك طفل كبير يا سيدى . كلنا أطفال . وكلنا واهمون . ولكن هذا الوهم هو الحقيقة الوحيدة فى حياتنا ..

أى شىء فى وردة أرسلتها لى .. ماذا تريد أن تقول : إننى وردة .. إننى رقيقة مثلها .. إننى جميلة مثلها .. هل تريد أن تقول إن هذه الوردة قبلة .. حضن .. كما أن أوراقها يحتضن بعضها البعض فى رقة ونعومة وحنان .. هل تريد أن تقول إنك تذكرتنى .. وعندما تذكرت وجودى بعثت برسول يشير إلى هذا المعنى .. ثم إنك نزعت الشوك من الوردة .. لعلك تتمنى أن تكون حياتنا بلا أشواك .. هل تقول إننى الوردة وأنت الشوك .. هل تريد أن تقول إن حبنا قصير مثل عمر الوردة .. هل تقول إنه حتى لو ذبلت الوردة فسوف يبقى عطرها .. وإذا ذهب عطرها فسوف يبقى رمزها .. وإذا ذهب الرمز بقيت الذكرى .. كل ذلك بلغنى من أول لحظة يا حبيبى .. هل ما أزال واهمة ؟. وإذا كان كل الذى أقول وهمًا ، فهل الذى قلته يا حبيبى وأنت تفكر فى إرسال هذه الوردة ؟.. أو هل أنت لم تقل شيئًا ثم جعلت الوردة لغمًا ينفجر فى قلبى وفى رأسى .. حتى إذا لم تفكر فى شىء من كل ذلك ، فأنا فكرت . وأنا قلت نيابة عنك . وعلى مخدتى دار الحوار بيننا ، ثم نمت دون أن أكمله .

أنت قلت : جاءتك الوردة ؟.

أنا قلت : جاءت قبل أن تجىء ياحبيبى .. كنت على يقين من أنك سوف تبعث بها .. تخيلتها .. رأيتها .. احتضنتها بعينى وشفتى وصدرى .. وعندما رأيتها كان عطرها قد سبقها .. فكان العطر ألف

ألف وردة .. طريقًا من ألوف الورود ..

ـ مع أنها وردة واحدة !.

ـ ولكنك لست واحدًا يا حبيبي .. أنت ألف ألف .. ومع كل واحد ألف وردة .. ولكل وردة ألف ألف ذرة عطر .. فأى طوفان من القبلات هذا الذى أغرقتنى فيه ؟!.

ـ إذن فوردة واحدة كانت تكفى ؟..

ـ تكفينى العمر كله يا حبيبى .. فليس قليلاً أن تفكر فى ذلك .. ولا قليلاً أن تحقق ذلك .. إننى أدين بحلول الأرواح بعد الموت فى النباتات والحيوانات .. ولو خيرونى أين تحل روحى بعد موتى .. لقلت فى وردة .. ووردة تقطفها أنت لتموت بين أصابعك فإذا بعثت مرة أخرى ، حلت روحها فى وردة تقطفها أنت أيضًا .. وهكذا إلى الأبد .. أعيش وأموت بين أصابعك وتحت عينيك وفى مهب أنفاسك .. هذه هى دورة الحياة الأبدية التى أتمناها .. وأنت يا حبيبى ماذا تتمنى بعد أن تموت ؟.

ـ أن أكون أشواك الوردة .

لحمايتى . شكرًا يا حبيبى ..

ـ حتى لا يقرب منك أحد ..

ـ دعنى .. اتركنى .. أريد أن أغمض عينى لكى التقى بك وأراك .. وأتكوم فى حضنك .. جنينًا لا يكبر .. اتركنى لك يا حبيبى .. اتركنى لاتشغلنى عنك .. فأنا مشغولة عنك بك .

* * *

ثم يجىء النوم . وفى النوم أصالح نفسى على الدنيا كلها .. وتنشط غددى كلها من أجل أن تشيع حيوية وذكاء ولهفة فى عينى وشفتى وفى وجهى .. إنى أريد أن أكون جميلة له وبه ..

وفى ليلة دار الحوار بيننا على المخدة .. أنا أنام على صدره .. عند قلبه . وهو يلف ذراعًا على رأسى .. على خدى .. وأصابعه فى شعرى .. هو يقول لى : أنت لا تعرفيننى ..

ـ إذن فكلمنى عن نفسك ..

ـ عصبى جدًا !.

ـ سوف أحب عصبيتك !.

أنا وحش كاسر !.

ـ فى داخل كل امرأة حمل وديع يحب الذئب .. خادم يحب سيده .. ذليل يحب سفاحه ..

ـ سوف أقتلك فى ثورة غضبى !.

ـ الموت بيديك حياة أبدية ..

ـ أنت مجنونة !.

ـ الجنون فى الحب هو منتهى العقل .. كيف تحب وتظل عاقلاً ؟ كيف لا ترى فى الدنيا إلا رجلاً واحدًا ، وتكون عاقلاً ؟ الحب هو أروع أنواع الجنون ..

ـ أنا لا أعرف كيف أشفيك !.

ـ ومن طلب الشفاء ياحبيبى؟ كيف تشفينى من مرض لادواء له؟.. كيف تعالجنى وأنا لاأشكو؟.. وأى دواء هذا الذى تقدمه لى؟..

ـ الدواء : هو أن أبعد عنك !.

ـ أنت بعيد يا حبيبى .. وأنا الذى آتى بك كل ليلة إلى عينى وإلى أحلامى وإلى فراشى وإلى أحضانى ..

ـ أقتل نفسى .

ـ أموت وراءك .. فيكون لقاؤنا أبديًا .. اقتلنى أولاً يا حبيبى !.

ـ أنا لا أعرف ماذا أقول لك !.

ـ لا تقل شيئًا .. لا تتكلم .. فأنت كل الكلام وكل الشعر وكل الفن وكل الغناء .. أنت القمر .. فما الذى قاله القمر ؟ لا شىء .. ما الذى قلناه عن القمر ؟. ألوف القصائد .. ألوف اللوحات .. ماذا قال الفجر ؟. ماذا قالت الصحراء ؟.. ماذا قالت الفراشة ؟.. لا تقل .. أترك لى الكلام يا سيدى .. إن الأصنام لا تقول .. ولكن عبادها يدورون حولها ويقولون ويبكون .. لا تقل .. إن الذى قلته يكفى ألف عمر وعمر .. لا تقل .. بالله عليك يا حبيبى لا تقل شيئًا !.

ـ أنا لا أعرف كيف أكلمك .. قومى .. إصحى .. أريد أن أكلمك بالعقل ولو مرة واحدة ..

ـ وأنا لا أعرف كيف أكلمك بالعقل .. لا أعرف ، فأنا يا حبيبى أقول بعقلى وقلبى وجسمى وخوفى وشوقى وشعورى بالأمان والحنان .. ألا تكفيك كل هذه الألسن .. علمنى كيف أقطعها جميعًا فلا يبقى إلا لسان العقل أكلمك به .. أنت أستاذى .. أنت الذى تعرف كل ما فى نفسى .. قل لى يا أستاذى ماذا أعمل .. اقطع أصابع قدمى .. واترك لى أصبعًا واحدة .. اقطع ساقًا واترك لى ساقًا واحدة .. اقطع ذراعًا

واترك واحدة .. افقأ لى عينًا .. وعلمنى يا أستاذى كيف أراك بنصفى .. بربعى .. بعشرى .. ببعضى .. علمنى .. لاتتعب رأسك ياحبيبى .. أنا نفسى لاأعرف .. كل الذى أعرفه هو أن القدر وضعنى فى طريقك .. دفعنى إليك .. وجدتنى عندك .. أمامك .. لا أعرف غيرك .. ولا رأى غيرك .. ولا أسمع سواك .. أنا مثل راديو مضبوط على إذاعتك .. أنا البوصلة المضبوطة عليك .. لا تلمنى .. لا تحاسبنى .. لا تؤاخذنى .. أعذرنى .. فليس بيدى أننى أحببتك ولا من اختيار عقلى ما يشعر به قلبى .. إن قلبى ليس مواطنًا فى جسمى .. إنه أجنبى ، ليست له بطاقة هوية .. لا يهتدى بعقلى ، ولا يأكل من معدتى .. إن قلبى مثلى يا حبيبى .. يدق لرؤيتك فقط .. يخفق .. يتوجع .. يشتاق .. يبكى دمًا حين تقول شعرًا فى عينى .. أنت صادق .. فما عيناى يا حبيبى ؟. عيناى جميلتان لأنك ترى عينيك فيهما .. صدقنى إننى أستمد جمالى من كمالك .. وحياتى من قربك .. صدقنى .. ما شفتاى ؟ إنهما شفتاك أمانة عندى .. ما شعرى ؟ إنه ملايين من أسلاك استقبال المعانى التى تفيض من وجودك .. ما قوامى ؟.. لقد تشكل كله بعضه فوق بعض ليليق بنظرتك إليه .. صدقنى .. والله ليس هذا جنونًا .. ولكنه كلام أطفال .. فهل تكذب طفلاً ؟! إنه هذيان مجنون !. فهل تكذب مجنونًا ؟. الطفل والمجنون والعاشق لا يكذبون .. إن كلماتهم صدى لأعماقهم .. وأنا صداك ياحبيبى .. ظلك .. عطرك .. ذكراك .. عمر إضافى لعمرك .. أرجوك ياحبيبى عندما ترى عينى لاتقل لى : عيناك .. بل قل : عيناى .. لا تقل

لى شفتاك بل قل : شفتاى .: لا تقل لى : شعرك .. بل قل : شعرى .
لا تقل لى : ياحبيبى .. بل قل لى : يا أنا !.

* * *

* * *

وطلع النهار ووجدت كل المخدات قد استقرت فوق .. ونظرت ونظرت إلى مرآتى لقد حطمها حبيبى .. وحطم زجاجات العطر.. ومزق صورتى وصوره .. إذن فهذه الطيور البيضاء التى رأيتها فى سماء غرفتى لم تكن إلا هذه المخدات ألقاها ناحيتى ، فرفضت الطيور أن تحط فوق .. وإنما هبطت بهدوء فوق .. شكرًا يا حبيبى .. فعلاً كل شىء يجب أن يتحطم إلا نحن .. فلا عطر لغيرك .. ولا مرآة لغير وجهك .: ما المخدات إذا لم يسترح عليها رأسك إلى جوار رأسى .. شكرًا لك يا حبيبى إنك تركت الوردة .. فهى أعظم ما فى غرفتى .. الزجاجات مثلها كثير فى كل بيت ، والمرايا والمخدات وكل ما فى غرفتى .. إلا هذه الوردة .. ليس مثلها ورد ، كما أنه ليس مثلك أحد .. ليس مثلنا أحد .. شكرًا لك يا حبيبى ، فقد تركت لى ما يجب أن تتركه .. هذه الوردة .. هذه القبلة .. هذه الدعوة لأن نكون معًا .. أوراقًا فى وردة واحدة .. أو ورقة واحدة فى وردة واحدة .. أو ذرة عطر فى ملايين الذرات لوردة واحدة .. أو ذكرى لكل ذلك !.

إننى لم أقل إنك إله حتى لاتغضب وتثور وتحطم ، فلا سلطان لك على عواطفك .. أنت بشر.. وإن كانت للبشر بعض صفات

الآلهة ـ هكذا قالت أساطير الإغريق .. وقلت أنت فى لوحاتك .. وتردد الصدى فى قصائدى ..

لاتنس إننا نحن أسرى .. أنت أسيرى ياحبيبى .. وأنا أسيرك ياحبيبى .. ولكنك تريد أن تتحرر منى .. أما أنا ياحبيبى فلا أستطيع .. كيف أتحرر من جلدى .. كيف أتحرر من قلبى .. كيف أمشى فى الاتجاه الآخر .. وكل ذراتى قد صنعها القدر لتمشى فى اتجاه واحد .. تجاهك .. ولا أعرف إن كنت أستطيع أن أفلت من قبضتك .. لا أعرف ، فلم أفكر ولم أجرب .. ولا أتصور . أنا محكوم علىّ بالسجن المؤبد الانفرادى مع الشغل والنفاذ ، هكذا مكتوب فى شهادة ميلادى ... مكتوب فيها أننى ولدت لكى أموت فيك .. أو ولدت ميتة لكى أبعث فيك .

* * *

أما مشكلتى التى ليس لها حل يا حبيبى فهى أن أمى وأبى خارج باب غرفتى لا يعرفان لا دائى ولا دوائى .. وينظران إلى صور العرسان ويحسبان ما فى جيوبهم وأحجام مقاعدهم ويشفقان على ابنتهما الراهبة المجنونة .: أما أننى راهبة فى محرابك ، فهذا صحيح .. وأما اننى مجنونة بك فهذا أيضًا صحيح ..

قل لهم يا حبيبى ... فإن لم تفعل فسوف أقول لهم : إن كل الأماكن سواء عندى .. ففى البيت وفى السيارة وفى الفراش وفى المستشفى أنا معك .. فليس لك زمان وليس لك مكان ـ إنهم

لا يعرفون .. إنتِ فقط وأنا .. وتصبح على خير يا حبيبي .. أما أنا فلا أصبح ولا أمسي .. فليس لى نهار ولا ليل .. وإنما أنا آتى بالليل وآتى بالنهار .. وما دمت أنت معى فالخير كله معى يا حبيبي ..

لو قلت لى شيئًا جديدًا

أنا اسمى : ع .

عندى خمس مشاكل .. وربما كانت أكثر . ولكن أريد أن أراها
لى ، لعلى أستطيع أن أحلها أو أحل بعضها .. أو بمساعدتك أنظر إلى
هذه المشاكل فإذا هى شبورة صباحية تتلاشى مع شمس الحقيقة .
أنت هذه الشمس .. فأنت مشكلتى ثم إننى أطلب إليك أن تساعدنى
على الحل .. والتخلص منك ومن هذا الحب العنيف .. أنا أسميه عنيفًا
لأنه فى غاية القسوة .. لأنه يحاصرنى ليلاً ونهارًا فأنا الطائر الذى ينسى
أن له أجنحة .. أو إذا أحس بها فإنها لا تطاوعه . ولذلك أظل
هكذا ، كما ترانى طائرًا فوق قفص .. حرًا لمن يراه ..

حرة .. فأنا خارج القفص ومع ذلك أشعر أننى تحت القفص ..
كأننى سجينة قفصين فى وقت واحد : القفص الذى هو الحب ..
القفص الذى هو الريش .. الذى تجمد حولى .. فكأن الجناحين
جدران من الريش .. كما أن القفص جدران من الحديد . أما الحب
فهو القلب الذى تحول إلى قفص أعيش وأموت فى داخله . هل
تستطيع الآن أن ترى صورتى بوضوح .. هل أثير شفقتك ؟ وأنا أقبل

أى شىء يا سيدى إلا شفقتك .. عذبنى بلا رحمة .. اقتلنى بلا شفقة .. واتركنى لكى أموت بين ذراعيك .. عانقنى .. احتضنى حتى الموت ـ هذا هو منتهى أملى .

أحاول أن أدخل فى الموضوع .. ولكننى لا أستطيع . فقط أن أدور حولك .. لا أن أقترب منك .. وإذا اقتربت منك فإننى لا ألمسك .. كيف ألمسك وأنت فى أعماق أعماقى .. ما هذا الذى أراه بعينى .. إنه لاشىء .. أما الشىء فهو الذى أشعر به أعماقى .. هذا وهى تقولها والشفاة وهى تنطقها أو ترتعش عند نطقها .. كل الكلمات الخلاف بيننا .. أنت ترى الحب فى عينى وفى شفتى وفى تسريحتى .. وفى فساتينى .. ويدهشنى جدًا أن ترى كل ذلك ولا ترانى . أن تتعب عقلك فى قراءة هذه الألوان والسطور فى كل ملامحى .. وأنا لا أرى شيئًا من ذلك فى وجهك أو ملابسك .. أنا لا أراك ولا أسمعك .. لأنك هناك فى كل كلمة فى دمى .. أنت هنا وهنا .. وهنا . ولو نطقت كل خلية فى جسمى وكان لها صوت لسمعت عصف الريح وهياج البحر وجلجلة الكون كله .

أنت قلت لى فى إحدى المرات : إن الإنسان : يكون أو يعمل أو يملك .. أى لابد أن يكون الإنسان موجودًا حيًا سليمًا مريضًا ذكيًا جاهلاً عاشقًا حاقدًا .

ولابد أن يكون له : عمل . أى انه ليس موجودًا فقط .. يأكل ويشرب فقط .. وإنما يجب أن يؤدى دورًا فى هده الدنيا .. أن يساهم فى تطوير بناء الدنيا . ومن هذا البناء ومن هذه المساهمة تكون قيمته بين

الناس ، وأمام نفسه أيضًا ..

وأن يجعله العمل يملك شيئًا : مالاً .. جاهًا .. شقة .. بيتًا .. ذهبًا .. ماسًا .. ويشعر أن هذا الذى يملكه هو المكافأة التى أخذها من عرقه .. من الناس .. من الدولة .

وهذه مشاكلى الثلاث ..

فأنا لا وجود لى . ولا أعرف كيف يكون لى وجود مستقل .. كيف أستقل عنك .. لا أعرف .. كيف أخلع قلبى من جسمى وأعيش بعد ذلك ؟ أنت قلبى .. أنت عقلى .. فأنا لا وجود لى .. أنت الوجود وأنا هامش الوجود .. أنت الكون وأنا ظل هذا الكون .

وأن أعمل . فعلاً أنا أعمل ليلاً ونهارًا على حراستك .. حمايتك فى عينى وفى أذنى .. وفى خيالى وفى نومى وفى يقظتى .. أنا حارس هذا الكنز .. أسحب هذا الكنز تكون قد طردت لحارس وتهمته الإهمال الجسيم والخيانة العظمى .. لأنه أثناء نومه تسلل الأعداء إلى الكنز فسرقوه .. والأعداء هم النسيان واللامبالاة والنوم .. ولا يكفى عقابًا أن تحكم بإعدامى .. لأننى سأكون قد فارقت الحياة فورًا .

أما الذى أملكه فلم أعد أملك شيئًا .. لا أملك نفسى . فكيف أننى لا أملك نفسى ، وبعد ذلك يقال لى : ماذا عندك .. ماذا فى جيبك .. ماذا فى بيتك .. لا شىء عندى .. بل ليس لى « عند » فأنا عندك .. وأنت الذى لديه « عند » .. أما أنا فليس عندى شىء .. فأنا هناك عندك .. فى جيبك .. فى قلبك .. فى حضنك فى ظلك فى صداك ..

وهكذا ترى أننى لا وجود لى ولا عمل لى ولا شىء عندى .

أما مأساة حياتى حقًا فهى مأساة إغريقية يا سيدى .. والله العظيم إغريقية من الدرجة الأولى . طبعًا أنت تعرف فى الأساطير الإغريقية : أخوات ليبيا :. أو أخوات الجرجون .. الواحدة منهن إذا نظرت إلى شىء فإنه يتحول إلى حجر .. أى شىء تنظر إليه يصبح رمالاً وصخرًا .

إذا نظرت إلى الشجرة إلى الماء إلى الزهرة إلى الإنسان .. كل ذلك بقدرة قادر يصبح تمثالاً من حجر .. أى تموت فيه الحياة .. فكل ما تقع عليه عيون بنات الجرجون تموت فيه الحياة فورًا .. هذا هو العذاب الذى فرضته الآلهة على بنات الجرجون .. فرضته على كل من يتعرض لبنات الجرجون .. أما كيف استطاع الإنسان التخلص من هذه المصيبة فإنه قد وضع لبنات الجرجون المرايا فى كل مكان .. فلما نظرت إلى نفسها فى المرآة تحولت هى إلى حجر .. وماتت بنات الجرجون !.

فأنا جميلة وأنت تعرف جيدًا كل مفردات جمالى : وجهى .. شعرى .. عيناى .. شفتاى .. ساقاى .. نهداى .. ردفاى .. صوتى .. البحة التى فى صوتى .. صوتى الذى تقول إنه نصفه أنوثة ، والنصف الثانى فحيح الأفاعى .. فأنا الأنثى الأفعى .. ثعبانية الصوت والقوام والحركة والنعومة .. سامحك الله .. ولكن مادام هذا هو الذى يعجبك .. فأنا لست أفعى واحدة أنا كل الافاعى التى تزحف على بطونها تحت قدميك .. ويسعدنى ذلك .. وأملى أن ألتف حول ذراعيك حول ساقيك .. حولك فأعزلك عن الدنيا .. فتكون سجينًا فى قفص نعومتى .

مشكلتى هى أن كل العبارات الجميلة قد سمعتها .. ورأيت العيون وهى تقولها والشفاة وهى تنطقها أو ترتعش عند نطقها .. كل الكلمات كل اللمسات كل الآهات .. كل ذلك سمعته ورأيته من قبل .. فكل شىء أسمعه : مكرر .. كل شىء أراه : مكرر .. كل شىء حولى قد فارقته الحياة . فارقه الجمال .

فعندما تقول لى : آه .. لو عرفت ما الذى أراه فى عينيك أقول فى نفسى : سمعت ذلك ..

وعندما تقول : أنت محرومة من هذا الذى أراه فى عينيك .. ما هذا الطوفان من المعانى تتقلب وتتألب فى عينيك ..

فإننى أقول لنفسى : وهذا سمعته أيضًا ..

وعندما تقول لى : لا تقولى شيئًا فإن لسانك أعجز عن أن يعبر عن هذا الذى أراه .. عيناك شاعرتان .. شفتاك جاهلتان .. لسانك أخرس .. دعى البلاغة تتدفق من عينيك .. دعى الجمال يفيض ، دعى الجلال يثور .. فى عينيك بركان من النور يقذفنى بالضياء .. يا سبحان الله .

وأقول لنفسى : الكلمات نفسها .. الآهات نفسها .. كل ذلك سمعته من قبل .

وفى إحدى المرات تجرأت وقلت لك : قل لى شيئًا جديدًا .. أنا زهقت .. أرجوك قل جديدًا .. حاول .. لا أريد أن أخسرك .. أرجوك ! .

ويومها قلت لى وأنت حائر : ما الذى أستطيعه .. إذا كانت

الكلمات واحدة عند كل الناس .. فأنا لا أجد للوردة كلمة أخرى .. ولا أجد للعينين كلمة أخرى ، هل لو قلت لك بدلاً من كلمة شفتيك .. شفاتيرك .. شلاضيمك .. خشمك .. شفايفك .. هل أكون جديدًا ؟. هل لو اكتفيت بأن قلت لك : إن هذه الفتحات فى وجهك هى مصدر الحبعذاب !.

سألتك : ما هذا الحبعذاب ؟.

فقلت : كلمة اخترعتها الآن حالاً .. تجمع بين الحب والعذاب .. أحاول أن أكون جديدًا .. أحاول أن أقول ما لم يقله أحد لفتاة جميلة جدًا .. التفتت إليها كل العيون والآذان والألسنة والقلوب ، وما فوق القلوب وما تحتها .. الله سبحانه وتعالى هو القادر على أن يقول كلمة واحدة فيكون الكون كله .. «إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له : كن فيكون» .. والله وحده سبحانه وتعالى إذا أراد أن يقول جديدًا فلا نهاية لقدرته .. انظرى إلى كل المخلوقات .. الإنسان والحيوان والنبات والحشرات والطيور والميكروبات والنجوم والكواكب .. ملايين ملايين ملايين ملايين .. كل واحد مختلف عن الآخر .. هذه هى قدرة الله التى لا حدود لها .. هو وحده القادر على الجديد إلى مالا نهاية فى المكان والزمان .. أما نحن .. فكما أن جسمى محدود فكلماتى أيضًا .. وحياتى .. وآهاتى .. وكل الناس يقولون الكلام نفسها .. فى الظروف نفسها ..

وأقول فى نفسى : حتى هذا أنت قلته لى قبل ذلك .. وقلته

لغيرى .. وقرأته لك .. وتوقعته وفهمته ، ثم أنت الآن تكرره كأنك لم تقله من قبل ..

قلت لك : لا تتكلم دعنى أنا أتكلم .. فقط دعنى أضع رأسى على صدرك .. ادخلنى فى حضنك .. اتركنى أنا الذى اهتدى وأقول وأعيد كلامك .. كأننى أريدك أن تسمعنى على حقيقتى .. وحقيقتى هى أننى صداك .. وأنا لا أحب أن أكون صوتًا لأى أذن .. فقط أن أكون صداك .. أن أكون الظل والذل .. بل إننى أرى الذل فى الظل منتهى الكرامة والكبرياء .. وحتى لو كان هذا كلامك فإننى أسمعه جديدًا .. دعنى أتكلم بصوت مرتفع .. دعنى أسمع نفسى عن طريق أذنى .. أما قبل ذلك فأنا أسمعك بغير آذان ، وأراك بغير عيون ، وألمسك بغير أصابع .. هل أقول لك سرًا .. هل تعرف أن صوتك هو مليون مليون إصبع تلمسنى وتدغدغنى وتسحرنى وتبهرنى . وتحمينى وتميتنى وتحيينى .. صوتك فقط .. وحتى دون أن تقول كلامًا .. أنفاسك .. إنها هى سطور بيضاء .. سطور ليس عليها كلام .. إنها هى أيضًا كأنها الأفاعى النبيلة .. الأفاعى الصديقة .. تلتف حول كل شىء فى جسمى .. فى قلبى .. فلا تقل شيئًا يا سيدى .. أنت قلت . وأنا فهمت .. وأنا طاعة .. أريد أن تخلق لى لغة لم يسمعها أحد .. تخترع ألفاظًا لم تخرج من فم قبل ذلك . أنا أعرف أن هذا مستحيل . ولكن الحب لا يعرف المستحيل . أو الحب هو المستحيل الذى يقضى على كل مستحيل ..

أنت تنسى يا سيدى . وسوف أجد سعادتى المحدودة فى أن أذكرك .. أنت تعرف صديقتى «ك» .. التى تسميها البطة أو الأوزة ..

أنت تجدها لطيفة جميلة .. وأنت تستريح إليها .. يومها أنت قارنت بيني وبينها وقلت : إن لك تدخل المعدة . وأنت تملئين القلب ..

لا أعرف نهاية هذه الجملة فقد طرت بين السماء والأرض .. ذبت .. تهت .. فأنت قلت إن «لك» تدخل المعدة ولم تقل إنني أدخل القلب .. لم تقل إنني أدخل .. وإنما قلت أنا أملأ القلب .. أى أنني دخلت القلب وملأته إنتهى !.. الله على كلامك الحلو يا حبيبي .. الله . ولكنك نسيت أنك قلت لى مرة : أنت عندما دخلت القلب أقفلت المعدة أيضًا .. والعينين والأذنين .. ممنوع الدخول لأى أحد . امتلأ كل شيء بى .. ولكنك نسيت .. أو لعلك لم تنس ، ولم تشأ أن تكرر الكلام نفسه .. لأننى لا أحب الكلام الذى قيل لى من غيرك ، أن تقوله أنت أيضًا .. ولا أحب أن أسمع الكلام نفسه الذى قلته لغيرى من قبلى ..

ولكنى أريدك أن تتكلم يا حبيبي .. أن تقول وتعيد وتزيد وألا تسكت أبدًا .. لأنك إذا لم تقل فإننى أقول على لسانك وبلسانك طول الوقت .. وأنا لا أريد أن أسمع غيرك .. ولا أريد أن أتكلم أنا طول الوقت .. أريد صوتك فى أذنى . فلا صوت يعلو على صوتك .. ولا أبق ولا أجمل .. ولكنى مشكلتى أنت تعرفها الآن ..

هل تعرف ماذا يحدث عندما تسافر .. هذه أكبر مصيبة فى حياتى .. فعندما تسافر فإننى أظل مشغولة طول الوقت بكل الذى قلت .. وأظل فى فراشى لا أنهض ولا أريد .. وأكرر لنفسى كل الذى قلته والذى لم تقل .. وكل الذى قلته أنا لك ولنفسى .. ولا أعرف

كيف يجىء النوم .. وحتى عندما يجىء فإننى أكمل الحديث بيننا فى أحلامى ..

أما الذى يعذبنى عند سفرك فإن كل الوجوه التى رأيتها والتى تقدمت لى والتى عاكستنى .. كلها .. صورها .. أصواتها تهجم وتحاصرنى .. كأنها عرفت غيابك .. كأنها كانت تتوقع هذه اللحظة .. ولذلك فلكى أطرد هذه الصور وهذه الأصوات فإننى أنام وأجعل النوم طويلاً .. أو أهرب من السرير إلى إخوتى وإلى صديقاتى .. وأمى وإخوتى لا يفهمون معنى أن أجعل صوت الريكوردر عالياً .. والفيديو أيضًا .. السبب هو أنت : لا أريد أن أسمع ولا أن أرى صورة وصوتًا لغيرك .. وهم يستنتجون انك مسافر إذا وجدونى أنام كثيرًا .. أو أفتح الفيديو على الآخر .. أو أهرب من الصباح الباكر لبيوت صديقاتى .. بل إننى أحيانًا أتسلل إلى جوارهن فى الفراش .. وأشعر بالأمان وأنام ؟!.

لقد حاولت ، كما حدث فى المأساة الإغريقية ، أن أسجل صوتى وأن أسمعه لكى أتأكد ألف ألف مرة من اننى أنا أيضاً أكرر نفس الكلمات واننى ثرثارة .. وأن كلامى عنك ممل .. واننى أيضاً أبعث على الضيق .. وإننى لو ظللت أكلمك عن حبى لك ، وحبنا لطفشت منى .. حدث وزهقت من نفسى ووجدت لك ألف عذر . وكان هذا هو العلاج !.

ولكنى يا حبيبى أعتقد أنك أنت قادر على أن تقول الذى لم يقله أحد لأحد من قبل .. قادر على الإبداع إلى غير نهاية .. وأنا أعلم علم

اليقين اننا إذا تزوجنا فسنكون أسعد حبيبين فى الدنيا .. وعلى الرغم من أن صديقاتى يضحكن من مثل هذه الكلمات .. ويقلن : كان غيرك أشطر .. ياما قلنا وياما تخيلنا .. فكانت الحقيقة شديدة المرارة .. ولا حب ولا كلام ولا سلام .. ولا ظل رجل .. ولا شىء من كل الذى قيل أيام الحب وأيام الخطوبة وفى الكوشة .. كل ذلك أخذه المأذون وخرج ولم يعد .. فلا توجد زوجة سعيدة .. والسعادة ليست زوجة .. ولو عرف المحبون أن الزواج مقبرةالغزاة من المحبين والعشاق لحكم الناس بإعدام المأذون فى كل مكان .. ولكن الناس ينسون .. وفى نسيانهم يتوهمون أن كل شىء جديد .. الكلمات جديدة .. والمشاعر لم يعرفها أحد من قبل .. وكلها ليلة واحدة .. وربما أقل من ليلة .. وبعدها تنظر إلى وجه الحبيب فإذا هو كأى وجه .. وكأى إنسان زهقان قرفان تعبان .. وإذا الحبيبة زهقانة دبلانة فقد انتهى الكلام .. كل شىء قيل بصورة مثيرة ملتهبة قبل الزواج .. وبعد الزواج أطفئت الأنوار وخمدت النيران وانسحبت الدنيا كلها من حول العروسين .. وعليهما أن يقوما ببطولة فيلم «الحياة السعيدة إلى الأبد» .. فيكون أحدهما البطل والآخر هو المتفرج الوحيد .. وينسى البطل «النص» .. وينام المتفرج لأنه قد سمع هذا الكلام ألف مرة قبل ذلك .. ثم ينسحب البطل من فوق المسرح لينام إلى جوار الجمهور وينسدل الستار من تلقاء نفسه على أكبر أكذوبة اخترعها الإنسان وصدقها ـ ولا يزال !.

عندك حل لمأساتى ؟.. أما المأساة الإغريقية فقد وجدوا لها حلاً ، عندما تحولت بنات الجرجون إلى حجارة . وماتت واستراحت الدنيا ..

أما أنا فلا أعرف إلا نوعًا واحدًا من الموت هو أن أعيش بك وفيك ولك .. أما الذى يفسد سعادتى هذه فهى اننى لا أريد أن أسمعك ولا أريدك أن تسكت .. ولا أريد أن أسمع نفسى أكرر ما قلته أنت .. ولا أريد أن أسكت فأستعيد الذى قلته لى ولابد انك قلته لغيرى .. ثم إننى قد سمعته من غيرك ؟!.

فى غير زمانى نعيش جميعًا !

. أنا اسمى عائشة .. عيوشة .. أوشه .. شوشو .. اش اش .. لا يهم ترتيبى بين إخوتى .. إن أمى تذكرنى دائما بأننى جئت برغم احتياطاتها الشديدة .. ولكنها لم تحتط للإخوة قبلى وللأخوات بعدى .. فقط أنا التى لم تكن مطلوبة ولا مرغوبة .. ولكن أمى تقول ذلك عند الغضب .. ولكن فى لحظات السعادة والحنان تقول لى : لا أعرف يابنتى كيف كنت أعيش من غيرك !

أما الذى هو ضرورى لأمى ، ولم تكن تستطيع أن تعيش من غيره فليس شيئا هاما . فقط عندما أراها أمد يدى إلى شعرها أسويه .. أو إلى فستانها فأعدله .. وأقول لها : لابد أنك كنت جميلة جدا يا ماما .. لابد أنك جننت بابا .. يجب أن نتقدم لبابا بالشكر على أنه اختار أما جميلة ، ليكون لنا بعض جمالها ..

أما الذى يجعلها تقسم بأنها حاولت أن تجهضنى ولكنها إرادة الله أن أولد وأن أكون مصدرا لعذاب أمى وموت أبى وفضيحة إخوتى وعار أسرتى فعندما أقول لها مثلا : من المجنون المغفل الحمار الذى اخترع الزواج .. إن الله سبحانه وتعالى لم يأمر بالزواج .. فالحيوانات

أسعد من الإنسان وأكثر حنانا واستعدادا للتضحية من أجل صغارها .. وهى لا تعرف الزواج .. إننا نرى اللبؤة تقتل زوجها إذا اقترب من صغارها .. نرى الكانجرو يحمل صغاره فى جيب فى بطنه ويجتاز بها الأنهار والصحارى ويلقى عذابا ما بعده عذاب .. وليس زوجا لأحد .. ولكن من المؤكد أنها أم .. وأن الذكر أب ، وأنهما يتناوبان الحراسة والموت من أجل الصغار .. وأن وأن ..

ويكون الرد من أمى : لماذا لم يحرقك ربنا قبل أن تولدى .. لماذا لم يقطع لسانك .. لماذا جعلك عقابا لنا جميعا .. لماذا أنت لعنة على نفسك وعلى غيرك .. وعلى أى إنسان يفكر فى الزواج منك .. والحمد لله أن أحداً لم يفكر .. وإذا فكر وجلس إليك فسوف يطفش من أول دقيقة لتظلى عانسا إلى الأبد !

أما حظى السعيد فقد دفع إلى طريقى زميلا فى الشغل .. تخرج فى كلية العلوم ودرس النبات والحيوان .. وأكثر حكاياتنا عن حكمة ربنا فى حياة الحيوان والنبات .. وكيف أن الإنسان حيوان ونبات معا .. وأن الحيوان أعقل من الإنسان وأن النبات أحكم من الحيوان .. وان الإنسان بعقله وفكره وجشعه قد أفسد كل الذى أودعه الله فى عقله وقلبه وجسمه من حكمة وعظمة .

ففى أول لقاء كان هو الذى تحدث . وكنت أقول له : الله .. قل كمان ..

وبعد أن يفرغ من الكلام أقول له : كفى .. دعنى لكى أعيش فى هذا الحلم الجميل .. فأنت اللى كنت بأدور عليه .. انت انت ولا

انتش داری .. انت نعیمی .. أنت منقذی من أبی وأمی وإخوتی .. أنت نوح وسط هذا الطوفان .. أنت الحوت الذی ابتلعنی لکی أنجو به إلى الشاطئ .. أنت طوق النجاة .. أنت المظلة الواقية .. أنت استجابة السماء لدعائی !

وکنت أنهض واقفة بعیدة عنه لکی استعید من جدید کل کلمة قالها .. وأدیرها فی أذنی فی کاسیت لا یتوقف .. لا أریده أن یتوقف .. هل کنت أحسد نفسی ؟ أعتقد أننی حسدت نفسی إذ کیف أجد الإنسان الذی أحلم به من أول لقاء مع أول رجل یجلس إلى جواری وتتعانق فی الهواء عیناه وعینای .. کیف ؟ إننی محظوظة .. وهذه هی آخرة الصبر .. هل أمسك الخشب ؟ کنت أفعل ذلك .

قلت لماما : عندی خبر یسعدك .

قالت : أنت وراك سعادة .. إیه إن شاء الله ؟ !

ــ عریس !

ــ طفش منك ؟

ــ لن یطفش أبدا ..

ــ لابد أنك قتلتیه !

ــ فعلا قتلته حبا !

ــ هو الذی یحبك !

ــ أنا التی أحبه ..

ــ وهو ؟

ــ لا أعرف .. ولکن لا یهم !

ـ تعيشين مع رجل تحبينه ولا يحبك ؟ !

ـ أعيش معه ! .. من قال إنني أريد أن أعيش معه ؟

ـ يعنى إيه ؟

ـ يعنى كده .

ـ كده وكده ؟ !

ـ آه

ـ جاءك أوه !

...

طبيعى أن يكون هذا نموذجا للحوار العنيف المتكرر مع ماما .. وشيء من مثل ذلك مع إخوتى .. واحدة بعد واحدة بعد واحد . فأمى بسرعة تنقل كل ما أقول لإخوتى وتضيف من عندها قصصا وحكايات ودموعا واستدعاء للطبيب . وأنا السبب .. مع أنها تعيسة بعدد إخوتى وأخواتى ؟ ولكن أسهل جدا أن أكون أنا « الملعونة » فى كل تليفون .. مصدر التعاسة للجميع .. وإخوتى يسعدهم ذلك .. فهم أبرياء من عذاب أمى وصداع أبى .. فأنا السبب .. وهم أيضا يقولون ذلك حتى يحولوا التهم بعيدا عنهم . مع أن أخواتى فى غاية البهدلة الزوجية .. ولهم حكايات وخناقات لا تدهشنى ، وإنما أتوقعها . وهى أكبر دليل على فشل الحياة الزوجية .. وعلى أن الزواج علاقة اكراه رسمى على حياة تتسم بالنفاق والجبن .. والأطفال يضاعفون المشاكل .. فبدلا من أن تحل الزوجة مشكلتها مع زوجها فإنها تغرق فى مشاكل أولادها .. وتنسى مشكلتها .. أو هى تتناسى

هذه المشكلة وتطحن نفسها من أجل أولادها .. وتبقى مشكلتها بلا حل ، ومشاكل أولادها بلا حل .. وهكذا فالزواج هو مؤسسة لحضانة المشاكل ومضاعفتها .. ومن الممكن أن تفشل قضية تنظيم النسل ، ويستحيل أن تنجح قضية تنظيم المشاكل وتحديدها.. فالطفل الواحد مشكلة مضروبة فى اثنين : الأب والأم .. ومضروبة فى عشرة : أطفال الجيران والمدرسة والشارع .. ومضروبة فى عدد سكان مصر : لأنها مشكلة الدولة !

أما مشاكل إخوتى وأمى وأبى فلا تهز شعرة واحدة من شعرى الطويل على كتفى أسود فاحما محسودا من أمى وإخوتى وزميلاتى وجاراتى .. وهم جميعا يعتقدون أن شعرى الطويل هو الشبكة التى اصطاد بها العرسان .. مغفلون ومغفلات .. فليس العريس ذبابة ولا برغوثا يقع فى شعرى فلا يخرج !

وفى اللقاء الثانى لهذا الشاب الذى نزل من السماء أو انشقت عنه الأرض أو قفز من أحلامى إلى أحضانى إلى حياتى ، فقد طلبت منه أن يسمعنى مادام صريحا معى .. أو كان صريحا معى ، فليسمع رأيى .

قلت له : خذنى إلى أى مكان أضع رأسى على كتفك .

فانزعج الرجل . وقلت له : لا تسئ فهمى . فلست رخيصة . ولا أنا استدرجك إلى ماهو أكثر من ذلك .. فليس أكثر من ذلك عند المرأة .. إنها تفضل راحة الرأس على كتفك ، على حضنك مهما كان ناعما دافئا .. صدقنى .. أنا صريحة . فأرجو ألا تعاقبنى بسوء الظن على هذه الصراحة .. فقط رأسى على كتفك .. وإذا نزلت

دمعة فمن السعادة .. خذنى إلى سيارتك تحت شجرة وعلى مرأى من كل الناس وفى ضوء السيارة ومصابيح الشارع .. أملى أن أعرض عليك رأيى وأنا بهذا الوضع .

لم يفهم . لم يستوعب . اندهش لجرأتى . انسحب كأننى عفريته .. كأننى فتاة كانت تسير على الرصيف فوجدت سيارة واقفة ومقعدا خاليا فقفزت إلى جواره تقول : احمنى ياسعادة البيه .. العسكرى يطاردنى .. استر علىّ ربنا يستر ولاياك !

قلت له : إننى أرى فيك أمى وإخوتى .. أرجوك لاتكن مثل هؤلاء .. كن شيئا آخر .. كن لى .. اسمعنى !

* * *

بالأمس كانت عندنا «أم فتحية» وهى قارئة الفنجان ، أهم شخصية فى حياة الأسرة المصرية ذات البنات .. أعطيتها فنجانى نظرت إليه .. ثم فى عينى .. وفى عينى أمى .. فقالت لها أمى : جرى لك إيه .. شايفة إيه ياأم فتحية !

نظرت لى أم فتحية وقالت : بسم الله الرحمن الرحيم .. إيه ده يابنتى .. فنجانك عجيب .. كله عيون ؟ !

قالت أمى : محسودة والنبى البنت طول عمرها عاقلة .. حسدوها ياأم فتحية .. ياجمالها . ياعينها ياشعرها الطويل .. يافلوسها .. يامركزها حسدوها .

قالت أم فتحية : كله عيون يابنتى .. أول مرة فى حياتى أرى شيئا من مثل ذلك ..

فضحكت وقلت لها : لقد شربت الفنجان حتى آخره .. ولما هززته وجدته جافا .. نظرت فيه .. ورأيت حياتى ومستقبلى .. فحزنت على نفسى .. وبكيت . ونزلت الدموع فى الفنجان .. وهززته وقدمته لك .. إنه من دموع عينى ياأم فتحية !

أم فتحية : آه كده .. وأنا بقول إيه اللى حصل فى الفنجان ده .. ودموع ليه ياحبيبتى .. مالك .. ناقصك إيه .. أنا شايفة واحد طويل أبيض .. عنده حسنة على خده اليمين .. ماسك إيدك .. وأنت لا تنظرين إليه .. شايفاه راكع عند رجليك .. وأنت تنظرين إلى السماء .. بصّى له يابنتى .. كلميه .. الشاب حيموت عليك ياست شوشو .. والنبى حيكون دبلة فى صباعك .. هو فيه شبان كده .. هو فيه حد عاوز يتجوز الأيام دى !

قلت صارخة : المصيبة أنهم كلهم يريدون الزواج .

أمى : يريدون الزواج .. أمال عاوزاهم إيه ؟ عاوزاهم إيه يامقصوفة الرقبة !

ولم تفهم أم فتحية ولم تفهم أم عائشة ـ أمى يسمونها هكذا فأنا البكرية !

* * *

كان عذابى قد بدأ بشدة .. أجلس وحدى .. أكلم نفسى ..

اسند رأسى على كتفى وأتخيل وأبكى .. وأحيانا أسحب مخدتى من السرير وأجلس على المقعد وأضع المخدة على كتفى وأبكى .. فمخدتى هى حبيبتى .. على كتفى وبين ذراعى وعلى صدرى وفى حضنى .. ولولا أن يصفنى الناس بالجنون لأخذتها معى إلى مكتبى .. ولكنى أتخيلها دائما تحت يدى وفوق صدرى .. ورأيت أن أريح نفسى وأن أقول كل شىء مرة واحدة . مرة واحدة لأخلص من هذا الشاب قبل أن يتقدم لى .. ولا يهمنى أين يقع هذا الكلام فى نفسه أو فوق دماغه .. أنا ولا شىء ولا حاجة فى حياته .. ولا أخاف من النتائج .. فلن أكذب عليه .. أو على نفسى .. أنا كده .. واللى عاوزنى كما أنا ، أهلا وسهلا ، والذى لا يريدنى ، فمع السلامة . وياقلب مادخلك لا خير ولا شر .

قلت له وكأننى أتحدث إلى نفسى : إن الزواج هو أفشل علاقة طويلة اخترعها الإنسان لنفسه .. وهذا مؤكد فى كل بيت .. وأنا لا أصدق ما يقوله الأزواج عن حياتهم .. إنهم يغطون نفاقهم فى جبنهم ويتوهمون أن الناس يصدقونهم .. إن الحيوانات كلها سعيدة فى حياتها معا .. الأنثى تحمى الصغار حتى إذا اقترب الأب وأحست الأم أنه يريد شرًا بصغارها قاتلته وقتلته .. دفاعًا عن أمومتها ، وعن صغارها .. والذكر يخلص للأنثى فى كل الحيوانات .. ولا يتركها إلا إذا طردته أو ثارت عليه .. وليس بينهما جميعا عقد ولا شهود ولا مأذون .. ولكن الله سبحانه وتعالى هو الذى خلق الذكر وخلق الأنثى وغرس الأمومة . وأقام المأذون فى كل رأس وكل قلب .. لقد

رأيت فيلما لأنثى النمر.. تعيش مع صغارها بلا زوج يحميها ويحارب من أجلها .. ولم تطلب زوجها إلى بيت الطاعة ولا طالبته بنفقة ولا فضحته وجعلت اللى ما يشترى يتفرج ..

وهل انزعج الشاب الذى أمامى .. أظنه انزعج وخاف ولكنى أمسكت به أكمل حديثى . قلت له أو قلت لنفسى على مسمع منه : أريد أن اتزوج منك لكى أتحرر منك .. فالزواج هو علاقة اجتماعية .. علاقة لا يعرف المجتمع غيرها ، ولذلك يحترمونها .. ويجدون لذلك ألف سبب .. ولكن أين الناس بعد أن ينقفل علينا باب من وراء باب ويرتمى فوقنا غطاء واحد ، ثم لا أشعر بك .. ثم أتخيل أنى فى حضن رجل آخر .. وأنت أيضًا .. أين الناس وما الذى يهمهم ؟ إنهم فقط شجعونا ودفعونا إلى أن نقول : نعم رضيت به زوجًا على الحلوة والمرة .. ودقى يامزيكة .. والباقى علينا .. مع أننى لا أعرف شيئاً عن الزواج ولا أنت .. ولا أعرف شيئًا عن مشاركة رجل لفراشى ولحافى ومخدتى .. ولا أنت عرفت شيئا عن أن تكون إلى جوارى كل ليلة فى فراشى .. أو فى غرفتى .. أو فى شقتى .. كل يوم مع نفس الشخص ؟ هل هذا طبيعى .. كيف لا تمل الوجه الواحد والصوت الواحد والعطر الواحد والخناقات المتكررة .. كيف تنكر ذلك وتدعى السعادة .. وإذا ادعينا ذلك ، كيف تتوهم أن الناس يصدقوننا .. وهم كذابون مغفلون منافقون جبناء مثلنا !!

وقبل أن تسألنى أقول لك ما الذى أريده بالضبط : أريد أن

أكون معك قريبة منك .. فقط .. فهذا هو الذى يسعدنى .. أن أكون معك ولك عندما أريد ذلك .. أنت لا تفرض علىّ القرب وأنا لا أفرض عليك البعد .. لا تصدق أن المرأة لا تريد إلا الأحضان والقبلات .. أبدًا .. اللمسة أعمق من الحضن .. النظرة أجمل من التفرس .. كتفك تسحرنى أكثر من صدرك .. صمتك أعمق من كلامك .. أنا أعرف ما الذى سوف تقوله : إننى واهمة وأنا أعيش فى عصر غير عصرى .. أنا لست من هذه الدنيا ! معك حق .. ولكن أرجوك أن تقول لى : ومن الذى يعيش فى عصره .. لا أحد ياسيدى .. إن رواد الفضاء الأمريكان الذين نزلوا على القمر ، وهو أعظم إنجاز حققته العقول الإنسانية .. هؤلاء الرواد كانوا يحملون تعويذة لحمايتهم من السقوط .. تصور .. برغم ألوف العقول الالكترونية فى محطات المتابعة الأرضية .. ومئات العقول الالكترونية فى سفن الفضاء .. فهم يحملون « حجابا » وسلاسل عليها آيات من الكتاب المقدس لوقايتهم .. تصور .. فهل هؤلاء يعيشون فى القرن العشرين .. إنهم يعيشون فى القرون الأولى .. هل السيدات حاملات الدكتوراه من لندن وباريس ويتزاحمن عند قارئات الفنجان ، يعشن فى عصرهن .. هل أنت تعيش فى زمانك عندما تذهب لقبر أمك وتبكى كل يوم خميس .. ما الذى تبكيه وأمك قد ماتت من عشرين عاما .. من الذى هناك فى قبرها .. ما الذى يسمع بكاءك ودعاءك هناك ــ هل أنت تعيش فى عصرك .. هل أنت عندما صرخت فى وجه خدامك الذى وجدته يكنس الشقة ليلا ،

وتشاءمت من الكنس ليلا ، هل تعيش فى عصرك ؟ لا أحد يعيش فى زمانه ياسيدى ! وكذلك أنا .. وفى الأدب العربى والأدب الأوربى .. ليلى والمجنون وروميو وجوليت .. إنه الخجل والحياء العربى الكاذب هو الذى جعل المؤرخين يتحدثون عن جنون قيس فقط ، ولم يذكروا جنون ليلى .. لأن المرأة من الحرمات ، ولا يصح التعرض لحرمات الناس .. مع أن ليلى أيضًا كانت مجنونة .. إذ كيف ترى قيسا مريضا ولا يصيبها الجنون .. كيف ترى عذابه شعرا ، وشعره نشيدًا تردده الصحارى ولا يصيبها الجنون .. كانت ليلى مجنونة لأنها أرادت أن تكون له ومعه ، دون زواج .. ولكن القبيلة لا تعرف إلا الزواج ، عقد الزواج ..

والخيمة المغلقة ، والبيت المحكم الأبواب والنوافذ ، لكى يجىء الأطفال حلالا من أبيهم وأمهم .. فكل هذه العقود على الباب والشباك حتى يتأكد المجتمع أن الطفل من أمه وأبيه .. كذب .. نفاق .. فما قول هؤلاء الآباء إذا كانت الأم فى كل مرة تجد نفسها فى حضن زوجها ترى وجها آخر وأنفاسا أخرى .. كيف تسمى هذه الخيانة كل ليلة ؟ إن المجتمع لا يحكم إلا على الذى يراه ويسمعه ويقرؤه .. أما غير ذلك فلا يعرفه ولا يحبه .. وإذا عرفه فهو أعجز من أن يصنع شيئا .. أمى تسميننى تلميذة إبليس وصنيعته ونهايتى مع إبليس فى النار .. أمى تؤكد لنفسها أنها فى الجنة لثلاثة أسباب : لأنها صبرت على والدى وكان ذئبًا كبيرا .. ولأنها تصلى وتصوم وتحج وتزكى .. ولأن الله قد ابتلاها بى ! قلت إيه ؟ !

هل كان الرجل قد نام . هل غاب عن الوعى .. هل راح يتخيل أهوال الحياة الزوجية معا .. هل خاف أن يحس بشىء . هل فقد النطق .. هل علقت أنا له المشانق من كل شعرة من شعرات رأسى .. هل مات الرجل ؟

قلت له : قلت إيه ؟

قال : فى إيه ؟

قلت : فى أن أضع رأسى على كتفك .. نحن الآن وحدنا .. هل تخاف من البوليس ؟ تخاف من المشاة ؟ لا تخف .. إذا امسكونا فسوف أتزوجك أمام ضابط النقطة .. وأوفر عليك الفرح والزفة وشهر العسل .. قلت إيه ؟

قال : وهل تركت لى شيئا أقوله .. إننى لا أجد نفسى .. لا أعرف أين رأسى .. ولا أعرف ما هذا الذى أحمله على كتفى : شوال بصل أو قفص غربان أو خلية نحل .. ولكن

قلت : ولكن ماذا ؟

قال : أتزوجك !

قلت : الآن !

وذهبنا إلى المأذون وتزوجنا . وسرت معه فى طريق طويل طويل . والناس يندهشون لهذا المنظر .. أنا احتضن ذراعه وأجعل رأسى قريبا من كتفه مغمضة العين .. وهو يوقظنى ويقول ويقول ولا أسمع .. ولحسن الحظ كان ذلك عند الغروب وكانت الشوارع خالية إلا من شبان صغار يتهامسون ويتلامسون ويقولون لبعضهم البعض كل الذى

قلته .. ويحلمون ببعض الذى كنت أحلم به .. واقتربنا من السيارة .
وقال : إلى أين ؟

قلت : أنت إلى بيتك وأنا إلى بيتى .. إنها بداية شهر العسل على طريقتنا .. ألم نتفق على ذلك . أن نعطى للناس مايريدون ، وأن نأخذ ما نريد عندما نريد .. ليطول الحب على البعد وعلى القرب .. صدقنى أن هذه هى السعادة الحقة .. ألا ترى الحيوانات تفعل ذلك .. إنها أكثر عقلا وحكمة من الإنسان .. أليس هذا كلامك ؟ !

وتوقفت السيارة أمام بيتنا . وملت على وجهه ثم قبلته هنا .. وهنا .. وهناك .. وقلت له : تصبح على خير ياحبيبى .

ـ تصبحى ..

وكانت أمى أول وجه آراه .. فنظرت إلى سعادتى وقالت مذعورة : مالك ؟ إيه اللى جرى ياترى .. حصل إيه فى الدنيا .. فرحينى ياأختى معاك .. فرحينى مرة ..

قلت : فعلا .. افرحى ياماما .. لقد تزوجت !

قالت وهى فى طريقها إلى الأرض : لقد إيه ؟ ! ! !

* * *

أنا وأمى نعيش فى غير زماننا !

الفهـــرس

كتب للمؤلف

أ ـ مقالات :

١ ـ وحدى .. ومع الآخرين
٢ ـ عذاب كل يوم
٣ ـ طريق العذاب
٤ ـ يسقط الحائط الرابع
٥ ـ كرسى على الشمال
٦ ـ ساعات بلا عقارب
٧ ـ مع الآخرين
٨ ـ بقايا كل شيء
٩ ـ نحن أولاد الغجر
١٠ ـ من نفسى
١١ ـ شيء من الفكر
١٢ ـ حتى أنت يا أنا
١٣ ـ لو كنت أيوب
١٤ ـ أضواء وضوضاء
١٥ ـ كل شيء نسبي
١٦ ـ الحنان أقوى
١٧ ـ إنها الأشياء الصغيرة
١٨ ـ يعيش .. يعيش
١٩ ـ مواقف ١
٢٠ ـ مواقف ٢
٢١ ـ مواقف ٣

ب ـ قصص :

٢٢ ـ عزيزى فلان
٢٣ ـ هى وغيرها
٢٤ ـ بقايا كل شيء
٢٥ ـ يوم بيوم
٢٦ ـ يا من كنت حبيبى
٢٧ ـ قلوب صغيرة
٢٨ ـ شارع التنهدات
٢٩ ـ فوق الركبة
٣٠ ـ هذه الصغيرة وقصص أخرى
(ترجمة)
٣١ ـ الأظافر الصغيرة

٣٢ ـ عريس فاطمة
٣٣ ـ الغرباء (ترجمة)
٣٤ ـ اتنين ... اتنين

جـ ـ دراسات

٣٥ ـ الوجودية
٣٦ ـ الخبز والقبلات
٣٧ ـ التاريخ أنياب وأظافر
٣٨ ـ من أول نظرة
٣٩ ـ الحائط والدموع
٤٠ ـ الصابرا (الجيل الجديد فى إسرائيل)
٤١ ـ وجع فى قلب إسرائيل
٤٢ ـ ديانات أخرى
٤٣ ـ على رقاب العباد
٤٤ ـ الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله
٤٥ ـ دراسات فى الأدب الأمريكى
٤٦ ـ دراسات فى الأدب الايطالى
٤٧ ـ دراسات فى الأدب الالمانى
٤٨ ـ فلاسفة وجوديون
٤٩ ـ فلاسفة العدم
٥٠ ـ وداعا أيها الملل
٥١ ـ الذين هبطوا من السماء
٥٢ ـ الذين عادوا إلى السماء
٥٣ ـ أرواح وأشباح
٥٤ ـ القوى الخفية
٥٥ ـ لعنة الفراعنة
٥٦ ـ أوراق على شجر
٥٧ ـ فى السياسة جزء ١
٥٨ ـ فى السياسة جزء ٢
٥٩ ـ وكانت الصحة هى الثمن
٦٠ ـ ألوان من الحب
٦١ ـ أظافرها الطويلة
٦٢ ـ الدين والديناميت
٦٣ ـ لا حرب فى أكتوبر ولا سلام
٦٤ ـ أنتم الناس أيها الشعراء
٦٥ ـ مذكرات شاب غاضب
٦٦ ـ كتاب عن كتب
٦٧ ـ غرباء فى كل عصر
٦٨ ـ لحظات مسروقة
٦٩ ـ أيها الموت لحظة من فضلك
٧٠ ـ السيدة الأولى
٧١ ـ عبد الناصر المفترى عليه والمفترى علينا
٧٢ ـ شباب .. شباب
٧٣ ـ الذين هاجروا

٧٤ ـ جسمك لا يكذب

٧٥ ـ ما لا تعلمون

د ـ ترجمة ذاتية :

٧٦ ـ طلع البدر علينا

هـ ـ رحلات :

٧٧ ـ حول العالم فى ٢٠٠ يوم
(الحائز على جائزة الدولة
التشجيعية ١٩٦٢)

٧٨ ـ بلاد الله .. خلق الله

٧٩ ـ أطيب تحياتى من موسكو

٨٠ ـ أعجب الرحلات فى التاريخ

٨١ ـ اليمن ذلك المجهول

٨٢ ـ غريب فى بلاد غريبة

٨٣ ـ أنت فى اليابان

و ـ مسرحيات :

٨٤ ـ مدرسة الحب

٨٥ ـ حلمك يا شيخ علام

٨٦ ـ مين قتل مين

٨٧ ـ العبقرى

٨٨ ـ الأحياء المجاورة

٨٩ ـ جمعية كل وأشكر

٩٠ ـ سلطان زمانه

٩١ ـ حقنة بنج

٩٢ ـ مش رقم ٣

٩٣ ـ كلام لك يا جارة

ز ـ ترجمة :

٩٤ ـ ترجمة (ردمولوس العظيم)
تأليف (ديرنمات)

٩٥ ـ ترجمة (هبط الملاك فى بابل)
تأليف (ديرنمات)

٩٦ ـ ترجمة (زيارة السيدة العجوز)
تأليف (ديرنمات)

٩٧ ـ ترجمة (الشهاب) تأليف
(ديرنمات)

٩٨ ـ ترجمة (زواج السيد ميسى)
تأليف (ديرنمات)

٩٩ ـ ترجمة (هى وعشاقها)
تأليف (ديرنمات)

١٠٠ ـ ترجمة (أمير الأراضى البور)
تأليف (ماكس فريش)

١٠١ ـ ترجمة (من أجل سواد
عينيها تأليف (جيرودو)

١٠٢ ـ ترجمة (بعد السقوط) تأليف
(أرتر مللير)

١٠٣ ـ ترجمة (فوق الكهف) تأليف
(تنس وليامز)

١٠٤ ـ ترجمة (الأمبراطور جونز)
تأليف (يوجين أونيل)

١٠٥ ـ ترجمة (تعب كلها الحياة)
تأليف (يونسكو)

١٠٦ ـ ترجمة (الباب والشباك)
تأليف (آواموف)

١٠٧ ـ ترجمة (ملح على جرح)
تأليف (آرابال)

رقم الإيداع : ١٩٩١/٤٨٣٤
الترقيم الدولى : ٠ - ٠٠٦٨ - ٠٩ - ٩٧٧

© دار الشروق
أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى - رابعة العدوية - مدينة نصر
ص . ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص . ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣
فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

مذكرات شابة غاضبة

« مذكرات شاب غاضب »

و

« مذكرات شابة غاضبة »

أروع كتابين صدرا هذا العام للكاتب الكبير والفيلسوف الفنان :

أنيس منصور

أما الكتاب الأول فقد نفد طبعة بعد طبعة بعد طبعة .. فالشباب وجد فيه أعمق آلامه ، وأعنف أحلامه ، ووجد كاتبه المفضل يعبر عن أعمق أعماقه فى سهولة .. فى براعة .. وفى جمال ..

أنيس منصور

أما كتابه « مذكرات شابة غاضبة » فخطوات أطول وأعمق وأجرأ وأدق .

إن كتاب « مذكرات شابة غاضبة » سجل لألوف .. للملايين البطاقات الشخصية العارية .. لكل فتاة وراء بابها ، وأمام بيتها وفى الطريق إلى عقول وقلوب الآخرين . ثم العودة وقد كسبت قلبًا ، وخسرت عقلاً ، أو كسرت قلبًا ونسيت عقلاً ..

إن كتاب « مذكرات شابة غاضبة » ثمرة على شجرة فى غابات أنيس منصور الواسعة الشاسعة الوحشية .. ومن بساتينه الأنيقة الجميلة .. إن هذا الكتاب وليمة يهزها القلق ، ويرعاها القمر ، ويحتضنها الليل ، ويوقظها الواقع .. فإذا صحت الشابة الغاضبة وجدت كاتبها الأمين حانى الرأس مفتوح العينين والذراعين يسمع ويرى ويرتجف .. ينقل ما سمع إلى ما رأى إلى ما أحب .. فإن وجدت دموعًا كثيرة على خدك ، فبعضها دموع المؤلف أيضًا .. صدقنى إنه مثلك تعذب وتوجع وتقلب على الشوك .. ولو لم يكن عاشقًا وحيدًا ما اقترب هكذا من كل قلب وما دخل كل هذه القلوب ومعه كتبه التى جاوزت المائة والعشرين ..

إقرأ أحدث وأروع وأجمل كتاب لصديق كل شاب وشابة .. اقرأ لكاتبك وفيلسوفك وأقرب الناس إليك .

دار الشروق
القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى - رابعة العدوية - مدينة نصر
ص.ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
بيروت : ص.ب ٦٤ ٨ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ - فاكس ٨١٧٧٦٥ (٩٦١)